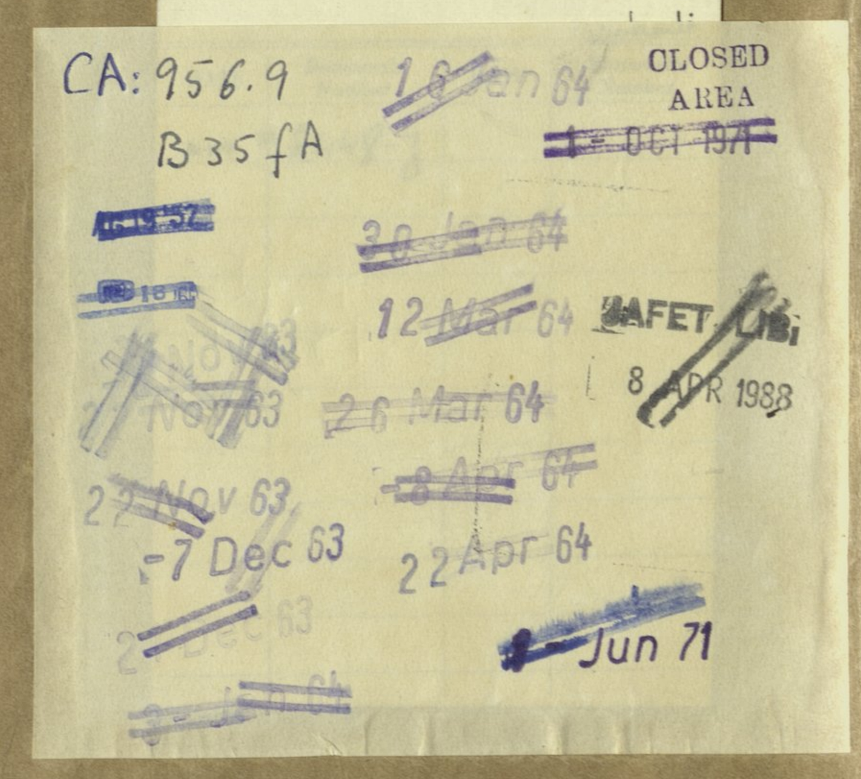
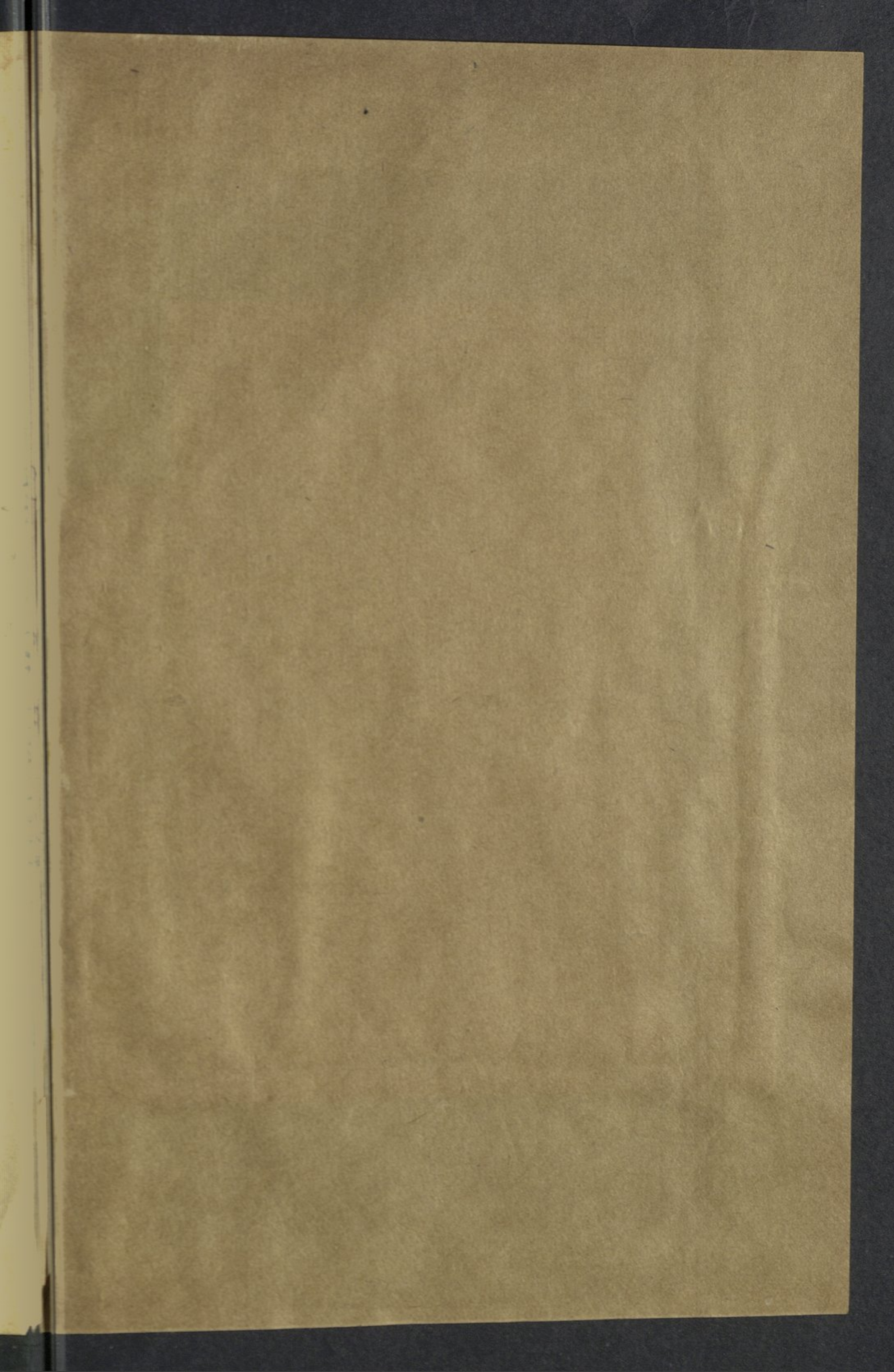

فلسطين
أندلسُ
الشرق


CA: 956.9
B35fA
CLOSED
AREA
16 Jan 64
1 OCT 1971
30 Jan 64
12 Mar 64
SAFET LIBI
8 APR 1988
Nov 63
26 Mar 64
8 Apr 64
22 Nov 63
7 Dec 63
22 Apr 64
Dec 63
Jun 71



محمد جميل بيهم

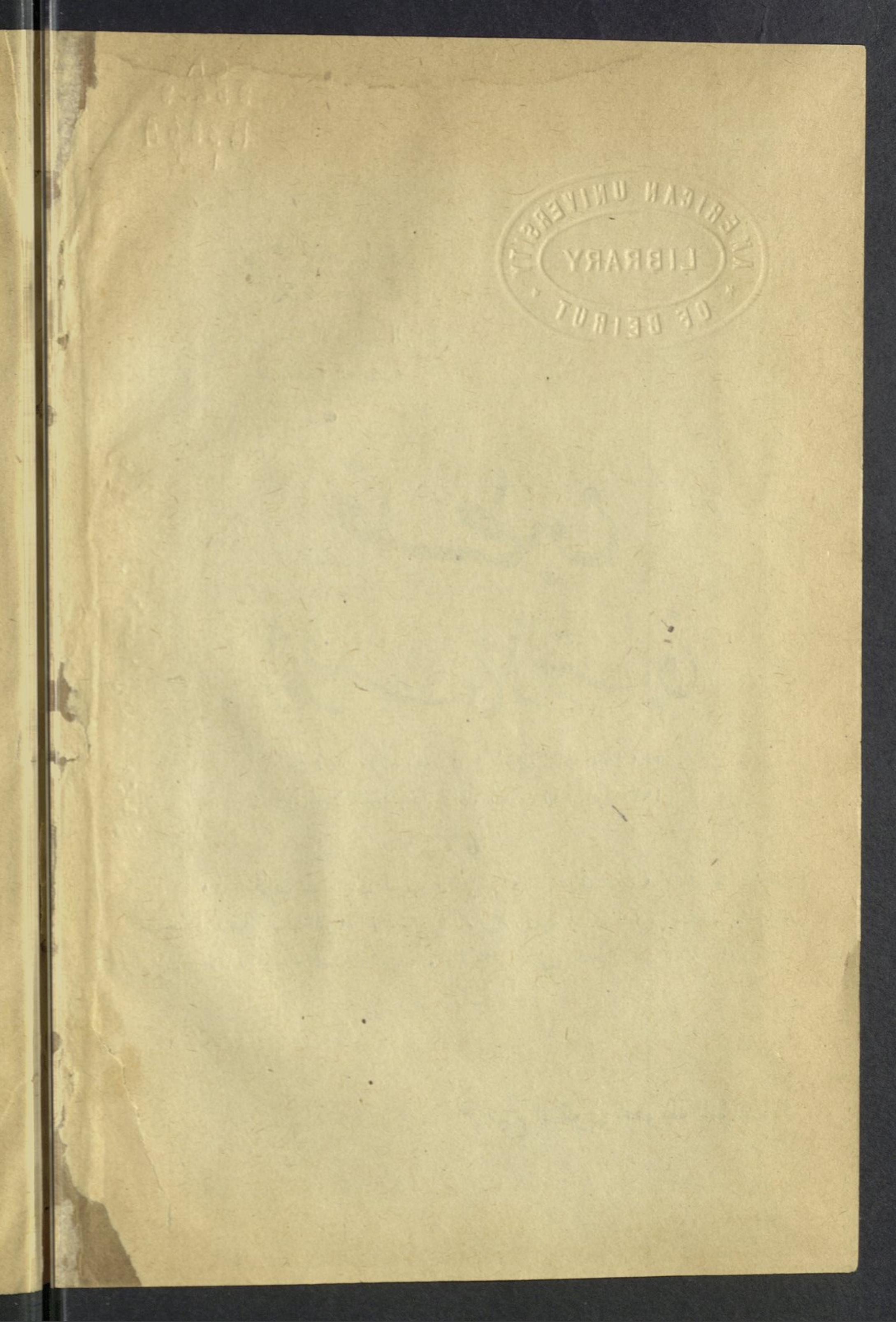
رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية
لمكافحة الصهيونية

61

فلسطين
اندلس الشرق

من وعد اللورد بلفور في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧
الى بيان السيد بيفن في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥

وفي الكتاب تنويه بمآتي العرب في المهاجر دفاعا عن فلسطين ، كما شهدها المؤلف خلال رحلة الوفد العربي الفلسطيني الى اميركا ، وفيه عرض لتطور موقف لبنان في عهد الاستقلال تجاه فلسطين العربية . والكتاب متصل البحث حتى مطلع عام ١٩٤٦



الإهداء

الى صاحب السعادة الجنرال السير ادوارد سبيرس

رئيس لجنة الشؤون العربية بلندن

شئت ان تكون انسانا عنده ضمير وقلب ، تقول كلمة الحق ، كلما بدرت بادرة تنكر او افتئات

والعرب الذين خصصتهم ببعض من لفتات ضميرك يختصون مثالك بالتكريم ابداً

واذا كان للقب « مواطن شرف » الذي قُلدته من سوريا ولبنان ، معنى من طاقة الجماعة على الوفاء ، فأملي ان يحمل اهداء هذا الكتاب اليك ، معنى من طاقة الفرد على الوفاء لك

وعسى ان يكون فيه قليل من كثيرك ووفاء ببعض جميلك

بيروت في ٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٦

محمد جميل بيهم

المقدّمة

انتهز الصهيونيون فرصة الحرب العالميـة الاولى فادركوا بوعد بلفور شطراً من امانيهم ، وشرعوا منذ نشوب الحرب العالميـة الثانية يتحينون الفرص لبلوغ مثلهم الاعلى . واعني به قيام دولة يهودية في فلسطين على ان تكون هذه البلاد المقدسة لهم وحدهم كما هي بريطانيا العظمى للانكليز !

وعند اشتداد الحرب الاخيرة على دولة جلالة الملك لوحوا لها بالمال، ولما آنسوا منها الصمود والثبات على قواعـد الكتاب الابيض تحولوا الى الولايات المتحدة ، ولجأوا في الوقت نفسه الى سياسة العنف يطبقونهـا في فلسطين ضد السلطة .

ولليهود في بلاد العم سام مقـام رفيع يستند الى وفرة عددهم وكثرة اموالهم واخذهم بنواحي كثيرة من مرافقها الاقتصادية والادبية ، فحاولوا تحقيق مطامعهم في فلسطين باكتساب الاوساط الاميركية ، بادىء ذي بدء ، آملين ان يتخذوا من نجاحهم في اميركا حجـة على اوربا ولا سيما انكلترا ؛ هذا فضلاً عن انهم كانوا يسعون الى حمل حكومة واشنطن على التوسط لهم لدى حكومة لندن .

وقد استطاعوا فعلاً ان يسخروا كثرة مجلسي الشيوخ والنواب في واشنطن لمآربهم ؛ وان يكسبوا عطف جمهور كبـير من اعضاء الحكومة الاميركية والاكليروس والشعب ، وكادوا ، بمظـاهرة الرئيس السابق

فرنكلان روزفلت وبمساعدته لهم ينتزعون من الكونغرس قراراً يأذن لهم بفتح ابواب فلسطين دون قيد ولا شرط ، غير ان ضرورات الحرب جعلت القيادة العامة في وقت من الاوقات تتدخل وتحول دون هذا القرار .

ولكن هذا الاخفاق المفاجىء لم يفت في عضدهم ولم يقعد بهم عن هدفهم ، بل توصلوا بالصبر والمثابرة لان يحملوا القيادة المذكورة ، بعد حين ، على ان تعلن زوال الحالة الاستثنائية التي حالت في وقت ما بين الكونغرس وبين بحث الاقتراحات الصهيونية . وقد هم الكونغرس من ثم لاصدار قراره وفقاً لمرامهم . ولولا توسط البيت الابيض والحكومة اثر احتجاج عواهل العرب ومراعاة لمصالح اميركا الاقتصادية في العالم العربي لقضي الامر ولاصبحت اميركا منذ عهد روزفلت آخذة على عاتقها تأمين الاهداف الصهيونية بصورة رسمية .

على ان صمود لندن بالكتاب الابيض وتراجع واشنطن عن عزمها حينذاك ليس من شأنهما القاء الاطمئنان في قلوب العرب ، واحلاله محل القلق . فهم يتساءلون اذا كان تطور السياسة من بعد سيؤدي حتما الى تطور آخر في موقف كل من واشنطن ولندن والى تبدل في تطبيق فحوى الميثاق الاطلانتي . وهم انما يتساءلون عن ذلك لان العالم لا يزال يرتاب بالعهود ويعتبر المواثيق السياسية حبراً على ورق .

والواقع ان الاعتماد على النفس هو المعول عليه في مثل هذا الموقف . أجل وعلى العرب أنفسهم يتوقف ذلك اللون الذي ستختاره لندن وواشنطن وغيرهما من عواصم العالم . ونحن رغم استفحال الخطر ، لا نزال نعتقد بان لدى العرب متحدين قوى لو استخدموها في قضية فلسطين ، واستعانوا الى ذلك بما يحيق باليهود من اسباب الضعف في الاوساط العالمية لخرجوا من المعركة

منتصرين : هذا الى ان من المجدي الاعتقاد بان الولايات المتحدة لم تفلت من ايدى العرب، كما يظنون ، بل هي اقرب منالا من سواها فيما لو احسنا الاعراب بين الاميركيين عن وجهة نظرنا ، وانتزعنا بالدعاوة المنظمة المؤثرات التي تتركها شبهات الصهيونيين .

نحن الان في موقف لا نحسد عليه : فقد كدنا نقنع بالكتاب الابيض الذي حاربناه بالامس وناهضناه ، ورغم اننا اتخذنا هذا الكتاب كخندق نحتمي فيه ، ورغم انه مهدد بتهديم عاجل من جراء القذائف النارية التي تنصب عليه من لدن الصهيونيين صباً فانا لم نتفق على وضع خطة لحمايته على الاقل، فضلاً عن اننا لم نتفق حتى الان على برنامج وليد الدرس لانقاذ فلسطين .

وقد حملني على تأليف هذا الكتاب ما يحيق بفلسطين وما حولها من شر كبير وخطر مستطير . واذ نستعرض حقيقة الخطر ننوه بما لدى العرب من وسائل لو استعملوها لادركوا النصر . ونحن في ذلك نعتقد ان قضية فلسطين لم تعد قضية حقوقية يفيد فيها المنطق والاقناع وحسب . بل امست حربا قائمة بين الصهيونيين المكتسحين وبين العرب المرابطين والمناصرين . وهي حرب هجومية دفاعية تختلف عن الحروب الاخرى بأنها لا تعتمد على السلاح ، ولا تقتصر معاركها على نطاق فلسطين ، بل ان الاهتمام بها تعدى ذلك الى الشرق والغرب ، واصبحت جبهاتها الكبرى تمتد شرقا الى موسكو وغربا الى واشنطن، وتنبسط شمالا الى لندن، واما خير عتاد لها فهي الدعاوات المنظمة المستمرة ، والجهاد في ميادين هذه العواصم .

لذلك توخينا ان يكون هذا الكتاب ، مع عنايته بكشف الاستار عن الخطر الصهيوني ، ومع المامه الماماً بسيطا بالناحية الحقوقية، درسا عمليا توجيهيا يستند الى مذكرات وضعناها منذ بدء نضالنا في سبيل فلسطين، ولا سيما ما

كان منها يتعلق برحلتنا الى الولايات المتحدة والمكسيك وكوبا واوروبا في عامي (١٩٣٨ – ١٩٣٩) باسم الوفد العربي الفلسطيني، واردناه كتابا يدعو الى كفاح الصهيونيين باستخدام مثل السلاح الذي اعدوه وكسبوا به المعركة او كادوا، وهو لا يستند الى قوة الحق المطلق وانما يعنى أشد عناية بكسب عواطف العالم

واعترافا بما لاخواننا المهاجرين من جهود مشكورة في سبيل فلسطين اخترنا ان يكون التنويه ببعض الامثلة على هذه الجهود والمآتي الطيبة مسك الختام

بيروت في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٤٦

محمد جميل بيهم

الفصل الاول

القضية الفلسطينية من الناحية الصهيونية

وعد بلفور – موقف الولايات المتحدة – موقف بريطانيا العظمى

جلالة عبد العزيز آل سعود ينقذ الموقف

◆

وعـد بلفور

تحت ظروف قاسية خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) وقصداً الى الاستعانة بالعالم اليهودي مالياً وسياسياً ، وخاصة من اجل استخدام نفوذه في اخراج الولايات المتحدة عن حيادها ، وانضمامها الى الحلفاء ، استطاع الصهيونيون بعد جهود سنين ، ادراك امنيتهم بانتزاع وعد بلفور . وقـد جاء هذا الوعد في رسالة مؤرخة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ موجهة من اللورد بلفور ، وكان حينئذ وزير خارجية بريطانيا العظمى ، الى اللورد روتشيلد في لندن ، وهذا نصها نقلاً عن الترجمة الرسمية :

عزيزي اللورد روتشيلد

«يسرني ان ابعث اليكم ، نيابة عن حكومة جلالة الملك، بالتصريح الذي ينم عن العطف على امـاني اليهود الصهيونيين ، والذي رفع الى الوزارة ووافقت عليـه .

ان حكومة جـلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتحقيق هذه الغاية ، مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيء يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الان ، ولا الحقوق ، او المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى » .

وعد بلفور في صك الانتداب

عني مؤتمر سان ريمو في ٢٥ نيسان سنـة ١٩٢٠ بتوزيع الانتـدابات ، فكانت فلسطين من نصيب انكلترا . ووافقت عصبـة الامم على صك الانتداب ، على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي ادلت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ للشعب اليهودي (وعد بلفور) وادرجت في صلب الانتداب مواد خاصة لتأييد قيام الوطن الصهيوني في فلسطين

وهي : ١ — المادة الثانية : تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصـادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي كما جاء في ديباجة هذا الصك

٢ — المادة الرابعة : يعترف بوكالة يهودية صالحة كهيئة عامـة لتشير وتعاون في ادارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغـير ذلك مما

يس انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وتساعد في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائماً .

وقد اجازت المادة الحادية عشرة في هذا الصك للحكومة الفلسطينية الاتفاق مع هذه الوكالة لمباشرة الاعمال العامة والمصالح حيث لا تتولى الحكومة هذه الامور مباشرة بنفسها :

٣ — المادة السادسة : تنص على تسهيل الهجرة اليهودية

٤ — المادة السابعة : توجب وضع قانون لتسهيل حصول اليهود المقيمين بفلسطين على الرعوية الفلسطينية

وعد بلفور كما يريد ان يفهمه الصهيونيون

وقد فسر اليهود تصريح بلفور ، منذ البداية ، بمعنى تهويد فلسطين لغة وروحاً وديناً وسياسة . ولم يتورعوا عن مخاطبة مؤتمر باريس سنة ١٩١٩ طالبين اعتراف الدول بحقهم التاريخي بفلسطين ، وان توضع في احوال تكفل انشاء الوطن القومي وتساعد على انشاء دولة يهودية مستقلة . وهم قد جعلوا ذلك ميثاقا لهم في المادة الاولى من مقررات مؤتمر زوريخ ، ثم لم يترددوا عن الاعراب عنه لدى كل مناسبة من قبل ، ومن بعد : فقد روت لجنة هايكرفت Haycraft الانكليزية التي أمت فلسطين للتحقيق في ثورة عام ١٩٢٠ ان الدكتور « أدر » اجاب عن بعض الاسئلة بجرأة نادرة وقال : « انه لا يمكن الا ايجاد وطن قومي واحد في فلسطين وهو الوطن القومي اليهودي . ولا تمكن المساواة في الحقوق بين العرب واليهود . بل يجب ان يتغلب اليهود على العرب متى تكاثر عددهم » . وتروي اللجنة المذكورة في تقريرها ان الدكتور « أدر » أبى ان يعترف او يقبل بعبارة « ان تكون لليهود سلطة

او سلطان قومي » ووضع عوضاً عنها عبارة « ان يكون لليهود حق التسلط والتغلب » وتضيف اللجنة الى ذلك قولها « ولما كان الدكتور « أدر » رئيساً عاملًا للجنة الصهيونية فهو يحيط بافكار الصهيونيين واعتقاداتهم الرسمية من جميع وجوهها ، فلذلك تعتبر تصريحاته على جانب عظيم من الشأن .

ثم أتى على ذلك حين من الدهر ، وتبدل الرؤساء الصهيونيون ، ولكنهم لم يتحولوا عن ذلك المبدأ ، بالرغم من الصعاب والعراقيل التي اصطدموا بها ومن المعارضة المنيعة التي احاطت بهم . فهذا الدكتور وايزمن يصرح للجنة العشرة في مؤتمر السلام سنة ١٩١٩ قائلًا « اننا نريد ان تصبح فلسطين يهودية مثلما ان انكلترا انكليزية » ثم اذا به يكرر هذا التصريح بعد تسع عشرة سنة امام لجنة بيل الملكية وهذا الادون داڤيد بن غورين رئيس الوكالة اليهودية ما يزال يردد مثل هذا القول . ففي شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٤ اعلن « ان اليهود لا يمكنهم التخلي عن شبر من الارض في فلسطين ، حتى ولا في قمم الجبال ولا في كنوز البحر » . وفي ٢٦ آذار من السنة نفسها صرح في تل ابيب « ان الصهيونية قد رسمت سياستها ، وان فلسطين يجب ان تصبح دولة يهودية »

ولما انعقد مؤتمر الهستادروت اليهودي في تل ابيب في شهر آذار سنة ١٩٤٤ ، أقرّ هذه الاماني ودعا الى تحقيقها في القريب العاجل .

وكان يقيم في لندن اثناء انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية الخمسة « شهر ايلول سنة ١٩٤٥ » الدكتور آلتمان الرئيس السياسي المنظمة الصهيونية الجديدة في فلسطين ، فنقلت عنه الصحف قوله : « ان بريطانيا العظمى محتاجة في الشرق الاوسط الى استراليا يهودية . اننا نريد ان نعتبر هذه الدولة اليهودية

جزءاً من الجامعة البريطانية . ان فلسطين ستكون يهودية ، ولن يحول دون تحقيق ذلك شيء في العالم »

واخيرا فقد عقد في لندن غرة آب سنة ١٩٤٥ مؤتمر صهيوني عالمي دعا فيه جماعة اليسار مثل « هازومر هازير » والفئة اليسارية من العصبة الاشتراكية الديموقراطية المسماة «شبايت» ، الى انشاء دولة مشتركة فيما بين اليهود والعرب في فلسطين ، ولكن المؤتمرين من سائر الاحزاب هزؤا من هذه الدعوة ، واجمعوا على تأييد الدكتور وايزمن رئيس الوكالة اليهودية الذي لا يزال يصر على ان تكون فلسطين خالصة لليهود ، وعلى ان تكون تابعة لدولة يهودية . وقد تضمن بيان المؤتمر تأييد هذه المطالب التي طلبتها الوكالة اليهودية في مذكرتها المقدمة لحكومة جلالة الملك في شهر ايار سنة ١٩٤٥

وقد استنتجت جريدة يقظة الشباب الباريسية[1] من العبارة التي وردت في خطاب الدكتور المشار اليه من قوله : «وفي البلدان العربية الواسعة الغنية اكثر من فلسطين تستطيع الوطنية العربية ان تجد لها متسعا تعمل فيه على تثبيت دعائمها» . استنتجت الجريدة من هذه العبارة ان الدكتور يلمح للعرب الفلسطينيين بالرحيل

اماني الصهيونيين الروحية

ويعرب الصهيونيون ايضا بصراحة غريبة عن امانيهم الروحية في فلسطين وفي مقدمة هذه الاماني اعادة بناء هيكل سليمان « هار مقدش » على انقاض الحرم الشريف والمسجد الاقصى ، واستلام المعابد والاماكن المقدسة المسيحية على اعتبارها اسرائيلية الاصل . والخلاصة انهم يريدون فلسطين بكاملها على انها ارض الميعاد . وما حجتهم في ذلك الا ان لهم الاقدمية على العرب في فلسطين

(١) Le réveil des Jeunes 15 septembre 1945.

ولم يتورع الحاخام الاكبر في القدس عن الاشارة الى هذه الاماني بصراحة مكشوفة امام اللجنة الانكليزية سنة ١٩٣٠ اذ قال : « ان اعـادة الملك الاسرائيلي واسترجاع هيكل « هار مقدش » لا يتمان الا بامر سماوي في يوم موعود ». وهارمقدش ، كما هو معلوم ، هو هيكل سليمان الذي قام عـلى انقاضه الحرم الشريف والمسجد الاقصى. ويرى اللورد ملتشت الصهيوني[1] ان اليوم الذي يعاد فيه هذا الهيكل مكان المسجد الاقصى اصبح قريبا جدا .

وقد ادلى سماحة المفتي الاكبر الحاج امين الحسيني امام لجنة «بيل» الملكية سنة ١٩٣٦ ببيان عن هذه المطامع مثبتاً ما بسطه امام لجنة شو . وايده نيافة المطران حجار مطران الروم الكاثوليك في القدس .

الصهيونيون يحاولون استغلال الحرب العالمية الثانية

اعلنت الحرب العـالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ونفوس العرب واليهود في فلسطين لا تزال مضطربة قلقة ، ولكن نوعـا من الهدنة والهدوء ساد اثر نشوبها ، وخاصة في السنين الاولى منها حين كان الخطر يدنو رويدا رويدا من فلسطـين . ولكن الصهيونيين ، مع ذلك ، ما توانوا يوما عن انتهاز الفرص لمناسبة اضطهاد اليهود في اوروبا لاثارة الدعاوات في الاوساط الانكليزية والاميركية طلباً لفتح ابواب فلسطين للمهاجرين .

والصهيونيون الذين يحسنون انتهاز الفرص السانحة ، حاولوا استثمار هذه الحرب ، كما استثمروا من قبل الحرب العالمية الاولى : ذلك ان الخطر كان يقترب من بريطانيا العظمى ، وكانت ساعات الحرج تشتد وطأتها عليها ، فاذا ببرقية تصدر عن نيويورك يوم ٢ تموز سنة ١٩٤١ تفيد ان الدكتور وايزمن رئيس

(١) اللورد ملتشت هو مرشح الجمهوريين الصهيونيين لرئاسة جمهورية فلسطين الصهيونية

المجلس الملي اليهودي الاعلى وعد الحكومة البريطانية بضمان مساعدة الرأسماليين اليهود الدائمة في هذه الحرب اذا اخذت انكلترا على نفسها عهداً بترك فلسطين وقسم من لبنان الجنوبي من اجل انشاء الوطن القومي ».

وعلق اليهود على هذا الاقتراح اشاعات ايجابية شتى زاعمين بان الحكومة البريطانية وافقت على هذا المطلب . ولكن المستر تشرشل وضع حدا لهذه الاشاعات عندما اجاب بالنفي على سؤال وجه اليه في مجلس العموم عما اذا كان يوجد تبدل في سياسة حكومة صاحب الجلالة ازاء فلسطين .

وجربت حكومته فضلا عن ذلك ان تستميل العرب اليها ، وخاصة اهل فلسطين . فبينما كان اليهود يتفننون في الاعراب عن نقمتهم على المفوض السامي السر مكمايكل ويكيلون الانتقاد له ولحكومته لانه منع نزول ركاب باخرة من المهاجرين الى فلسطين ، كانت الحكومة الانكليزية تتظاهر بالعطف على قضية العرب في السنين الاخيرة من الحرب تداركا للخطر السوفياتي المداهم . واذكر اني لبيت وزوجتي في شهر نيسان سنة ١٩٤٢ دعوة اذاعة الشرق الادنى بيافا لالقاء بعض الاحاديث ، وقد دعانا السيد روبرتسن مدير المطبوعات في القدس لتناول الغداء بداره ، وكان الحديث يدور حول القضية العربية على وجه عام وفلسطين على وجه خاص ، فلم يتمالك السيد روبرتسن ، وهو من الاشخاص الذين يتمتعون بمقام رفيع بلندن الا ان يفضي لنا بالتطور الذي جرى في السياسة الانكليزية حتى اصبحت تعطف على قضية العرب ، وخاصة في فلسطين ، وقال : « ان امة لها تلك الامجاد التاريخية ، وان قوما وقفوا ذلك الموقف الشريف في فلسطين الذي يفيض وطنية واخلاصاً ، حرام ان تبقى بلادهم تحت الحكم الاجنبي ، فهم جديرون بالاستقلال حقا » .

على ان اليهود ، وخاصة يهود فلسطين ، اقبلوا على التطوع في الجيش البريطاني اقبالا شديدا ، رجالا ونساء ، وليس هذا معناه ان بغضهم لانكلترا قد انقلب حبا وهياما ، ولكن العدو المشترك الذي كان يهدد مصر وفلسطين ، والذي كان يحمل لهم بين جناحيه الفناء هو الذي كان يدفعهم للتجند والتظاهر بمظهر العطف على قضية الحلفاء .

وتغير الموقف بعد احتلال جيوش الولايات المتحدة والحلفاء شمالي افريقيا واطمئنت نفوسهم الهلعة ، فعادوا الى نغمتهم التقليدية ، نغمة الوطن القومي بفلسطين . وكان صوت الدكتور وايزمن رئيس الوكالة اليهودية نذيرا باستئناف العمل ، فقد صرح في نيويورك « ان الفرصة قد سنحت لان احتلال شمال افريقية يهيء للصهيونية نقطة ارتكاز عظيمة بين نيويورك وفلسطين» .

نجاح الصهيونيين في الولايات المتحدة

واتخذ الصهيونيون واشنطن ونيويورك قاعدة لاعمالهم خلال الحرب الاخيرة : فقد وجدوا فيها الوعود الجذابة ، والمنال القريب ، وجدوا شيئاً لم يجدوه في لندن المتحفظة المتكتمة ، التي لا تعني الا بالامور الكبرى ابان الحرب . وكان السيد وندل ويلكي قد زار الشرق الادنى اواخر عام ١٩٤٢ وعرج على فلسطين ، ولما عاد لاميركا تحدث عنها حديثه عن مزرعته التي يهبها لمن يشاء وايد وعد بلفور . ثم استطاع اليهود استصدار تصريحات اخرى في هذا المعنى من المارشال سمطس رئيس حكومة جنوبي افريقية ؛ ومن انصارهم في اميركا مثل السيد هوفر رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق والشيخين تافت وكيفر وتوماس ديوي حاكم ولاية نيوريوك .

على ان مساعي الصهيونيين تخطت حدود التصريحات وتغلغلت في صميم

الكونغرس ، فاستطاعوا اواخر سنة ١٩٤٢ بمناسبة المهرجانات التي اقاموها لمرور ٢٥ سنة على وعد بلفور ،ان يضمنوا تواقيع ٦٢ عضوا من اعضاء مجلس الشيوخ و١٨١ عضوا من اعضاء مجلس النواب على مذكرة موجهة الى الرئيس روزفلت والى وزير الخارجية يطالبون فيها بالحرص على السياسة التقليدية للولايات المتحدة بشأن استرداد الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وكان في طليعة الموقعين المستر البن باركلي زعيم الاكثرية في مجلس الشيوخ ، والمستر تشارلس واجنر زعيم الاقلية فيه ،وكذلك السيد جوزف مارتن زعيم الاقلية في مجلس النواب ، كما انه وقع المذكرة ثمانية عشر عضوا من اعضاء لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الشيوخ . وهذه خلاصة المذكرة :

١ – منذ ٢٥ سنة أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور الذي تتعهد فيه بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

٢ – وقد نشر الوعد على العالم بموافقة جميع حلفاء بريطانيا في الحرب الماضية وتشجيع حكومة الولايات المتحدة وتعضيدها .

٣ – وقد ضم هذا الوعد الى معاهدة الصلح بمساعدة الرئيس ويلسن وموافقته ، واعرب عن ثقته بأن الوعد سوف ينفذ .

٤ – وبعد ذلك ببضع سنين اتخذ مجلسا الشيوخ والنواب الاميركيان قراراً اجماعياً بالموافقة على المشروع . وفي ٢١ – ٩ – ٢٢ وقع الرئيس ويلسون على القرار نفسه .

٥ – ومنذ ذلك الوقت حتى الان ظلت هذه السياسة تفوز بموافقة كل حكومة اميركية ، ومنها الحكومة الحاضرة ، وعلى هذا اصبحت سياسة الوطن القومي هي السياسة الاميركية التقليدية .

٦ – وكان من الحق اعتبار وعد بلفور كعمل تاريخي للتعويض على اليهود ، وكدستور تحرير للشعب اليهودي . والغاية منه فتح ابواب فلسطين للجموع اليهودية التي لا مأوى لها والتمهيد لاقامة « كومونولث » يهودي في فلسطين .

٧ – والاسباب التي دعت الشعب الاميركي والحكومة الاميركية الى تعضيد

الوطن القومي اليهودي في فلسطين منذ ٢٥ سنة لا تزال قائمة . والواقع ان الحاجة الآن الى تأسيس الوطن القومي في فلسطين هي أقوى اليوم منها منذ ٢٥ عاماً .

٨ - وقد تقدمت عملية اعادة استعمار فلسطين من تجربة امل الى حقيقة تبعث القوة والعزم في القلوب ، في حين ان حالة اليهود في اوربا قد ساءت الى حد مخيف حقاً

٩ - ان ملايين من اليهود المطاردين الذين لا مأوى لهم في اوربا على استعداد للعمل المتواصل من اجل اعادة حياتهم من جديد في وطن اسلافهم حين تحين ساعة الخلاص .

١٠ - وعلى هذا ، وبناء على ما تقدم فاننا نتخذ من ذكرى وعد بلفور الخامسة والعشرين سبيلا للاعراب عن استمرار اهتمامنا وتعضيدنا لهذا الوعد للغايات والمبادىء التي أعطي من اجلها .

١١ - ونريد كذلك ان نبعث برسالة امل وهتاف لاولئك الموجودين في فلسطين ، والذين يواجهون عدواً مشتركا بشجاعة وقوة ،والذين يساهمون برجالهم وجهودهم للقضية الديمقراطية .

١٢ - وتجاه سياسة النازي التي ترمي الى محاولة افناء اليهود كشعب ، فنحن نعلم انه حين تنتهي الحرب فسوف يكون هدف العالم المتمدن المشترك ان يصحح هذا الخطأ القاسي ، وان يمهد للجماهير اليهودية التي ستظل على قيد الحياة في اوربا ، سبل اعادة بناء حياتهم في فلسطين حيث يتمكن الشعب اليهودي ان يقيم لنفسه من جديد مكانة تتساوى في الكرامة مع مكانة اي شعب آخر في العالم . »

وقد كان لهذه المذكرة دوي سيء الوقع شديد التاثير على العالم العربي ، فاندفع يوجه الاحتجاجات الشديدة ، سواء في ذلك الحكومات والجمعيات والطلاب في المعاهد العليا ، وقابل على اثر ذلك وفد من الكتلة الاسلامية في بيروت السيد ودسورث المعتمد السياسي لحكومة االولايات المتحدة يوم ٨ شباط سنة ١٩٤٣ حيث بسطنا له شدة وقع هذا الحدث على العالمين العربي والاسلامي ، وقدمنا بواسطته مذكرة الى واشنطن وهذا تعريبها :

سعادة المعتمد السياسي لحكومة الولايات المتحدة الافخم

ان البلد الذي برهن قبل ٢٦ سنة على ثقته بالولايات المتحدة في الاستفتاء

الشعبي الذي قامت به لجنة كينك - كرين ، من الطبيعي جداً ان يستقبل بالارتياح التام المظهر الجديد الذي بدت فيه سياسة دولة اميركا الخارجيــة ونعني به العدول عن سنة العزلة .

وليس مرد هذا الارتياح الى الاثر الطيب الذي تتركه الجامعة الاميركية ، في بيروت ، هذه المؤسسة العالية ، في بعثنا القومي ونهضتنا الحديثة فحسب ، بل يرجع الى مؤسسات اخرى خيرية اميركية لها آثار محمودة نكن لها ايضاً الاعجاب الرفيع .

وكان من المفروض ان تعطي المؤسسات الاميركية الخاصة في الدعاية والنشر التي رافقت هذا المظهر الجديد في الشرق العربي الذي يتوق للحرية والاستقلال . أجل ، كان من المنتظر ان تكلل مساعي هذه المؤسسات بالنجاح ، وخاصة انها كانت تستند الى التبشير بعهد جديد باسم وفقاً لتصريح ٢-١-٤٢ القائم على قواعد وثيقة الاطلانطيك الذي وقعت عليه الامم المتحــدة في واشنطون . ولكن تصريحات ، ما زالت تتوالى منسوبة لبعض رجالات الولايات المتحدة وتؤيد وعد بلفور ، أغرقت هذه المؤسسات في بحر من الريبة والشك في العالم العربي حتى لم يبق لها ذلك الصدى الطيب . لان هذا الوعد ، كما هو معلوم ، لم يجب لكفاحه اهل فلسطين فقط مــدة عشرين حولا بل فحسب جمع تجاهه كلمة العرب والمسلمين . وقد تجلى هذا الاتحاد في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن في سنة ١٩٣٩ .

وكان من المحتمل اعتبار هذه التصريحات الاميركية من الاماني الفردية ، لولا انها اتخذت لوناً جديداً من شأنه ايهام الناس انها تعبر عن الاتجاه الاميركي الجديد . ذلك ان الصحف نشرت اخيراً خبراً يفيد ان ٦٢ شيخاً و ١٨١ نائباً بينهم زعمـاء الاكثرية والاقلية في مجلسي الشيوخ والنواب الاميركيين وفي عدادهم ١٨ عضواً من اعضاء لجنة الشؤون الخارجيــة رفعوا لفخامة رئيس الجمهورية والى وزير الداخلية ، لمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لوعد بلفور ، مذكرة يطلبون فيها الحرص على السياسة التقليدية للولايات المتحــدة الخاصة بالوطن القومي الصهيوني في فلسطين ، ويصرحون بان الغاية من هذا الوعد انما هو فتح هــذا البلد للجموع اليهودية التي لا مأوى لها والتمهيد لاقامة كومونولث يهودي .

وعلى الرغم من ان العالم في وضع حربي لا يأذن لاي كان باتخاذ الضوضاء مظهراً لما يخالج نفسه فان العرب والمسلمين استقبلوا هذا النبأ بالوجوم والقلق ، ولم يسعهم الا الاعراب بشتى الاساليب عن الاثر السيء الذي تركه هــذا الخبر في اوساطهم :

ثمن اضراب دام ثلاثة ايام ، الى برقيات احتجاج تتابعت من كل جانب ، واستفحل اثر تلك التصريحات حتى ان طلاب جامعة بيروت الاميركيـة ما وسعهم ، رغم ما قطعوه على انفسهم من اجتناب السياسة ، الا تقديم احتجاجهم الحار الى رئيسهم المحبوب .

فنحن ياسعادة المعتمد لا نشك في ان مؤيدي وعد بلفور في اميركا ، واكثرهم لا يعرف عن امتنا وبلادنا اكثر مما نعرف عن بلاد التيلند ، انمـا هم حسنو النية غرتهم الدعاوات الصهيونية التي تضرب على وتر الانسانية الحساس ، وهم لو تعمقوا في الدرس قليلا وعلموا وجهـة نظر العرب لحكموا لهم دون غيرهم . واما الذي نأخذه على حضراتهم ان ينسبوا الى الولايات المتحدة ، العريقة في الديمقراطية ، انها ذات سياسة تقليدية تتوخى تأييد الوطن القومي الصهيوني . والذي نعلمه ان حكومـة الولايات المتحدة اذاعت عام ١٩٣٨ بلاغاً يستفاد منه ان الذي يهمها في قضية فلسطين انما هي الناحية التي تتعلق بحماية رعاياها هناك ، اجل ، وان رئيس هذه الكتلة الاستاذ محمد جميل بيهم الذي كان على رأس الهيئة العربية التي فاوضت وزارة الخارجية في واشنطن خـلال شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٩ بشأن القضية الفلسطينية ، كان له الحظ ان يستمع الى مثل هذا التأكيد من مستر - سمنرولز نفسه ، الذي قال ايضاً : « ان كل تصريح من اي كان مصدره يتعدى حد هذا البلاغ يمكن اعتباره تصريحاً شخصياً »

واذا كان موقعو تلك المذكرة ارادوا ان يجعلوها رسالة امل وهتاف لليهود في فلسطين ، كما جاء في المادة ١١ منها ، فهل من الانصاف مؤاساة هؤلاء بادماء قلوب العرب المسلمين على حين ان راديو لندن قدر قبل شهر عدد المجندين منهم في صفوف الحلفاء ببضعة ملايين ؟ ام هل من العدل توجيه صدمة كهذه الى العرب الذين بلغ حماسهم في تأييد الديمقراطية حداً افضى الى اعلان حكومة بلاد الرافدين الحرب على دول المحور .

ومن يدري ؟ فلعل ذلك التأييد الذي يحيط بوعد بلفور في الولايات المتحدة هو مكافأة للجالية العربية فيها بسبب اقبالها على التجنيد في صفوف الجيش الاميركي !

أليس من حق العرب والمسلمين ، وهم يذكرون ان بعض الحروب الاوربية قبل قرن ، كان مصدرها التنافس بين الامم على خدمة الاماكن المقدسة باورشليم ، أليس من حقهم ان تتملكهم الدهشة اذا وجدا خلفاء تلك الامم يؤيدون اقامة كومونولث يهودي في البلد المقدس ، مع علمهم ان اليهود يريدونه خالصاً لهم دون غيرهم ؟

على انه كان من الافضل لهؤلاء المشفقين على اليهود ان يجودوا من ممتلكاتهم الخاصة ، على ما في اميركا من ولايات كثيرة ، مثل ولاية تكساس ، يستوعب جانب

من جوانبها يهود العالم قاطبة .

ونحن لا نحاول هنا ، ان نومىء الى حقوق عرب فلسطين ببلادهم ، فحسبنا ان نشير الى الرسالة المقدمة من صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود الى فخامة الرئيس روزفلت المؤرخة في ٧ شوال ١٣٥٧ و ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٨ فقد جاء في شطرها الاخير ما يأتي : « ومن المستحيل اقرار السلم في فلسطين اذا لم ينـل العرب حقوقهم ويتأكدوا ان بلادهم لن تعطى الى شعب غريب أفاق تختلف مبادئه واغراضه عنهم » . لذلك كله فاننا نرفع احتجاج الكتلة الاسلامية على موقف بعض المسؤولين في حكومة الولايات المتحدة من العرب والمسلمين في القضية الفلسطينية ، معتبرين ان مثل هذا الموقف لا يتلاءم مع سياسة الدولة الديمقراطية في خطواتها الجديدة .

وعلى رجاء ان ترفعوا هذه المذكرة الى علم فخامة رئيس الجمهورية في واشنطن والى وزارة الخارجيـة ، وعلى امل ان تحظى كتلتنا بجواب يطمئن النفوس المضطربة نرجوكم ان تتلطفوا بقبول فائق احترامنا . »

بيد ان هذه الاحتجاجات كانت تذهب ادراج الرياح ، اما ما يثمر فهو العمل المستمر المنظم الذي يقوم به الصهيونيون بتعاون غريب . وقد شجعهم هذا التفرد في ميدان العمل الى اعلان مطالبهم والغـلو فيها غلواً مسرفاً . وقد بدأ هذا الغلو في المؤتمر الصهيوني الذي عقدوه في شهر ايلول سنة ١٩٤٣ بمدينة بلتيمور قصد القضاء على الكتاب الابيض ، وجاء في مقرراته :

٩ — ان مؤتمر الولايات المتحدة اليهودي الذي يفهم التبعات حيال اليهود الاوربيين المضطهدين يطالب بتنفيذ تصريح بلفور والانتداب تنفيذاً صحيحاً دون تحيز فيه على اعتبار ان ذلك التصريح كانت غايته تحويل فلسطين الى مملكة يهودية .

« ب — ونحن نطالب ان تكون ابواب فلسطين مفتوحة للهجرة اليهودية وان تعتبر الوكالة اليهوديـة التي اعترف بها الانتداب كممثلة شرعية للشعب اليهودي وان تخول الصلاحية اللازمة لكي توضع بصورة كبرى الامكانيات

الزراعية والصناعية في فلسطين »

هذا وكان اليهود يزدادون نشاطاً للعمل كلما دنا يوم ٣١ اذار ١٩٤٤ ، الموعد الذي عينه الكتاب الابيض لوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ويزدادون حماسة ونشاطاً كلما بدرت من العرب بوادر اهتمام وتفكير بالوحدة العربية منذ اثيرت من جراء تصريح المستر ايدن وزير خارجية بريطانيا العظمى في مجلس العموم يوم ٢٤ شباط ١٩٤٣

اخفاق اليهود في لندن

وكما وثب اليهود خلال ذلك للعمل في اميركا فقد نشطوا ايضاً في لندن لتأييد نظرياتهم خصوصاً وان هذه المشاورات في الوحدة العربية قد تناولت قضية فلسطين . واسسوا هيئة صهيونية جديدة في عاصمة بريطانيا العظمى برياسة السر وندهام ديدس . وجاء الدكتور حاييم وايزمن اليها واتصل فيها اتصالات متينة برجال السياسة . وشاءت عناصر الدعاوة الصهيونية ان تعلق على محادثاته معهم فنشرت بعض التعليقات الكاذبة تريد بها ان تؤثر على الكونغرس بواشنطن ، كما كانت تفعل وهي بنيورك ، للتأثير على مجلس العموم بلندن .. من ذلك ان شركة يونيون برس زعمت ان المستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا العظمى قد صرح للدكتور وايزمن بانه من القائلين ببطلان الكتاب الابيض ، ويترقب ان يأخذ الكونغرس الاميركي بهذا الرأي ليستعين بقراره على اقناع رأي المسؤولين في لندن ! وابدت الاوساط اليهودية اهتماماً كبيراً بدعوة الدكتور وايزمن الى مائدة وزارة الخارجية

وعقد الصهيونيون مؤتمراً في لندن وحملوا فيه على الكتاب الابيض

، ووفقوا لحمل حزب العمال الانكليزي ان يطالب تكراراً بتحقيق اماني‌هم وتسخير بعض البريطانيين امثال جرينوود وامري واستر ابولجي لخدمة مطامعهم .

اما حكومة لندن فقد اقرت ، في الواقع ، الرأي القائل بتأجيل البحث في قضية فلسطين ، وقرر مجلس اللوردات اوائل عام ١٩٤٤ ارجاء هذا البحث الى اجل غير مسمى .

ولاح لليهود وجود فكرة عند بعض الساسة البريطانيين ترمي الى استئناف درس مشروع قسمة فلسطين حلاً للمشكل ؛ فتنادوا الى مؤتمر عقد في القدس شهر كانون الاول ١٩٤٤ اسموه مؤتمر المختارين الصهيوني قرر ان هذا المشروع يخالف الصلة التاريخية والدينية والقومية القائمة بين الشعب اليهودي وبين فلسطين وطالبوا بفتح ابوابها للهجرة .

ثم ازدادوا نشاطاً ، على نشاطهم ، خلال مشاورات الوحدة العربية في مصر وقيام الجامعة العربية ، فعقدوا المؤتمرات الكثيرة واخصها مؤتمر الاتحاد الصهيوني البريطاني بلندن في غرة عام ١٩٤٥ ، الذي شهده ما ينوف على الثمانماية مندوب ، وأيدت قراراته مقررات مؤتمر القدس ونوهت بالمطالبة الشديدة بالالغاء الكتاب الابيض .

وكأنهم تعمدوا بهذا التأثير على مؤتمر العمال الدولي الذي عقد في لندن بعيد ذلك في شهر شباط ١٩٤٥ . وكان لهم ما ارادوا اذ اصدر هذا المؤتمر قراراً يتضمن تأييد مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين رغم اعتراضات وفد عمال العرب المشتركين فيه وبعض الوفود المناصرة لهم .

ولكن حدث بعيد ذلك ما حمل هذا المؤتمر على ان يسحب هذا القرار : فان جلالتي الملك عبد العزيز بن سعود والملك فاروق ، وفخامة

شكري بك القوتلي رئيس الجمهورية السورية وقفوا جميعاً من قضية فلسطين موقفاً حازماً وذلك اثناء الاجتماعات التي تمت لكل منهم في مصر مع كل من الرئيسين روزفلت وتشرشل عقب عودتهما من مؤتمر « يالطا » في القرم. وكان من تأثير هذا الموقف ونفوذ التكتل العربي ان حكومة لندن التي تتألف في الجملة من حزب العمال توسطت لدى هذا الحزب لسحب القرار المذكور. وكان ذلك نجاحاً بيناً للناحية العربية.

على ان اليهود لم يفت بعضهم هذا الاخفاق، بل ظل الاتحاد العربي والمساعي المبذولة في سبيل تحقيقه حافزين لهم للعمل اكثر فاكثر، لا سيما حينما رأوا الدول العربية تدعى لمؤتمر سان فرنسيسكو. ومثلما عقدوا المؤتمرات في الولايات المتحدة والمكسيك وفلسطين ولندن هب زعماؤهم لمقابلة رجالات بريطانيا واميركا ونشطت الوكالة اليهودية في فلسطين لسوق الوفود تباعاً الى عواصم العالم الكبرى، وكانت لبعضهم محادثات خاصة مع السير ادوار غريك الوزير البريطاني في الشرق الاوسط ومع اللورد غورت المندوب السامي في فلسطين.

هذا الى انهم تنادوا لعقد مؤتمر صهيوني عالمي مذ اخذ المنتصرون يقررون مصير العالم فعقدوا مؤتمر الاقطاب الخمسة في اول آب سنة ١٩٤٥. افتتح الصهيونيون هذا المؤتمر فأيد المطالب التي قدمتها الوكالة اليهودية الى الحكومة البريطانية في شهر ايار من العام نفسه وعلى رأسها رفض الكتاب الابيض؛ وفتح سبيل الهجرة واتخاذ قرار عاجل لجعل فلسطين دولة يهودية.

وربما اختاروا هذا الوقت لعقد هذا المؤتمر محاولة التأثير على مجلس ممثلي بريطانيا العظمى في الشرق الاوسط الذي اجتمع بعيد ذلك في لندن وبحث معضلة فلسطين. على انهم وان لم يدركوا بغيتهم، وان خيبت حكومة العمال

آمالهم[1] فانهم استطاعوا ان ينتزعوا برقيات التأييد من البلاد التابعة للتاج البريطاني . فاخذت هذه البرقيات تنهال على حكومة الماجور اتلي خلال شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٥ انهيال الامطار صادرة عن كندا وجنوبي افريقيا واوستراليا وغيرها .

سياسة العنف الصهيونية في فلسطين

وخلال ذلك الجهود الجبارة التي كان اليهود يبذلونها في اميركا وبريطانيا عمدوا الى ممارسة سبيل جديد ، هو سبيل العنف والاضطراب ، ومجابهة السلطة الانكليزية في فلسطين نفسها منذ مطلع عام ١٩٤٤ . وقد تولى كبرى ذلك جماعتان متطرفتان : « ارجون زباني ليومي ، وهجانا » تتخذان المراسم الفاشية والزي الفاشي ، وقوامها جنود العاصفة ، وتأتمر باوامرها بعض العصابات الارهابية ، وعلى رأسها عصابة شتيرن . وقد اطلقت هذه العصابة على هيئتها اسم شتيرن الذي قتل اثناء تفتيش البوليس لمدينة تل ابيب خلال هذه الحوادث

وقد ولت هذه العصابات وجوهها شطر السلطة الحكومية ، فانحصرت حوادثها في الاعتداء على رجال الامن وعلى الاملاك الحكومية . ويؤخذ من وثيقة وجدت في غرفة المتهمة « حاسيا » من اعضاء العصابة ان الصهيونيين تمادوا في الاعتماد على انفسهم حتى اصبحوا يريدون اجلاء بريطانيا العظمى ، التي حمتهم بحرابها ، عن فلسطين . فقد جاء في هذه الوثيقة التي تليت في المحكمة :

---

[1] سبق لحزب العمال انه رفض عام ١٩٣٩ تاييد الكتاب الابيض ، غير انه لما تولى الحكم بدل موقفه ويقول السيد بيفن وزير الخارجية ان الاراء التي تأتي متأخرة قد تكون اصوب من الاراء التي تبدر بشيء من التسرع

« واننا نعتبر كل عنصر غير يهودي يسيطر على هذه البلاد عدواً لدوداً لنا ، وعلى هذا الاعتبار نرى في بريطانيا العظمى عدواً لنا ما دامت تسيطر على فلسطين ... »

وظلت هذه العصابات تواصل نشاطها بحماس شديد غير عابئة بالشدة التي استعملتها حكومة فلسطين ازاءها ، حتى بلغ من طغيانها انها اقدمت في ٨ آب ١٩٤٤ على الانتقام من ممثل بريطانيا العظمى الذي اشرنا الى غضب اليهود عليه ، فسببوا جراحا بسيطة للسر مكمايكل في يده وفخذه . وبينما لم تصب عقيلته بسوء . فان الجنرال المرافق وسائق السيارة قد جرحا جراحا خطيرة . وانتهى بهم الامر الى الفتك باللورد موين الوزير البريطاني المقيم في الشرق الاوسط ، وذلك في القاهرة يوم ٧ ت ٢ ١٩٤٤ . فكانت هذه الجريمة حافزاً لحكومة لندن لان تقابل العنف بالعنف فتقضي بذلك على شغب الصهيونيين في فلسطين بصورة موقتة .

ولكن الصهيونيين لم يلبثوا الا قليلاً فاستأنفوا اعمال العنف صيف ١٩٤٥ ضد الحكومة ، افرادها ومبانيها ، قصد التأثير على محادثات لندن قبيل اعلان حكومة العمال سياستها . كما انهم اعادوا الكرة في نهاية العام للضغط على افكار اللجنة الانكليزية الاميركية قبيل وصولها لفلسطين ، ولا زالت انباء العدوان الذي يرتكبه الصهيونيون في الارض المقدسة تترامى الينا خلال طبع هذا الكتاب .

الانتخابات في الولايات المتحدة فرصة ينتهزها الصهيونيون

والانتخابات فرصة هامة من الفرص السانحة ، لن يدعها الصهيونيون تمر دون ان يقتنصوها اقتناصاً ، وهم انما يبتاعون موافقة العالم على امانيهم بما لديهم

من وسائل مختلفة في مقدمتها المال • عرضت لهم هذه الفرصة لدى انتخابات الولايات المتحدة عام ١٩٤٤، ولا شك انها فرصة مغرية يملكون فيها الترجيح : فالعطف منهم على بعض المرشحين يؤمن لهم خطوات واسعة نحو النجاح ، والنقمة على البعض الآخر يحول بينهم ايضاً وبين هذه المقاعد الشاغرة ٠٠٠ فلا عجب ان يسعى المرشحون لرئاسة الجمهورية ونيابتها والمرشحون للمجلس النيابي والمقاعد الشاغرة في مجلس الشيوخ وان يتقربوا الى الصهيونيين متوددين اليهم في سبيل آلاف من الاصوات تدفعهم الى المناصب التي يريدون بلوغها ٠

والتودد الى اليهود والتقرب منهم يعني العمل على تحقيق اعز امنية لديهم وتأييد أحب امل الى نفوسهم : انشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ٠

وطبيعي ان تفكر العقليـــة اليهودية بالربح الوافر والاستغلال الواسع فانهمرت تصريحـــات شتى من رجال السياسة في اميركا ملائمة لاماني اليهود وآمالهم ، وكلما دنا موعد الانتخاب ازدادت هـــذه التصريحات كثرة وقوة ووضوحا ٠ وقد نقلت الينا الانباء تباعاً مجموعة تصريحات للرئيس روزفلت وزوجه السيدة اليانور ، وابنه السيد جيمس ، الذي زار تـــل ابيب صيف ١٩٤١ ، وكلها تدور حول امنية الصهيونيين قصد حمل حكومة جلالة ملك بريطانيا على الغاء الكتاب الابيض ، او وقف مفعوله على الاقل استئنافاً لفتح ابواب الهجرة ٠

وما كادت الانتخابات تطل من وراء بضعة اشهر فقط ، حتى بـــدأ أثر اليهود حاداً بعيد المدى ، فتنقل الينا الانباء في ١٣ اذار ١٩٤٤ الخبر التالي : عمم السيد ستيفن ويز رئيس المؤتمر اليهودي الاميركي ، (وهو حاخام نيورك) تصريح الرئيس روزفلت باذن منه ، وقد جاء فيه : « ان الحكومة الاميركية لم توافق مطلقاً على الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩ ، وان الرئيس مغتبط لان

ابواب الهجرة ظلت مفتوحة ، وانه عندما يحين الوقت لاتخاذ قرارات حاسمة سينظر بعين العطف الى امنية اليهود . وهذه امنية حازت دائماً اعظم عطف لدى حكومتنا وشعبنا . وهذا العطف هو الان اعظم منه في اي وقت آخر بسبب مئات الالوف من اليهود المشردين ...»

وارادت الاحزاب المنافسة للرئيس روزفلت ان تنافسه في هذا المضمار ، وان تحاربه بنفس سلاحه ، فبذل السيد ديوي ، منافس السيد روزفلت ومرشح الحزب الجمهوري ، وعوداً سخية في تأييد الحركة الصهيونية ومبادئها ، وحذا حذوه بقية المرشحين للمناصب الاخرى ، الى ان اصبح تأييد الصهيونية بنداً من بنود برنامجي الحزبين الديمقراطي والجمهوري ، او هو الورقة الرابحة في الانتخابات الاميركية .

وطوى هذان الحزبان ، اللذان يمثلان الولايات المتحدة ، رسالة اميركا العالمية واهدافها الانسانية النبيلة ، وغطوا ماضيها الخالد الزاهي في سبيل حفنة من اصوات اليهود الاميركيين ومن اجل كسب عطف الرأسمالية اليهودية ...

واما البرقيات التي عكف العالم العربي على ارسالها الى اميركا في هذه المناسبة ، واما المقالات التي وجهتها الصحف العربية الى قادة اميركا ، فكانت تتلاشى في فضاء نيورك وواشنطن دون ان تحمل اي معنى او تفهم اي رجل لانها لا تدفع احداً الى المنصب ولا تمنع مرشحاً عن كرسي الرئاسة ! ...

ولم يقف الامر عند حد التصريحات بل دخلت قضية فلسطين حسب اهواء الصهونيين حيز التنفيذ الرسمي بواشنطن : فقد اذاع الراديو في غرة آذار ١٩٤٤ فحوى ذلك الاقتراح الذي قدمه بعض الشيوخ للجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ ، بطلب اقامة دولة يهودية في فلسطين ، على ان تفتح ابوابها للمهاجرين . ولكن هذا الاقتراح قوبل بحزم شديد وعزم من

الدول العربية ، فكان له التأثير السيء على الهند ايضاً فضلاً عن بلاد العرب مما حمل السيد هنري ستمبسون وزير الحربية الاميركيـة ،مؤيداً من رئيس اركان الحرب القائد جورج مارشال،على ان يتدخل ويطلب بالحاح مراعاة للحالة العسكرية رفض هذا الاقتراح . وتحت هذا الضغط قررت لجنة الشؤون الخارجية وقف المناقشة في هذا الاقتراح .

ومن المؤسف ان النفوذ اليهودي كان قوياً الى حد حمل وزير الحربية المشار اليه بعد ان رجحت كفة الحلفاء في الحرب الى التراجع وترك المجال للكونكرس ان يستأنف البحث في ذلك الاقتراح . ولكن اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية رأى ان جلالة المليك عبد العزيز بن سعود حقيق بانقاذ الموقف لما للولايات المتحدة عنده من المصالح الاقتصادية فقرر توجيه رسالة الى جلالته،وكلفني بوصفي رئيساً لهذا الاتحاد ان اتولى ارسالها بالسرعة . وانا ندرج نص هذه الرسالة المؤرخة في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٤ لانها تستعرض الحوادث التي نحن في صددها

سيدي المليك المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فان البلاد العربية قاطبة والامصار الاسلامية جمعاء القلقة المضطربة بسبب الانباء التي تصل اليها من اميركا حول مشروع اقامة دولة يهودية في فلسطين تتجه بانظارها الى جلالتكم ذاكرة ما كان لرسالتكم الموجهة للرئيس روزفلت في ٧ شوال ١٣٥٧ - ١٩٣٨ من التأثير العظيم في ذلك الحين .

ومن المؤسف ان الوعود التي تكال لليهود في اميركا لم تقف عند حد التصريحات الانتخابية بل تعدتها الى حيز التحقيق : فقد اتصل بجلالتكم انباء تراجع مستر هنري ستمبسون وزير الحرب في واشنطن والخطاب الذي ارسله الى الشيخ واغنر و قال فيه : « اشعر بان الاعتبارات العسكرية التي حملتني فيما مضى على المعارضة في اقرار مجلس الكونغرس الاقتراح الخاص بالحملة على الكتاب الابيض لم يعد الان عاملا

قوياً كما كانت في ذلك الوقت . »

واتصل بجلالتكم ايضاً تصريح هـذا الوزير بخطاب ارسله الى المستر تافت ، عضو مجلس الشيوخ ، الذي جاء فيه : « ان الاعتبارات الحربية لم تعد تحول الان دون جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود . »

ولاحظتم جلالتكم ان تصريحي الوزير المشار اليه كانا بمثابة فتح باب كان قد اغلق بوجه الصهيونيين موقتاً فاستأنفوا نشاطهم ، واستأنف انصارهم كيل التأييد لهم : فاذا بنا نقرأ ان السيد سول بلوم رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الاميركي يعلن ان اللجنة ستجتمع في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ للبحث في الاقتراح المقدم من الشيخ تافت المتضمن جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود .

وهم الى ذلك لم يعودوا يقنعون بوعد بلفور الذي نص على اقامة وطن قومي في فلسطين ، بل يريدون تحويل فلسطين بتمامها الى دولة يهودية بحيث تصبح مركزاً ستراتيجياً ممتازاً للتسلط على البلاد العربية جمعاء ، حاسبين ان نجاحهم في اميركا سيؤمن لانصارهم النجاح في لندن حيث يتخذون من موافقة الكونغرس وسيلة لاقناع البرلمان البريطاني بتمزيق الكتاب الابيض واستئناف الهجرة لفلسطين .

افتكون فلسطين الفداء الذي يقدمه الطامعون بالمناصب لليهود وذلك خلال اجتماع العرب للاتحاد في سبيل المحافظة على كيانهم وكرامتهم ؟

لا والله لن يتم لهم هذا الامر والمليك المفدى عبدالعزيز بن سعود يحتضن قضية العرب .

اما وانا اصبحنا لا نعلق اهمية على الاحتجاجات الجوفاء ، لا سيما وان الشعب الاميركي هو من اشد الشعوب تأثراً بمصالحه الاقتصادية ، اما وان مصلحة واشنطن اصبحت شديدة الارتباط بعرشكم المؤيد فان اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية تطلع في الجلسة التي عقدها يوم ١٩ تشرين الاول سنة ١٩٤٤ الى سدتكم الرفيعة وقرر بالاجماع طلب نجدتكم لفلسطين ومؤازرتكم العاجلة لانقاذها .

لقد قلتم في كتابكم للرئيس روزفلت عام ١٣٥٧ ﻫ – ١٩٣٨ م « ومن المستحيل اقرار السلام في فلسطين اذا لم ينل العرب حقوقهم ويتأكدوا ان بلادهم لن تعطى الى شعب غريب افاق تختلف مبادؤه واغراضه عنهم . » وكم نحن الان في حاجة ماسة لترديد هذا القول . فلعل الساسة هناك يذكرون ان الشعب الاميركي مصالح تتعدى حدود المصالح الشخصية فيراعونها . ولعل العرب الذين لم يضعوا حتى الان

برنامجا عاماً للدفاع عن فلسطين ، لعلهم اذا رفعتم صوتكم يجـدون فيه صوت الراعي الصالح المخلص فيلتفوا حوله وينقذوا باتحادهم هذا البلد المقدس وما اليه من الامصار العربية المهددة .»

وارجو في الختام ان يؤيد الله جلالتكم بنصر من عنـده ويوفق مساعيكم سيدي الملك المعظم . »

وكان من التوفيق الذي رافق هذا الكتاب تراجع الكونغرس الامير كي باشمار من حكومة واشنطن واشارة من البيت الابيض ، عن عزمه ، فلم يبحث من ثم اقتراح انصار الصهيونيين بفتح ابواب فلسطين . وردّ ذلـك مراسل الاهرام الى الاسباب التالية : « والمفهوم الآن ان معارضة البيت الابيض في اقتراح فتح فلسطين للهجرة اليهودية هي التي حالت دون مضي لجنة الشؤون الخارجية في بحثه واقراره وتقديمه الى مجلس الشيوخ . وقد قال شيخ لم يشأ ذكر اسمه ان العـلاقات الاقتصادية والسياسية بين اميركا والمملكة العربية السعودية كان لها اثر كبير في معارضة الرئيس روزفلت للسياسة الصهيونية وللمقترحات التي تخدم هذه السياسة على حساب العرب»

مؤتمر سان فرنسيسكو يثير نشاط الصهيونين

ان حملات الصهيونيين الشديدة قبيل موعد مؤتمر سان فرنسيسكو كان من اثرها ان وقع خمسة آلاف قسيس من قسس الكنيسة البروستانتية ، على اختلاف نحلهم وامصارهم على عريضة رفعوهـا الى الحكومة والكونغرس بطلب فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية ، وكان من اثر هذه الحملات ايضا ان انتزعوا من الرئيس روزفلت ، قبيل وفاته ، تصريحا جديدا في شهر اذار ١٩٤٥ جاء فيه : « لقـد اوضحت موقفي من الصهيونية في تشرين الاول الماضي ومنذ ذلك الحين لم يطرأ اي تعديل على موقفي هذا ، وسأسعى جهدي لتحقيق ما قلته في اقرب وقت »

وفي الواقع انهم قاموا يحاولون بشتى الطرق والوسائل اثارة قضيتهم في مؤتمر سان فرنسيسكو رغم كل تصريح بان المؤتمر لن يبحث قضية فلسطين . ووقفوا حذرين ما وراء المؤتمر يناقشون كل تصريح دولي لا يتلاءم مع مصلحتهم . فقد بعثت لجنـة التحرير الوطنية العبرية خطابا الى لجنـة الوصاية في المؤتمر عارضت فيه المقترحات البريطانية الخاصة بالوصايات ، واقترحت ان تكون فلسطين تحت وصاية خمس امم : الولايات المتحدة وبريطانيا وروسيا وفرنسا والسلطة الوطنيـة العبرية قصد انشاء

فلسطين وطنا قوميا لليهود .»

الرئيس ترومان ينعش آمال الصهيونيين

ان مطامع الصهيونيين وان باءت بالاخفاق في مؤتمر سان فرنسيسكو الا انها تمتعت بشيء كثير من النشاط من جراء موقف الرئيس ترومان من قضيتهم . ذلك ان خليفة فرنكلان روزفلت كان اميناً على رسالة سلفه مذ تبوأ كرسي الرياسة في ١٢ نيسان ١٩٤٥ فلم يلبث ان اعلن في منتصف آب ١٩٤٥ ان الولايات المتحدة اقترحت في مؤتمر بوتسدام السماح لاكبر عدد ممكن من اليهود بدخول فلسطين . وصرح بانه تباحث مع المستر تشرشل والمستر اتلي حول انشاء دولة يهودية في فلسطين . واعرب عن رغبة الولايات المتحدة بتسوية قضية الهجرة بطريق المفاوضات مع العرب وبريطانيا .

وقد بر الرئيس ترومان بوعده لهم ، فوجه في الشهر التالي رسالة شخصية الى رئيس الوزارة البريطانية يؤيد فيها طلب الوكالة اليهودية بالسماح الى مئة الف يهودي في اوروبا بالمهاجرة الى فلسطين . ولكن الماجور اتلي وان جاوب الرئيس ترومان بان الحالة في فلسطين لا تسمح بما طلب فان مجلسي الشيوخ والنواب في واشنطن لم يتورعا عن اتخاذ قرار لفتح ابواب فلسطين

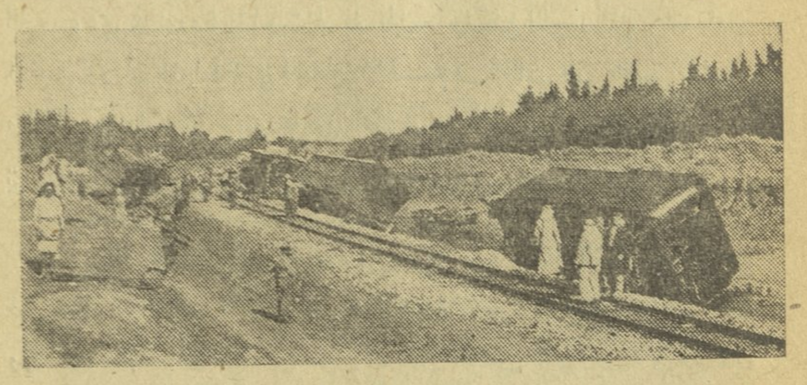
تمرد الصهيونيين على حكومة جلالة الملك

ثارت ثائرة الصهيونيين في العالم من جراء خيبة الامل التي فوجئوا بها من قبل حكومة العمال في لندن ، خصوصاً في ناحية الهجرة ، وبينما كانوا يعربدون ويرسلون التهديدات من كل صوب اصدرت الهيئات اليهودية في فلسطين خلال الايام الاخيرة من ايلول ١٩٤٥ بيانا جاء فيه « ان الشعب اليهودي سيفتح ابواب فلسطين لاخوانه المهاجرين . » وصرح احد اعضاء الوكالة اليهودية بعد

ايام من ذلك بانه « اذا لم يحصل اليهود على شروط ملائمة لهم فانهم سيحاولون غزو فلسطين بعشرات الألوف من اليهود المسلحين المصممين على النزول او الموت . »

وقد تدفق المهاجرون فعلاً على فلسطين من البر والبحر ، وكما نجحت قوافل منهم بالدخول اليها عنوة من البلاد المجاورة بمساعدة يهود فلسطين انفسهم فقد وفقت ايضاً محاولات عديدة في انزال طوائف منهم الى الشواطىء الفلسطينية بحراسة قوة من المدافع الرشاشة يقوم عليها يهود تمرنوا تمريناً خاصا على الاعمال الحربية .

وفوق ذلك فقد استرسلوا في الغرور حتى انهم أضربوا في يوم واحد في جميع فلسطين احتجاجاً على الحكومة لمحاولتها منع هؤلاء المهاجرين من دخول فلسطين . واتخذوا من فلسطين منذ بداية تشرين الثاني ١٩٤٥ مسرحا لادوار ارهابية شتى ، وفي جملتها العدوان على الخطوط الحديدية ومصفاة البترول فضلاً عن الدوائر الحكومية .



نموذج من نماذج العدوان الذي يقترفه الصهيونيون . وترى عربات القطار ملقاة الى جانب الخط الحديدي

على ان حكومة لندن احتاطت للامر ، فبينما هي تباشر منذ اواخر ايلول ١٩٤٥ تنفيذ الشرائع المعدلة في فلسطين لتأمين الامن العام وللدفاع عنها ، ساقت اليها القوى البرية والجوية والبحرية الكافية خصوصاً وانها كانت قد اصبحت على مدى قريب من موعد اعلان موقفها من مشكلة فلسطين

موقف حكومة لندن بعد الحرب من مشكلة فلسطين

وكان لا بد لحكومة العمال ، اذ تبوأت كرسي الحكم في الدوننغ ستريت بعد انتهاء الحرب ، ان تعلن سياستها المتعلقة بفلسطين لا سيما وان انظار العالم اتجهت اليها مترقبة التعرف الى اتجاهها في هذه القضيـة التي صارت مشكلة عالمية . ولكن حكومة الماجور أتلي شاءت قبل الادلاء باي تصريح يتعلق بهذه المشكلة الاستعانة بممثليها السياسيين في الشرق الاوسط فدعاهم الى لندن السيد بيفن وزير الخارجية ، ثم عهدت الحكومة الى لجنة فرعية تحديـد السياسة المقبلة تجاه فلسطين . ولما اتيح لها استكمال المعلومات الكافيـة والتمحيص التي وزير الخارجية البريطانية المشار اليه بيان الحكومة في مجلس العموم وذلك في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ ، وكان لهذا البيان دوي كبير في العالم السياسي .

استهل السيد بيفن بيانه بالاعراب عن عناية حكومته بمنكوبي النازي ، ثم اشار الى صعوبة الحلول في مشكلة فلسطين ، ولا سيما الهجرة ، ولم يتورع عن التصريح بفشل الانتداب في صعيد ايجاد اسس مشتركة تجمع بين العرب واليهود . ونوه بعد ذلك بان مشكلة فلسطين لم تعد موضعيـة بل كما ان لليهود انصارا في الولايات المتحدة وبريطانيـا وغيرهما فقد اعتنق كل العالم العربي قضية فلسطين ، واصبحت موضع اهتمام تسعين مليونا من مسلمي الهند

«٣»

هذا الى ان تحت الرماد في فلسطين وميض نار قال انه يخشى ان يكون لها ضرام يتعداها الى العالم .

وبعد ان اومأ السيد بيفن الى تعهدات الحكومات المتوالية في لندن وبياناتها ، واعلن ان حكومة الولايات المتحدة أخذت على نفسها عهداً ألاّ يتخذ قرار حاسم دون استشارة العرب واليهود صرح بان حكومة جلالته دعت الولايات المتحدة للتعاون معها في لجنة مشتركة وان حكومة واشنطن قبلت الدعوة .

وقد حدد مهمات اللجنة ، وانتهى الى القول بانها تسهل ايجاد حل ما يؤمن التدابير لوضع فلسطين تحت الوصاية التي ستحل محل الانتداب القائم . وبانتظار مقترحات هذه اللجنة تتداول الحكومة مع العرب للتوصل الى تدبير يتضمن انه سوف لا تتوقف الهجرة اليهودية عن المعدل الشهري الحالي ١٥٠٠ . ولم ينس السيد بيفن ان يتحدث عن العهود وحرص على ان لا تنعت حكومة جلالة الملك بنكث هذه العهود الذي يكون سبب رد فعل خطير في كل انحاء الشرق الاوسط وخصوصا في الهند . »

وقد جاء هذا البيان كصاعقة هوت على الاوساط الصهيونية ، ثم لم يتمالك الدكتور وايزمن بعدها عن الحملة على السيد بيفن حملة شديدة في خطاب القاه في مؤتمر صهيوني بامريكا ووصف بيانه بانه «وثيقة نقض اخرى للاتفاقية القائمة بين اليهود والانكليز منذ سنة ١٩١٧ . وهو الى ذلك قد اظهر السخرية من التفريق بين الدولة اليهودية والوطن القومي زاعماً بان ٩٥ بالماية من يهود العالم هم صهيونيون . »

على ان الصهيونيين لم يقتصروا على حرب الكلام بل حاولوا ان يشنوها فتنة فظيعة على حكومة الانتداب في فلسطين ، فقابلتهم بالحزم والشدة :

الفصل الثاني

القضية الفلسطينية من الناحية العربية

آلام العرب وآمالهم – وفاء بريطانيا العظمى بعهدها للصهيونيين – فلسطين والجامعة العربية – الحكم الذاتي بيت القصيد

•

امال تنقلب آلاما

واما عرب فلسطين فكانوا خلال الحرب العالمية السابقة مثل سائر العرب يغرقون في بحر من الآمال القومية . فقد وحدوا الجهود مع الحلفاء وتزودوا بالوعود وترقبوا ان يعقد النصر على رؤوسهم ورؤوس حلفائهم رايات العز والفخر .

وبينما هم في اطمئنانهم الى هذه الآمال الرغيدة ولا علم لهم بوعد بلفور ، اذا بهم يرون وفود اليهود تترى على فلسطين وتبدو عليهم مظاهر غريبة لاتتفق مع احوال الغرباء ، وأفعال شاذة لاتتلاءم مع تقاليد البلاد . وكانت الصدمة الكبرى التي صدعت صرح آمالهم وقطعت حبل طموحهم ، الذي

مدته الوعود وقتاً طويلاً، حينما رفع الستار عن وعد بلفور .

قام العرب قومتهم الكبرى حينما ترامى اليهم نبأ وعد بلفور يتذرعون باعتماد على النفس عظيم ، فلا الدول الكبرى التي وافقت على هذا الوعد ، ولا حكومة جلالة الملك التي وكل اليها تنفيذه ، ولا الصهيونية وما تستند اليه من علم ومال ونفوذ وتنظيم تستطيع ان تحول بينهم وبين الدفاع عن وطنهم ضد كل مغتصب . وعلى اي نوع من انواع الاغتصاب ، هذا الوطن الذي قامت فيه مقدساتهم ونقشت على كل حجر من احجاره ذكريات من تاريخهم المجيد . واكسبهم النضال قوى اضافية غير منتظرة ، أخذت تذلل أمامهم الصعاب ، فظهروا بمظهر لم يكن في حسبان احـد : فلقد والوا الاجتماعات وعقدوا السبعة المؤتمرات ملتفين حول المجلس الاسلامي الاعلى الذي سبق وانشيء منذ سنة ١٩١٢ مؤيدين ومخلصين للجنة العربية العليا الذي يرأسها الحاج محمد أمين الحسيني المفتي الاكبر .

ولكن هذه المؤتمرات الهادئة قوبلت بتصريحات مثيرة وبآذان صماء ، ومضى القيمون على فلسطين بتحقيق وعد اقل مافيه ضياع البلاد واغتصاب مقدساتها . فطبيعي اذن ان تنتقل الشكوى من ميدان الكلام الى ميدان الحسام . فكانت ثورات ، أهمها عشر ، أخذ بعضها في رقاب البعض ، فلم تكن تنته احداهـا الا لتبدأ الاخرى ، . ذلك منذ سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٧ . وكانت هذه الثورات موضعية اول الامر ، وموجهة الى الصهيونيين فحسب ، ثم استفحلت الى ان صارت شاملة دامية . ومنذ سنة ١٩٣٧ اشتبكت مع جيش الاحتلال . على ان عرب فلسطين لم يكونوا يقطعون مطالبتهم السلمية بمذكرات متواليـة كانوا يرفعونها ، عن طريق المفاوضة فتوالت وفودهم الى عواصم العالم في الشرق والغرب ، فبلغت هذه الوفود الى لندن تسعة حتى الحرب

العالمية الثانية ، ولكنها لم تجدهم نفعاً بل كان البريطانيون يصارحونهم القول بتأييد الوعد الذي قطعوه على أنفسهم لليهود متناسين غير ذلك من عهود.

فلسطين عربية قبل الاسلام

وأهالي فلسطين في هذا الجهاد يؤمنون بحق واحد لاشريك له ثم لاحيد عنه هو : ان فلسطين عربية كانت ولا تزال وان تزال . ودليلهم على ذلك ان أسلافهم عمروا هذه البلاد قبل ان يفد اليها بنو اسرائيل . ثم ظلوا يدافعون عنها اليهود خلال تغلبهم على بعض اجزائها . هذا فضلاً عن اللغة العربية فهي قديمة العهد فيها : فقد عقد الكونت سفورزا في اخر كتاب اصدره عام ١٩٣٨ فصلاً تحدث فيه عن قضية فلسطين فأيد العرب بالنظر الى الحاضر والماضي ايضاً وقال :

«اخطأ الانكليز ومن ورائهم اليهود في اطلاق اسم فلسطين على قطعة الارض الضيقة الواقعة في غرب الاردن . فهذه الارض هي قطعة من سورية . وسوريا هذه من الجهة الجغرافية والتاريخية ليست الا قسما من العالم العربي المتوثب . واذا سألت القرون ايام الحروب الصليبية اوما قبلها وما بعدها تعلم انها بلاد عربية . بل انك لو سألت الامبراطورية الرومانية الشرقية لعلمت انها كانت تسيطر على سورية على اعتبار انها قطر عربي يتولاه امراء العرب الذين كانوا يؤلفون اكثرية السكان » .

ويضيف العرب الى ذلك ان تيطس الروماني دمر سنة ٦٤ ب م مدينة اورشليم واحرق الهيكل ، ثم كرر الرومان اثر ثورة اخرى قام بها اليهود ، تدمير اورشليم سنة ١٣٥ ب م ، وحرقوا ارضها وأسلموا أهلها للعبودية ، فاختتمت بذلك صفحات تاريخ اليهود بفلسطين . بينما تاريخ فلسطين استمر متصلاً . فقد ظهر بمظهر حي جديد : فان العرب الذين كانوا في بلاد الشام من أهل الحكم . وكانت لغتهم من جملة اللغات المتداولة حتى في فلسطين ، كما قال رينان في مقال نشره بالجريدة الاسيوية سنة ١٨٨٢ ، وكما جاء في أعمال

الرسل الفصل ٢-٩ حيث يستفاد « ان اللغة العربية كانت بحياة المسيح في جملة اللغات المتداولة بالقدس » . ان هؤلاء العرب اصبحوا من بعد وثبتهم الكبرى اصحاب البلاد دون شريك ، واذا بلغتهم تكتسح كل اللغات فيها .
وقد راعى الخليفة عمر بن الخطاب شعور المسيحيين بالقدس ، وهو شعور أصيل عندهم يرجع الى المصائب التي نزلت بهم من قبل اليهود ، واعطاهم عهداً في العقد الذي وقعه لهم حين الفتح ان لا يسمح لاحد من اليهود بالسكن معهم .
كان ذلك بطلب من بطريرك بيت المقدس السيد صفونيوس . وقد بينا في حديث نشرته لنا جريدة بريد اليوم البيروتية بتاريخ ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ اسباب نقمة العالم المسيحي وقتئذ على اليهود .

وهكذا مرت القرون ، واليهود لا عهد لهم بفلسطين . ووفى المسلمون للنصارى بعهد عمر فحالوا بين هذه البلاد المقدسة وبين اليهود . وبالرغم من ان المسلمين فيما بعد ، وخاصة في العهد العثماني ، اشفقوا على اليهود الذين أخرجوا من ديارهم في اوربا ، رحمة وانسانية ، ففتحوا لهم امصارهم ، فان فلسطين ظلت كانها مغلقة بوجوههم الى حد ان عددهم فيها سنة ١٨٤٥ لم يكن يتجاوز اثني عشر الفاً .

فأنى لليهود ان يدعوا بحق ما في فلسطين ؟ وكيف يزعمون القدم بها ؟ على ان العرب يذهبون الى ابعد من ذلك واذا جاز لليهود الادعاء بفلسطين لانهم حلوا فيها حقبة من الزمن في عصر بعيد ، فماذا يقول الانكليز لو طالب النورمان معتمدين على مثل هذه الحجة ، بجزيرة بريطانيا العظمى ؟ وماذا يقول الاسبان لو ادعي العرب بأنهم احق منهم في شبه جزيرة ايبريا ؟ ثم ماذا يشعر الاميركيون لو قام الهنود الحمر ورغبوا اليهم بالجلاء عن الولايات المتحدة ؟

واما من حيث قداسة فلسطين عند اليهود فهي حجة ليس بيت

العنكبوت اوهى منها .

اجل اذا كانت فلسطين مقدسة عند اليهود فهي اقدس في نظر المسيحي منهم والمسلم على السواء . نوه بذلك المرحوم المطران غريغوريوس حجار امام اللجنة الملكية عام ١٩٣٦ ، اذ قال :

« ان الدين المسيحي يقول لليهودي . ان روابطي بفلسطين هي اقوى جداً من روابطك فان يكن لك فيها ابناء وملوك فهي موطن مخلصي والهي ، وموطن رسله ومهد كنيسته »

واما المسلمون ففلسطين مقدسة جد التقديس عندهم . باركها قرآنهم وحض على سكناها عندما قال : « يا قومنا اسكنوا الارض المقدسة التي باركنا فيها » . بل هي مقر اولى القبلتين ومقام ثالث المساجد الشريفة التي تشد اليها الرحال ، كما حدث بذلك رسولهم .

والعرب ، بعد ذلك كله مسلمهم ومسيحيهم ، لم يضمروا لليهود أنفسهم ، ولا يضمرون لاحد سواهم ، الا الود والحب ، ومتى كان العرب يمنعون رفدهم عن اللاجئين اليهم ؟ ولو أن يهود اليوم جاؤوهم ، كما وفد اليهم من قبل في القرن الخامس عشر وبعده يهود اسبانيا مشردين من ديارهم ، لاستقبلوهم احسن استقبال واكرموهم خير اكرام ، وساووهم بأنفسهم .

جاء اليهود فلم يتردد العرب في التعاون معهم تعاوناً شريفاً شرط ان يكونوا مثلهم ، لهم مالهم وعليهم ما عليهم ، اي مواطنين فلسطينيين ، شريطة ان تقف المطامع الصهيونية عند حد معقول وان تتوقف الهجرة ، فما قبلوا . انهم يريدون فلسطين يهودية خالصة لهم . انهم يبتغون ان تقوم فيها مملكة اسرائيل . وكفى بتلك المطامع الظالمة والرغبات الطاغية ان يكون جوابها الثورات وما هي إلا الانفجار من شدة الضغط والعسف .

نفوذ اليهود بين الحربين العالميتين في لندن اثار الاضطرابات

حلم الصهيونيون في الحرب العالمية الاولى بجعل فلسطين وطناً قومياً خالصا لهم . فلم تذعن حكومة جلالته لهم الاذعان كله، واعلنت وعد بلفور على اساس انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على ان لا يضير حقوق سكان فلسطين من غير اليهود .

ولم يكد يعهد بالانتداب الى بريطانيا العظمى حتى سارعت الى اقامة ادارة مدنية في فلسطين مكان الادارة العسكرية، فعينت السر هربرت صموئيل الاسرائيلي في تموز ۱۹۲۰ مندوباً ساميا وزودته بدستور يخوله انشاء مجلس تنفيذي يتعاون معه على تنفيذ الانتداب على اساس انشاء وطن قومي صهيوني في فلسطين .

وقد اخلصت حكومات فلسطين النيات في تحقيق وعد بلفور مستندة الى ارشادات الوكالة اليهودية التي أصبحت حكومة ضمن حكومة، ولكن الصهيونيين لم يقنعوا ، مع ذلك ، بما وعدتهم به لندن ، وبما قامت به وزارة خارجية جلالة الملك وحكومة فلسطين من تحقيق للوعد بأمانة واخلاص . بل شرعوا يفسرون هذا الوعد، الذي ملأ نفوسهم احلاماً بعيدة، تفسيراً يتلاءم مع هذه الاحلام. وتمادوا في طغيانهم الى حد ان المفوض السامي الاول الذي كان واحدا منهم ، واعني به السر هربرت صموئيل لم يتورع عن مخاطبتهم (كما جاء في التقرير السنوي الحكومي لعام ۱۹۳۰) قائلاً، في معرض النصح، ان حصر الهجرة ضرورة ملحة ، وان الذين يطلبون كثيرا ، طالما منوا بالحرمان. فلم يدركوا شيئاً.» ولكنهم مع ذلك لم يرعووا (فاحرجوا العرب في فلسطين حتى دفعوهم الى الالتجاء للسلاح دفاعاً عن وطن هو

عندهم اعز من وطن البريطاني عند نفسه .

لجأوا للسلاح عندما خابت آمالهم بالاحتجاجات ، وكان ذلك حافزاً لحكومة لندن الى اصدار الكتاب الاول ١٩٢٢ وفيه تفسير وعد بلفور على حقيقته ، فجاء تفسيراً يكبح من جماح المطامع الصهيونية اذ يقول : « ان عبارات التصريح المنوه عنه لاتشير الى تحويل فلسطين بجملتها وطناً قومياً لليهود . وانما تعني ان وطناً كهذا يؤسس في فلسطين » والى ذلك صرح الكتاب ايضاً بأن الوكالة اليهودية لا تملك اي قسط في ادرة البلاد العامة

فجن جنون اليهود وعلا ضجيجهم طالبين ملحين بضروة الغاء هذا الكتاب . كما ان العرب الذين يرفضون وعد بلفور من اساسه أثارتهم مواقف لندن وتحولها بين الفينة والفينة ، واحرجتهم حكومة فلسطين ومضيها في تحقيق هذا الوعد فكانت فلسطين من جراء ذلك مسرحاً للثورات الدامية .

وكانت حكومة لندن ، التي تحاول تهدئة الخواطر بالسياسة بينما هي تعمل على اطفاء نيران الثورات بالقوة ، توفد الى فلسطين عقب كل ثورة لجنة للتحقيق وقد بلغ عددها عشراً آخرها اللجنة الملكية سنة ١٩٣٦ صاحبة اقتراح التقسيم . وجاءت بعدها لجنة وودهيد عام ١٩٣٨ لدرس الوسائل التي تسهل تنفيذ مشروع التقسيم .

وكان نصيب هذه اللجان الاخفاق الدائم ، ذلك لأن حكومات لندن كانت تتجاذبها قوة اليهود فيها وقوة الرغبة في تجنب ثورات العرب . فاذا جاءت تقارير تلك اللجان منصفة للعرب مثل تقارير اللجنة الاولى عام ١٩٢٠ ، والسادسة لجنة جونسون وكروسبي عام ١٩٣٠ ، والسابعة لجنة سمبسون سنة ١٩٣٠ . حمل الصهيونيون حكومات لندن على اهمالها . وكذلك يفعلون اذا كانت تلك التقارير تتضمن شيئاً ولو قليلا من انصاف العرب . كما حصل

بتقريري لجنة هيكرفت سنة ١٩٢١ وولتر شو سنة ١٩٢٩ .

واما اذا جاءت بعض التقارير موءاتية لاماني اليهود ومطامعهم فاءن عرب فلسطين كانوا يقابلونها بالنار والبتار ، كما ان التقارير التي تأتي وسطا كانت تصطدم بمعارضة الفريقيين على السواء مما يضطر حكومة لندن الى وقف تنفيذها .

وقد نوهنا في الفصل السابق بما كان لليهود من النفوذ ايضا على حكومة مستر ماكدونالد حتى حملته على الغاء الكتاب الابيض عام ١٩٣٠ ، وما كان لهم من القوة عام ١٩٣٥ حتى اضطروا حكومة جلالته الى العدول عن مشروع المجلس التشريعي الذي اقترحه المندوب السامي ، وأن تقيل مؤيديه من مناصب الدولة .

سياسة المحاباة في فلسطين هيأت الثوارت

وقد عمدت حكومة الانتداب لفلسطين الى تطبيق صك الانتداب ، ولا سيما المادة الثامنة منه ، وسلكت خلال ذلك سبيلًا هو اقرب للتحيز والمحاباة منه للعدل والمساواة . وكانت سياستها مكشوفة الى حدّ مثير ولا سيما في المواقف التالية :

١ — طلب العرب تخويلهم حق التصرف بشؤون معارفهم ، فرفضت حكومة فلسطين هذا الطلب بينما لم تبد منهـا بادرة تدخل ازاء استقلال اليهود في ناحية التربية والتعليم ، بل على عكس من ذلك تركت لهم الحرية المطلقة في الهيمنة على تعليم اولادهم وتربيتهم تربية قومية تتولى اعباء ذلك دائرة معارف خاصة بهم ، لها بميزانية المعارف العامة مخصصات وافية .

٢ — حرمان العرب من المناصب العليـا ، وخصوصاً في الرياسات بدوائر

الحكومة ، بينما عهدت بهذه الرياسات الى اليهود مع البريطانيين . رد على ذلك أن وظيفة التشريع ، وهي اهم وظائف الحكومة وأبعدها اثراً ، ظلت في حوزة اليهود مدة طويلة . وبين سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٥ كان المندوب السامي لفلسطين يهودياً . واخيراً فقد مني العرب بالحرمان في دوائر كبرى استحدثت من جراء الحرب الاخيرة .

٣ – عطف الحكومة على المجالس اليهودية البلدية والمحلية ، وخصوصاً بلدية تل ابيب ، واغداقها بالمساعدات من طرق شتى بينما كانت تبخل على مجالس البلديات العربية والمجالس المحلية بمثل هذا التنشيط .

٤ – محاباة الحكومة في منح الامتيازات وتفضيل الجانب اليهودي على العربي ، ومن اهمها مشروع روتمبرغ للكهرباء وامتياز البحر الميت .

٥ – سماحها ببيع اراضي الوقف لليهود ، وعلى رأسها اراض كانت تخص اوقاف البطريركية الارثوذكسية في منطقة بلدية القدس .

٦ – ترخيصها عام ١٩٣٦ بانشاء ميناء تل أبيب بدلا من تحويل مرفأ يافا ، وهي اكبر ثغور فلسطين ، الى مرفأ عصري .

٧ – التضييق على العرب في منح اجازات الصحف بينما في حوزة اليهود تصاريح لاصدار ٧٨ صحيفة ومجلة .

تحول الاضطرابات الى ثورات .

عندما قنط العرب من حكومة الانتداب ، وايقنوا انها حريصة على الوفاء بوعد بلفور ، وجادة في تنفيذه وهي لا تملك الصمود بوجههم ، انكفؤوا الى نفسهم يعتمدون عليها . فكانت اضطرابات وثورات يتلو بعضها بعضاً . .

ولم تكن القوى العسكرية التي تغص بها فلسطين لتحول بين ثورات

النفوس وبين انفجـارها ، فوقفت أولى هذه الاضطرابات في القدس في شهر نيسان سنة ١٩٢٠ ، وتلتهـا اضطرابات موضعيـة سنتي ١٩٢١ ، ١٩٢٢ اصبحت عامة شاملة منذ عام ١٩٢٩ ، وكانت كلها منحصرة بين العرب وبين اليهود ، ولكنها تحولت منذ ان نشبت ثورة ١٩٣٣ الى اصطدام مع قوى الحكومة المسلحة ٠

وكان الوقود الذي يزيد هذه الثورات اشتعـالا وتفاقما ، وينقلهـا من اضطرابات محلية الى شبـه حروب ، هو تدفق سيل الهجرة منذ ١٩٣٢ ، واستمرار الحكومة على رفض طلب العرب في الحكم الذاتي ٠ حتى اذا كان عـام ١٩٣٦ شهدت فلسطين ثورة وأي ثورة ! اضطراب عام طويل الامد ومظاهرات صاخبة ، وحرائق في كل مكان ، وقطع أسلاك التلفون



فريق من المجاهدين في ثورة فلسطين عام ٣٧ - ١٩٣٨
وعلى رأسهم المرحوم عارف عبد الرزاق

والتلغراف ، واقتلاع خطوط السكك الحديدية . ونسف الجسور واتلاف انابيب البترول ومقاطعة تامة لليهود وقتال عنيف بين العرب واليهود حينا وبينهم وبين قوات الحكومة احيانا .

وتجاه هذا الوضع الرهيب، الذي دام عدة اشهر ، لم ير ملوك العرب وامراؤهم بدا من التدخل فاعلنت اللجنة العربية العليا ، التي تألفت خلال ثورة ١٩٣٦ ، وقف القتال والعدول عن الاضراب العام نزولا عند رغبة هؤلاء العواهل .

ولكن الصهيونيين الذين غاظهم هذا التدخل ازدادوا نشاطاً في توجيه سياسة لندن وكان لهم ما ارادوا من افساح المجال لاستمرار تدفق سيل الهجرة

ومن جهة اخرى كانت حكومة جلالة الملك انتدبت على اثر ذلك حسب عادتها لجنة لدرس القضية عن كثب برياسة اللورد بيل ، فهبطت فلسطين اواخر عام ١٩٣٦ . ثم اصدرت تقريرها في السنة التالية مقترحة تقسيم فلسطين الى ثلاثة مناطق (١) دولة يهودية في الساحل ولواء الخليل (٢) منطقة انتداب في القدس وبيت لحم والناصرة وطبريا (٣) دولة عربية فيما تبقى بفلسطين تشمل شرق الاردن . فلم يسع عرب فلسطين الذين كانوا قد دخلوا في دور التنظيم وشعروا بما تكن قلوب العرب كافة والمسلمين عامة من العطف على قضيتهم اجل لم يسعهم الا الالتجاء الى السلاح احتجاجاً على اقتراح التقسيم.

وجوبهت حكومة لندن ان تقابل هذه الثورة بعنف وشدة لم تلجأ اليها من قبل ، ولا سيما لانها اصبحت على وشك الدخول في حرب عالمية طاحنة ، وبادرت الى حل اللجنة العربية العليا وغيرها من اللجان ، واتخذت لنفسها حق فصل رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، واعتقلت بعض زعماء العرب . ولكن اعمال العنف لم تزد الثورة الا لهيباً ، وامتدت حتى عام ١٩٣٧ . على ان القسوة

التي استعملتها حكومة فلسطين لاطفاء الثورة ساعدت على التفاف العرب ، حكومات وشعوبا حول فلسطين ، واثارت العالم الإسلامي : فان الهر هتلر والسنيور موسليني ارادا ان يستفيدا من تأزم الحالة الانكليزية في بريطانيا العظمى . وقد تعرض هتلر لفلسطين في خطاب القاه بنورمبرغ شهر ايلول ١٩٣٨ ، وقال «نحن لا نريد ان نخلق فلسطين جديدة على الحدود الالمانية ، وان تبيح اضطهاد ابنائنا كما يضطهد العرب في بلادهم لان وراء السوديت دولة قوية كبيرة تتولى الدفاع عنهم . اما العرب فليس وراءهم دولة كبيرة تتولى الدفاع عنهم .»

ولا ينكر ان هذه التصريحات تركت اثراً في الاوساط العربية ، رغم ان العرب لم يكونوا قد نسوا كيف ان محطة باري الايطالية ، التي كانت تحمل الحملات العنيفة على السياسة الانكليزية منذ بدء ثورة فلسطين ، لم تلبث ان توقفت عن نشر انباء المجاهدين العرب بعد ان تم بين ايطاليا وبريطانيا العظمى الاتفاق على توقيع معاهدة .

وكان من مظاهر جذب العالمين العربي والاسلامي على فلسطين انه ما كاد ينتهي المؤتمر البرلماني في القاهرة الا وسافر في تشرين الاول ١٩٣٨ على الباخرة « الخديو اسماعيل » وفدان احدهما يقصد الى لندن وقوامه مصري وهنديان ، والآخر الى امريكا وقوامه اثنان فلسطيني ولبناني ، على ان يستكمل هيئته من الجامعة العربية في نيويورك .

اجتماع طريف بين الاخوه على ظهر الباخرة "الخديوي اسماعيل" [illegible]

لغرض سام [illegible]

امضاء رشاد [illegible]

محمد علي علوبة

١٩٢٧/١/٢٧

To remind you of our voyage from Alexandria to Europe for the service of martyred Palestine. Abdul Rahman Siddiqi

To commemorate our voyage on board the K.M.I. from Alexandria to Geneva

Khaliquzzaman

لنتخذ من هذه الرحلة [illegible]

[illegible] الشعب [illegible]

[illegible]

[illegible]

ذكرى اجتماع الوفدين العربيين الى لندن وواشنطن موقعة من السادة محمد علي علوبة باشا (مصر) وعبد الرحمن صديقي وخليق الزمان (الهند) وهم يؤلفون وفد لندن ، كما وقعها كل من مؤلف هذا الكتاب والاستاذ اميل الغوري عن وفد واشنطن

تأثير الحرب على سياسة بريطانيا العظمى

حرب عالمية طاحنة تزأر زئيراً مرعباً قبل نشوبها

ثورة في فلسطين منظمة ترمقها انظار العرب بعواطف ملتهبة ، لم تفد فيها سياسة العنف والقوة ، وترنو اليها انظار المسلمين

نازية الى جانبها فاشستية ، تتنافسان في صعيد تنشيط الثورة واثارة نقمة العرب والمسلمين على بريطانيا العظمى

تدخل ملوك العرب وامرائهم وطلبهم انصاف اخوانهم في فلسطين

ذلك ما كانت تصطدم به حكومة جلالة الملك عام ١٩٣٨ زد على هذا تحسن شديد في حال العالم العربي على وجه عام ، وحال فلسطين على وجه خاص : ففي سنتي ١٩٣٦ — ١٩٣٧ كانت مصر قد وقعت مع بريطانيا العظمى معاهدة الاستقلال ، واصبحت الى جانب دولة العراق عضوا في جامعة الامم فأصبح لفلسطين محاميان في نطاق العصبة لا يدافعان بحرارة عن قضيتها العادلة فحسب وانما يرفعان صوتها مدوياً الى الاوساط السياسية العالمية .

على ان الحرب المرتقبة فتحت عيون حكومة جلالة الملك الى الدور الذي سيلعبه العالم العربي وبلاد العالم العربي في السنين المظلمة المقبلة . فهناك البترول وهو عصب الحرب ، يتدفق من العراق الى البحر المتوسط ، كما يتدفق من جوف الجزيرة الى خليج فارس .

وهناك المراكز الستراتيجية الهامة ، التي تتحكم برقاب الشؤون الحربية والسياسية ، والاقتصادية ، وبينها قنال السويس الذي يخترق وادي النيل فيجمع بين البحرين الابيض والاحمر ، وبينها مجاز باب المندب ، وهو وشط العرب صنوان ، كانهما باب الهند وما وراء الهند .

لذلك كله اقتنعت أميرة البحار ان لا سبيل لصون مصالح الامبراطورية

الا بمصادقة العرب ، خصوصاً وقد برزت دولة السوفيات الى الميدان وتطلعت الى الشرق الاوسط ، فحولت لنـدن الدفة شطرهم وجنحت الى شاطىء المداراة في سبيل حل معضلتهم .

المائدة المستديرة في لندن

وكانت هذه المناسبة فرصة اتاحت للعرب اول اعتراف من حكومـة جلالة الملك بوجود وحدة سياسيـة تجمع فيما بينهم على رغم تعدد دولهم . ذلك انها وجهت الدعوة الى الحكومات العربية لحل قضية فلسطين في مؤتمر يعقد بلندن حول المائدة المستديرة محاولة الوصول الى اتفـاق يرضي الفريقين العرب واليهود ، وقد عقد المؤتمر في قصر سان جيمس بلندن منذ يوم ٧ شباط ١٩٣٩ ، ورفعت اعلام الدول العربية التي اشتركت به في القاعة المخصصة لجلساته . وتقرر ان تكون اللغات العربية والانكليزية والافرنسية اللغات الرسمية وحدها في المناقشات والخطب .

وأبى ممثلو الدول العربية وفلسطين ان يعترفوا لليهود بحق المفـاوض ، واصروا على ان لا يدخل في المفاوضـة بينهم وبين الانكليز فريق ثالث . وقد كان لهم ما ارادوا ، واخذ الانكليز يقومون بدور الوسيط بين العرب وبين اليهود . وبعد جلسات واجتماعات عديدة وضعت الحكومة البريطانية مقترحات لحل القضية قدمتها للعرب ولليهود كل على حدة ، ولكن الفريقين لم يقبلاها .

وهكذا فان المؤتمر لم يقدر له النجاح ، ولكنه ترك مع ذلك اثراً شديد الخطورة في جانب العرب : فان دعوة حكومة لندن الدول العربية للمؤتمر ، وجلوس مندوبيها من امراء ووزراء الى جانب اخوانهم ممثلي فلسطين جاءا

بمثابة اعتراف رسمي بأن فلسطين جزء من بلاد العرب ، وان القضية العربية من جهة اخرى وحدة لا تتجزأ .

ومثلما كان هذا المؤتمر رمزاً رائعاً لاتحاد العرب ملوكا وحكومات وشعوبا فقد جاء كبداية لعهد المشاورات في سبيل الوحدة العربية ، وتمهيداً لهذا العهد المبارك .

الكتاب الابيض ١٩٣٩

وفي شهر ايار سنة ١٩٣٩ تفردت الحكومة البريطانية باعلان حل جديد لقضية فلسطين بكتابها الابيض ، وعلقت على ذلك بأنها مصممة على تنفيذ مضمونه بقطع النظر عن رأي الفريقين العرب واليهود . وهذه هي الاسس التي قامت عليها سياسة الكتاب الابيض .

اولا — الاستقلال

١ — ان سياسة التقسيم ليست من الامور العملية

٢ — ليس من سياسة الحكومة البريطانيــة ان تصبح فلسطين دولة يهودية ولا دولة عربية .

٣ — الهدف الذي ترمي اليه الحكومة البريطانية هو تأليف حكومة فلسطينية مستقلة خــلال عشر سنوات ترتبط معها بمعاهــدة تضمن للبلدين متطلباتها التجارية والحربية . ويمكن ارجاء تأليف الدولة المستقلة اذا اقتضت الظروف . ويجب ان يساهم فيها عند تأليفها العرب واليهود .

٤ — تسبق تأليف الدولة المستقلة فترة انتقال تحتفظ الحكومة البريطانية خلالها بمسؤولية الحكم .

٥ — يجب ان يشتمل دستور الدولة المستقلة والمعاهــدة التي تعقد بينهما

وبين الحكومة البريطانية على النصوص الوافية اضمان الالتزامات المترتبة على الحكومة البريطانية نحو العرب واليهود . وفيما يتعلق بالوضع الخاص الذي للوطن القومي اليهودي .

٦ – تتمسك الحكومة البريطانية بالتفسير الذي تضمنه الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٢٢ العبارة « الوطن القومي اليهودي . »

ثانياً — الهجرة اليهودية

١ – كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين تنظم على اساس قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب فقط ؛ الآن ينبغي ان يضاف الى هذا عامل آخر وهو « قدرة البلاد السياسية على الاستيعاب . » يجب تقييد الهجرة اذا كان لها اثر يضر ضرراً خطيراً بوضع البلاد السياسي .

٢ – حان الوقت للأخذ بسياسة « السماح باستمرار الهجرة » اذا كان العرب على استعداد للقبول بها وليس بدون ذلك

٣ – لاتستطيع الحكومة البريطانية ان تقبل وقف الهجرة فوراً وقفا نهائياً . وانما يسمح بادخال نحو ٧٥ الف مهاجر يهودي خلال السنوات الخمس التالية مع مراعاة قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب .

٤ – عند انقضاء السنوات الخمس لا يسمح بهجرة يهودية اخرى الا اذا كان العرب في فلسطين على استعداد القبول بها

٥ – لن يكون للحكومة البريطانية مجبر بعد ذلك ، ولن تكون تحت اي التزام لتسهيل انشاء الوطن القومي اليهودي عن طريق السماح بهجرة اخرى بقطع النظر عن رغبات السكان العرب

ثالثاً — الاراضي

يمنح المندوب السامي سلطات تخوله منع وتنظيم انتقال الاراضي : فتقسم البلاد الى ثلاث مناطق — يمنع انتقال الاراضى من العرب الى اليهود في احداها ، ويقيد في الثانية بموافقة المندوب السامي ، ويطلق في المنطقة الثالثة . ويمكن الغاء المنع والتقييد على ضوء ما يجري من العمران

. . .

وكان موقف العرب في فلسطين ازاء الكتاب الابيض موقفاً سلبياً ، كما قدمنا ، خصوصاً وانه اشترط اثبات عبارة « الوطن القومي اليهودي » في دستور الدولة عند تشكيلها ، وفي المعاهدة التي ستعقد . ولم يترك الاطمئنان في نفوس العرب من ناحية انتقال الاراضي . كما ان الحكومات العربية التي اصبحت تشمل قضية فلسطين باهتمامها الشديد قررت انها لاتستطيع اسداء النصح للشعب العربي الفلسطيني بان تتقبل شروط هذا الكتاب ولا سيما انه جعل مسألة الحكم الذاتي معلقة الى ما شاء الانكليز واليهود .

الحكم الذاتي بيت القصيد وموقف الانكليز منه

ان قضية الحكم الذاتي ، في الواقع ، هي رأس المطالب وبيت القصيد في مسألة فلسطين ، فاذا ادرك العرب الاستقلال لفلسطين او ما يحمل معناه من انواع الحكم الذاتي كان لهم ، وهم الكثرة الساحقة ، ان يضعوا التشريع الذي يختارونه وبذلك يبطل وعد بلفور ويلغى اثره . ولكن الكتاب الابيض لم يكن في الواقع ضمانة للعرب على بلوغ فلسطين الاستقلال

لقد اعترف الحلفاء بحق الاستقلال للاقطار العربية التي انسلخت عن تركيا بعد الحرب العالمية الاولى والتي تدخل تحت حرف A ، وفرضوا

عليها الانتداب الى ان تبلغ الرشد السياسي . وقد نص صك الانتداب على سوريا ولبنان على « ان حكومة الانتداب مسؤولة عن اتخاذ التدابير لتسهيل تطور سوريا ولبنان وصيرورتها دولتين مستقلتين » كما ان الفقرات المقابلة في صك الانتداب على العراق متفقة وهذا النص تماماً .

واما صك الانتداب على فلسطين ، فهو ، وان نص في المادة الثانية منه على تنشيط الحكم الذاتي ، فانه قد خول الدولة المنتدبة السلطة التامة في الادارة والتشريع ، معترفاً في المواد ٤ و ٦ و ١١ بوكالة يهودية كهيئة لاسداء المشورة للادارة والتعاون معها .

لذلك فقد شعر العرب في فلسطين فوراً ، وهم الكثرة الساحقة ، بانهم قد وضعوا تحت انتدابين اثنين : الانتداب الانكليزي والانتداب الصهيوني . فكبر عليهم ان تكف ايديهم عن التصرف في شؤون وطنهم كي تباح وتسلم الى ايدي شذاذ الآفاق المهاجرين تتصرف فيها كما تشاء بينما كانوا يتمتعون ابان الحكم العثماني بحقوق واسعة لم تقتصر على الشؤون المحلية ، بل تعدتها الى التمثيل في برلمان الدولة والاشتراك بالوزارات . لذلك فانهم ما انفكوا منذ تأسست الحكومة المنتدبة في فلسطين ، وتسلمت الحكم من السلطة العسكرية في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ يطالبون بالحكم الذاتي .

اما الصهيونيون فكانوا يقفون معارضين فكرة تحقيق الحكم الذاتي لفلسطين ؛ وقد علل سبب ذلك السيد هاري بيلين من اعضاء الوكالة اليهودية بقوله : « اننا نصبح بذلك مرة اخرى اقلية ، كما هو حالنا في كل مكان آخر ، وتحبط الغايات التي كانت منشودة من الوطن القومي في فلسطين » .

على ان حكومة لندن ارادت الاستقلال بوضع دستور لفلسطين تجعل به المجلس التشريعي في قبضة يدها ، ولما نشرت مشروع هذا الدستور انكره

العرب ولاسيما لانهم سيكونون فيه قلة . وشخص الى لندن وفد عربي من قبل اللجنة التنفيذية وطالب بانشاء حكومة وطنية تكون مسؤولة تجاه مجلس نيابي منتخب ؛ فكان جواب المستر تشرشل وزير المستعمرات وقتئذ : « ليست المسألة مسألة اعتبار الشعب الفلسطيني اقل تقدماً ورقياً من جيرانه في العراق وسوريا ، ولكن من الواضح تماماً ان انشاء حكومة وطنية في هذا الطور سيحول دون تنفيذ العهد الذي قطعته الحكومة البريطانية لليهود » . وكان من الطبيعي ان يقف العرب من ثم ازاء هذا المجلس موقفاً سلبياً . فاضطرت الحكومة وقف الجزء الخاص بانشاء المجلس التشريعي واكتفت بتعيين مجلس شورى ، وقاطعه العرب ايضاً . فتابعت الحكومة حكم البلاد مباشرة . وظلت حكومة لندن عند رأيها برفض الحكم الوطني ، صريحة في ايراد السبب : فقد اجابت في دورتين متتابعتين لاجتماع عصبة الامم ١٩٢٤ و ١٩٢٥ بأنه «لا يمكنها انشاء مجلس تشريعي في فلسطين يكون فيه العرب ممثلين بنسبة عددهم لان ذلك يحول بين الحكومة وبين تنفيذ الواجبات المتعلقة بأنشاء الوطن القومي » .

وكانت هذه الصراحة تزيد الحالة في فلسطين قلقاً وحرجاً ، خصوصا وان الوكالة اليهودية كانت تجد بنشاط متزايد في سبيل تحقيق الوطن الصهيوني فكان لابد من وقوع الاصطدام المتواصل بين العرب وحكومة فلسطين ، وان يتخذ هذا الاصطدام شكلاً عاماً خطراً . ولعل العرب ظنوا ان اصواتهم لن تصل الى لندن الا اذا رافقتها طلقات النار ، ولما وقعت اضطرابات آب ١٩٢٩ ارسلت حكومة جلالته لجنة برئاسة السير والترشو لدرس اسباب الثورة ، فقالت في تقريرها : « ونحن نعتقد ان شعور الاستياء الذي يسود العرب ، والناشيء عن عجزهم المتواصل عن نيل اي قسط من الحكم الذاتي يزيد في مصاعب

الادارة المحلية خطورة ». وتنصح اللجنة باستئناف البحث في الحكم الذاتي بالحاح»
ولكن الصهيونيين كانوا قد أصبحوا في لندن قوة من شأنها ان تمنع تحقيق قرارات اية لجنة ، وان تبطل كل النصائح التي لا تروقهم ، ولذلك ، عندما جاء وفد عربي الى لندن مطالباً بالحكم الذاتي سنة ١٩٣٠ ، وكله امل واعتقاد بان تقرير لجنة شو سيكون سندا له وحجة ، وأنه ناجح لا محالة في مطلبه استولت عليه الدهشة للجواب الذي تلقاه من الحكومة على الوجه التالي « ان التغييرات الرسمية الدستورية الشاملة التي طلبها الوفد لا يمكن قبولها بالكليـة لانها تجعل القيام بالتزامات جلالته حسب صك الانتداب مستحيلاً »
ثم لما تحولت حكومة لندن عن موقفها واعارت اهتمامها لمطالب العرب ، وجاء كتابها الابيض عام ١٩٣٠ منصفاً لهم بعض الانصاف وخاصة في منحهم خطوة نحو الحكم الذاتي ، هددها الصهيونيون باعلان حرب اقتصادية عليها ، فاضطرت حكومة الرئيس المستر مكدونالد الى العدول عن قرارها في انشاء المجلس التشريعي على الأسس التي اقترحتهـا ثانية ، وتكرر هـذا النجاح للصهيونيين مرة اخرى بقوة نفوذهم واحكام دعايتهم عنـدما قبلت وزارة المستعمرات اقتراح المندوب السامي السير ارثر واكهوب اواخر عام ١٩٣٥ بانشاء مجلس تشريعي واستطاعوا ان يحملوا الحكومة على سحب قرارها هذا . فقد حملوا عليه حملة شعواء حتى تمكنوا من اكتساب الرأي العام في البرلمان البريطاني واضطروا حكومة جلالته ان تعدل عن المشروع ، بل ذهبوا الى ابعـد من ذلك فانتقموا من كل رجال الدولة الذين عملوا عـلى تحقيقه ، وعـلى رأسهم السيد توماس وزير المستعمرات . ومن المؤكد انهم لم يكونوا غرباء عـن الدواعي التي انتهت باستقالته من الوزارة ومن مجلس النواب ، وبان يحل محله داعيتهم الكبير السير ارمسي غور .

ولكن الاضطرابات الخطيرة الدامية التي تلت ذلك في فلسطين ، واجتماع كلمة العرب وتوحيد قواهم منذ ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٨ ، ومن ورائهم مسلمو العالم ، مضافا اليه الخوف من نشوب حرب عالمية جديدة ، كل ذلك كان له اثره على حكومة لندن ، فأصدرت كتابها الابيض شهر ايار لسنة ١٩٣٩ ولكنها مع ذلك لم تبت فيه بشأن الحكم الذاتي ، فقد نص هذا الكتاب على وقف الهجرة الصهيونية بعد ٣١ آذار ١٩٤٤ على ان تعيد النظر حكومة انكلترا في مسألة فلسطين بعد انقضاء عشر سنين من ذلك ، اي في ٣١ آذار سنة ٥٤ توطئة لمنحها الحكم الذاتي المحلي .

ومن المعلوم ان اليهود قاوموا هـذا الكتاب بشدة وما زالوا يقاومونه بكل ما وسعهم المال والنفوذ والدعاية والعنف ، ويقولون : ان العرب ثاروا سنة ٩٣٦ فأرهبوا الحكومة البريطانية وحملوها على اصدار الكتاب الابيض . وان اليهود سيتبعون هذه السبيل نفسها لحمل بريطانيـا على اقرار الهجرة مرة اخرى . ه

وعرب فلسطين الحريصون على الاستقـلال اعلنوا ايضاً بلسان اللجنـة العربية العليا بانهم لا يستطيعون الموافقة على الكتاب الابيض لاسباب كثيرة بينوها ، وفي مقدمتها ان الكتاب الابيض لا يحقق امنية استقلال فلسطين : اذ هو يشترط فترة انتقال طويلة الامد قابلة التمديد ينظر بعد انقضائها في امر الحكم الذاتي ، وهو يعلق ايضاً تحقيق هذا الامر على موافقة اليهود .

ومرت سنوات الحرب ، واستمع العرب خلالها الى تصريحات الحلفـاء المطمئنة ، فألفوا في المادة الثالثة من الميثـاق الاطلنطي ما يعزز امانيهم في صعيد استقلال فلسطين ، كما انهم رأوا في تصريحـات السيد كوردل هول وزير خارجية الولايات المتحدة السابق ، التي حدد فيها اهداف دولته في الحرب

وسياستها الخارجية عناصر قوية يعتد بها في المطالبة بالاستقلال. ثم انتهت الحرب فاستمعوا الى الرئيس ترومان اواخر تشرين الاول ١٩٤٥ وهو يعيد ذكر القواعد الاساسية لسياسة الولايات المتحدة الخارجية فيقول في المادة الثالثة منها «لا توافق على اية تغييرات اقليمية في اي جزء صديق من العالم ما لم تكن متفقة مع رغبة الشعوب التي حرمتها اياها القوة» ويقول في المادة الخامسة «سنساعد بمعاونة حلفائنا على انشاء حكومات ديموقراطية سالمة بمحض اختيارها.»

فطالب بذلك الحزب العربي الفلسطيني في المذكرة التي رفعها الى ساسة لندن المؤرخة في ٢٨ تموز سنة ١٩٤٤ وطالب به بروتوكول الاسكندرية الذي وقعه ممثلو الدول العربية في ٧ تشرين الاول ١٩٤٤، وطالب به ميثاق الجامعة العربية، ثم طالب به ايضاً «اتحاد الاحزاب اللبنانية» في المذكرة التي قدمها الى الدول الحليفة، باسمه واسم الجماهير المحتشدة في التظاهرة الكبرى التي اقامها ببيروت في اليوم الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ لمناسبة ذكرى وعد بلفور. ورددت مثل هذا الطلب كل المنظمات التي تعني بفلسطين في البلاد العربية: وبينما كنا نترقب بعد الحرب ان توفى المواثيق بالقسط وتحقق الوعود بالصدق اذا ببيان الحكومة البريطانية الذي القاه السيد بيفن في مجلس العموم يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥ يخيب الامال، ويعود بنا الى الوراء في قضية الحكم الذاتي بفلسطين: وهو بدلا من ان يؤيد على اقل تقدير ما جاء في الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٣٩ في هذا الخصوص فان هذا البيان يعرض في الفقرة ١٧ بوصاية تحل محل الانتداب، تقور في النتيجة السياسة النهائية حيال فلسطين.

انها لخيبة امل شديدة وقعت في الاوساط العربية والاسلامية، وذلك ما حمل الجامعة العربية لان تنوه في ردها على بيان الحكومة البريطانية بحق

عرب فلسطين في توجيه حياتهم السياسية الوجهة التي يريدونها ، الى استقلال ينتظر العرب جميعهم تحقيقه باسرع ما يمكن .

موقف العرب في العالم ازاء فلسطين قبل الحرب

كانت فلسطين جزءاً متمما لسورية ، ولما فصلت عنها بمقتضى الاتفاقات السياسية الخاصة خلال الحرب العالمية الاولى ، احتج السوريون على ذلك ، وما انفكوا منذ قيام الحكومة الفيصلية يحتجون اشد الاحتجاج على تجزئة قطرهم الممتد من جبال طوروس شمالا الى خط العقبة ، رفح جنوباً ، وهم في كل احتجاجاتهم كانوا يخصون فلسطين بالذكر ويستنكرون هجرة اليهود اليها .

فلما قدمت لجنة « كنج — كراين » الاميركية بلاد الشام سنة ١٩١٩ ، قوبلت باجماع السوريين على طلب الاستقلال بحدود سورية الطبيعية ، كما قوبلت باحتجاجاتهم الشديدة ، وخاصة في فلسطين ، على وعد بلفور والهجرة اليهودية[1] وقد خصت هذه اللجنة المعضلة الفلسطينية جزءاً من تقريرها ، فذمت محاولة « الصهيونيين المتطرفين » جعل فلسطين بواسطة الهجرة غير المحدودة دولة يهودية صريحة . واكدت « ان وطناً قومياً للشعب اليهودي لايعني جعل فلسطين دولة يهودية . ولا يمكن ان تخلق دولة يهودية كهذه بدون الاعتداء المؤلم على الحريات الدينية والمدنية للاوساط غير اليهودية الموجودة في

(1) جاء في تقرير هذه اللجنة ما يلي : « قد انضح لهذه اللجنة ان الشعور العدائي نحو الصهيونيين ليس قاصراً على فلسطين فحسب بل يشمل سكان سوريا بوجه عام . فان ٧٢ في المئة من مجموع العرائض التي تناولتها اللجنة في سوريا هي مضادة للصهيونية . ولم ينل مطلب نسبة اكثر من هذه النسبة سوى الوحدة السورية والاستقلال . »

فلسطين « . وقالت اللجنة في تقريرها ايضاً : » ولم يكن سكان فلسطين متفقين على شيء اتفاقهم على هذا الامر . وهذه المعارضة لم تكن محدودة ولا محصورة بفلسطين بل شاركهم فيها سكان سوريا قاطبة . . »

وقد بلغ عدد الاحتجاجات التي قدمت بسورية الى لجنة كنج كراين ضد وعد بلفور والصهيونية ١٣٥٠ احتجاجاً .

وفي الجلسة الاولى التي عقدها المؤتمر السوري في ٢ تموز سنة ١٩١٩ خلال زيارة لجنة كنج -- كراين البلاد وافق المؤتمر على لائحة مؤلفة من عشر مواد وضعتها لجنة تحضيرية جاء فيها : « طلب الاستقلال التام ورفض كل حماية ووصاية على سوريا بحدودها الطبيعية المعروفة دون تجزئة . ومنع المهاجرة الصهيونية » . وكان بعض الزعماء الفلسطينيين اعضاء في هذا المؤتمر .

وثابرت سوريا على رفع صوتها في سبيل فلسطين حتى ان القرار التاريخي الذي وضعه المؤتمر في مبايعة الملك فيصل استهل بالعبارة التالية . « ان المؤتمر السوري العام الذي يمثل الامة السورية العربية في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية تمثيلاً تاماً يضع في جلسته العامـة المنعقدة نهار الاحد المصادف لتاريخ ١٦ جمادي الثانية سنة ١٣٣٨ وليلة الاثنين التالي له الموافق ٣ آذار سنة ١٩٢٠ القرار الآتي » . الخ . .

والمقصود هنا بالمنطقتين الساحلية والجنوبية لبنان وفلسطين. وقد كنت في جملة مندوبي بيروت في هذا المؤتمر وشاهدت بام العين حماس ممثلي الاقطار السورية الشديد من اجل فلسطين وحرص ممثلي فلسطين العظيم على الاحتفاظ بسوريتهم .

ثم انكمشت سوريا بعد الاحتلال الفرنسي وشغلت بمشاكلها الخاصة ، في حين ان العراق كان قد تمتع بشيء من الاستقرار في عهد الملك فيصل الاول

فتناول العراق علم الدفاع عن فلسطين ورفعه عالياً منذ ذلك الوقت . بحماسه القوي المشهور للعروبة

بيد ان ثورة ٢٣ آب سنة ١٩٢٩ التي كانت اولى الثورات العامـــة في فلسطين ، وكان مصدرها قضية البراق اثارت اهتمام المسلمين والعرب في جميع الاقطار فتعالت اصواتهم وتوالت امداداتهم لتلك الثورة العامة ومواساتهم لمنكوبيها .

وقد انشئت في بيروت وقتئذ جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية لمساعدة اخواننا في فلسطين ، وكتبت الى سماحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى تسأله السماح لها بايفاد لجنة طبية لمعالجة المصابين : فورد الي بوصفي رئيساً لهذه الجمعية جواب من سماحته بتاريخ ١٢ ايلول ١٩٢٩ يقول فيه : .. «وقد كان من غيرة الاطباء في فلسطين واهتمام دائرة الصحة هنا ما جعل جرحى العرب ينالون الاسعاف الطبي والمداواة على وجه كاف» .

لذلك تحولت الجمعية الى ناحية المساعدة المادية واهتمت ايضا كل الاهتمام بالناحية المعنوية ، فأبرقت تحتج الى المندوب السامي في القدس وجمعية الامم في جنيف ووزارتي المستعمرات والخارجية ، والبرلمان في لندن ، وتخص باحتجاجاتها قضية البراق الشريف بالتشديد . وقـد تلقيت وقتئذ من قنصل انكلترا العام في بيروت الرسالة الآتية :

نتشرف باعلامكم ان الاحتجاجات التي رفعتها الجمعية الى فخامة المفوض السامي في فلسطين ، والى وزارة الخارجية في لندن وصلت اليهما واني اخذت افادة بوصولها وهي الاحتجاجات المقدمـــة بشأن حوادث فلسطين والاحوال الحاضرة فيها . »

هذا وقد اهتمت بريطانيا العظمى جد الاهتمام لهذه الثورة العامة في فلسطين ،

وخاصة لما بدا من حدب العالمين العربي والاسلامي عليها حدبا عظيما شاملاً ؛ فبادرت لتوجيه لجنة والترشو عام ١٩٢٩ للتحقيق في اسبابها ، ثم اوفدت في العام التالي لجنتين اخريين : (١) لجنة جونسون وكروسبي للبحث في قضية الفلاحين . (٢) لجنة جون سمبسون لدرس الهجرة والاراضي . ولما جاء قرارها ملائماً لاحتجاجات العرب عمل الصهيونيون على ان تقابل حكومة لندن ذلك التقرير بالاهمال .

وفضلاً عن ذلك فقد كانت عصبة الامم اوفدت من قبلها لجنة خاصة عام ١٩٣٠ لدرس قضية البراق ، ولكن ذلك كله كان من قبيل التخدير ، في حين ان الوطن القومي الصهيوني كان لايفتأ يستفحل امره يوماً بعد يوم ، كما ان الهجرة لا تزال مستمرة ، بل تفاقمت منذ سنة ١٩٣٢ ، فكان ذلك سبباً لثورة عامة اخرى نشبت في ١٧ تشرين الاول ١٩٣٣ حركت شعور العالم الاسلامي والعالم العربي فالتفا حول فلسطين كهالة ، ولكنها هالة حديدية تريد ان تدفع عنها طمع الطامعين .

فلسطين تحقق فكرة الاتحاد العربي

كان المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد في القدس سنة ٩٣١ بمثابة المظهر الاول من مظاهر تكتل المسلمين والعرب للدفاع عن فلسطين . ثم كان تطور النضال فيها منذ عام ١٩٣٥ وعنف الثورة التي نشبت في العام التالي بالاضافة الى تنظيم صفوف الاحزاب الفلسطينية واتفاقها على تأليف اللجنة العربية العليا التي ابدت حكمة وتنظيما في الاتصال بالعالمين العربي والاسلامي ، كل ذلك مما نقل قضية فلسطين من مشكلة محلية اقليمية اسلامية خاصة الى قضية عربية قومية عامة .



بعض ممثلي البلاد الاسلامية في المؤتمر الاسلامي ويبدو في الصورة سماحة الحاج امين الحسيني ،وسماحة محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ودولة ضياءالدين الطباطبائي رئيس وزارة في ايران ، وسماحة الشيخ مفتيج سالم رئيس العلماء في سراي البوسنة ، والعلامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، وغيرهم من ممثلي الامصار .

ومنذ ذلك الحين لم يقتصر انصار هذا البلد المقدس على الاعراب عن العطف والتأييد باحتجاجات كلامية ومظاهرات موضعية ، بل رأينا فوزي بك القاوقجي والشيخ محمد الاشمر وسعيد بك العاصي وغيرهم من رجال الاخلاص والتضحية في سورية والعراق وشرق الاردن يخفون على رأس جماعات من المجاهدين الى ميادين القتال يخوضون النار والحديد وينظمون المعارك . وبدأت منافسة شريفة بين الامصار العربية والاسلامية في نجدة الثوار بالمال والعتاد . لقد اصبح الصراع جهاداً مقدساً ، على العرب ان يؤدي كل منهم قسطه من هذا الواجب .

دخلت ثورة عام ١٩٣٦ بقيادة فوزي بك القاوقجي في دور التنظيم ، فشهدت مواقع حربية بين المتقاتلين لم تكن دموية فحسب ، بل كانت تعتمد على قسط غير ضئيل من الخبرة الحربية والفنون العسكرية .

وفي هذه الثورة اتحد الفلسطينيون انفسهم وتباروا في ميدان الوطنية لا فرق بين الفلاح والموظف ، او المرأة والرجل ، ولا تمييز بين المسيحي والمسلم .

وتطورت الثورة تطوراً آخر : فبعد ان اصبحت عامة غير موضعية ، صارت ذات صبغة « رسمية » . ذلك ان حكومات البلاد العربية دافعت عن اهدافها ، كما ان عواهل العرب الذين يهدفون الى الوحدة بدأوا يتقربون بعضهم من بعض بالمساهمة في ميدان النضال عن البلد المقدس وبالمفاوضة من اجله . وهم يتنافسون في مساعدتها ويتقربون الى الرأي العام في الدفاع عن محط انظار الجميع وقبلة هوى الجميع .

واتسعت الرقعة حتى تجاوزت محيط البلاد العربية ، فارتفع صوت مسلمي الهند دفاعا عن فلسطين ، وعقدوا مؤتمر دلهي في ١٦ و ١٧ و ١٨

تشرين الثاني ١٩٣٦ . والمؤتمرون الذين بلغ عددهم ٣٥ الف رجل ونيفا اتخذوا قرارات شديدة كان لها دوي بعيد في اندية لندن خاصة .

وكان الناس يظنون الى ذلك الوقت ان مصر غريبة عن فلسطين ، ولكنهم لم يلبثوا ان عرفوا ان رئيس الوفد المصري مصطفى النحاس باشا قدم مذكرة احتجاج الى حكومة لندن . كما ان واصف غالي باشا وزير الخارجية المصرية وقف موقف الدفاع عنها في اجتماع عصبة الامم سنة ١٩٣٦

وخف سمو الامير عبدالله امير شرق الاردن وصديق بريطانيا للاحتجاج وتدخل للتسوية .

وقدم اصحاب الجلالة عبد العزيز آل سعود والملك غازي ملك العراق والامام يحيي امام اليمن الى جلالة ملك بريطانيا مذكرة مشتركة اعربوا فيها عن وجهة نظرهم في القضية الفلسطينية .

وكان العراق ، حكومة وشعباً ، من اشد الناس حماساً لفلسطين ، فتوجه وزير خارجيته وقتئذ السيد نوري السعيد الى القدس وتوسط بين الحكومة وبين اللجنة العربية العليا . وكان من نتيجة هذه المفاوضات ، والنداءات التي تلتها الموجهة من عواهل العرب : الملك عبدالعزيز والملك غازي والامير عبدالله الى اللجنة العربية العليا بطلب وقف الثورة ان وافقت اللجنة على هذا الاقتراح تاركة الى ملوك العرب الذين كانوا على اتصال دائم في المفاوضة لاجل فلسطين ايجاد الحل الملائم ، خاصة وان لجنة بيل الملكية كانت على وشك مغادرة لندن للتحقيق .

غير ان الحوادث التي تلت خيبت الآمال مرة اخرى ، وكانت عاملا لنشوب ثورة اشد واشمل في العام التالي لاسباب بيناها في فصل سابق

قوبلت الثورة التي نشبت عام ١٩٣٧ و١٩٣٨ بقسوة عاتية وعنف شديد

فساعدت ايضاً على تحقيق اتحاد العرب ، شعوبا وحكومات ، للنضال من اجل فلسطين ، واثارت عواطف المسلمين في شتى أنحاء العالم .

فتنادى مفكرو العرب الى اجتماع عام في بلودان (سورية) شهر ايلول ١٩٣٧ ، وعقدوا مؤتمراً اشرف على تنظيمه نبيه بك العظمه ، ورأسه ناجي باشا السويدي أحد رؤساء الوزارات بالعراق ، ووضعوا فيه ميثاقاً لفلسطين تعاهدت الامصار العربية الكثيرة التي مثلت في المؤتمر على الارتباط به .

واجتمع العرب والمسلمون ايضاً في شهر تشرين الاول (١٩٣٨) في القاهرة ، في مؤتمر كانت له صفة رسمية لانه كان مؤلفاً من نواب الدول العربية والاسلامية ، اشرف على تنظيمه الاستاذ محمد علي علوبه باشا احد الوزراء السابقين في مصر ، وجمع هذا المؤتمر الهندي والصيني والمغربي والعراقي والمصري والشامي ، مسلمهم ومسيحيهم ، فضلا عن اليمني واليوغوسلافي . وقد أقر المؤتمر ميثاقاً جديداً يؤيد ميثاق مؤتمر بلودان في سبيل النضال عن فلسطين .

ولم تشأ المرأة العربية ان تبقى في عزلة عن الجهاد ، وهي أشد اندفاعاً من الرجل في هذا الميدان ، فشهدت القاهرة ، بعيد مؤتمر الرجال البرلماني ، مؤتمراً آخر للنساء العربيات اللواتي يمثلن شتى الاقطار العربية رأسته السيدة هدى شعراوي باشا ، فكان له أثر بعيد يدل على يقظة المرأة العربية .

ودوت في فضاء العالم خلال ذلك تصريحات ملوك العرب واحاديثهم في موضوع فلسطين ، وكلهم غيرة وتأييد وكلهم يعلن رفض مشروع التقسيم ، والى جانبها كان يتموج الاثير بتصريحات اخرى لبعض امراء المسلمين وزعمائهم في الموضوع نفسه .

فجاء ذلك دليلا ناصعاً على اتجاه جديد موحد ، واتحاد وثيق



وفد سوريا في المؤتمر النسائي الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٣٨ . الجالسات من اليمين السيدات : نازك العابد بيهم (زوجة المؤلف) فعادلة بيهم مختار عبدالقادر فقرينة محي الدين باشا الجزائري ، فقرينة محمد علي علوبة باشا ، فقرينة نبيه العظمه . الواقفات : الانسة داغستاني ، السيدة سنية الايوبي ، الانسة روشه القوتلي الانسة فطينه كريمة نبيه العظمه ، فاحدى سيدات مصر

●

متين لدى العرب ، للدفاع عن بلدهم المقدس : فلسطين .

وهكذا كانت فلسطين مباركة مرة أخرى اذ ألفت بين قلوب العرب ووحدت كلمتهم ، فكانت خطوة واسعة مستقيمة في سبيل العمل الجدي لاتحاد البلاد العربية .

وذلك ما حدا ببريطانيا لدعوة ملوك العرب سنة ١٩٣٩ الى المائدة

المستديرة رغبة منها في ايجـاد حل لمعضلة فلسطين قبل نشوب حرب أمست قاب قوسين او ادنى ، وكانت هذه الدعوة ، كما قلنا، كأنهـا اعتراف سياسي بوجود الوحدة العربية .

وقد ايدت الوفود العربية في مؤتمر الطاولة المستديرة، بتضامنها وتكاتفها ، هذه الوحدة الروحية ، وخاصة بهذا البيان الذي ادلى بـه علي ماهر باشا بالنيابة عنها . وقد قال فيه يتحدث عن مطلب العرب في ايجاد حكومة مستقلة في فلسطين : « ليس هذا المطلب هو المطلب الرئيسي للدول العربية وحدها ، بل هو المطلب الاساسي ايضا للجامعة الازهرية » .

ومن مظاهر هذا الاتحاد ومميزاته ان كلمة العرب لم تتفرق بتفرقهم ذاهبين الى بلادهم بعد اخفاق المؤتمر، بل عهدوا الى سفير مصر بلندن ان يتولى المفاوضات عنهم ، ثم عقدوا الاجتماعات في القاهرة خلال شهر نيسان ١٩٣٩ . واستمعوا الى السفير فيها الذي عاد يحمل مشروعاً جديداً لحل مشكلة فلسطين، وارسلوا مجتمعين رداً على هذا المشروع يتلخص بما يلي :

١ – تعيين ستة وزراء من العرب ومديرين من اليهود، تتألف منهم الحكومة الوطنية في الاشهر الاولى الستة من فترة الانتقال

٢ – الغاء منصب المندوب السامي

٣ – يكون رئيس الحكومـة الوطنية انكليزيا خلال السنوات الثلاث الاولى من تشكيلها

٤ – يجري بعد ذلـك البحث في انتخـاب رئيس للجمهوريـة يحل محل الرئيس الانكليزي

٥ – تظل دوائر الامن العام والمالية بأيدي البريطانيين

٦ – تعيين مستشارين بريطانيين للوزارات

٧ – تحدد فترة الانتقال بعشر سنين فقط لا تقبل التمديد

٨ – تمنح ٧٥ الف شهادة هجرة لليهود بمعدل عشرة آلاف شهادة هجرة في العام

وفي السنتين والنصف الباقية من فترة الانتقال توقف الهجرة اليهودية تماما

٩ - في حالة وقوع خلاف بين عرب فلسطين وبريطانية يعرض الخلاف للتحكيم ويكون بين المحكمين ممثلو مصر والمملكة السعودية والعراق

١٠ - تتعهد الحكومات العربية لعرب فلسطين بضمان تنفيذ الاتفاقية من قبل بريطانية

١١ - يترك امر الخفراء اليهود لحكم بريطانية وتقديرها

وقد تضمن هذا الرد تمنيات حول اعطاء عرب فلسطين عند تأليف الحكومة الوطنية حق الاشراف على وزارتي الداخلية والمالية وادارة الأمن العام ووجوب سن تشريع لتقييد بيع الاراضي لليهود . وان يحسم عدد اليهود الذين دخلوا سراً لفلسطين من النصاب المسموح به لمهاجريهم خلال السنوات الخمس .

ولكن حكومة لندن رفضت هذه الاقتراحات ، ونشبت الحرب العالمية الثانية فتوقفت المفاوضات .

هذا ورغم ان قضية فلسطين دخلت في السنين الاولى من الحرب في عهد سكون وهدوء ، فان ما حدث فيها من التطور قبيل الحرب ترك آثاراً عميقة واهمها شعور العرب ، شعوراً قوياً ، بانهم متحدون فعلا واعتراف دولي من ناحية ثانية بوجود هذا الاتحاد .

هذا فضلا عن انهم اصبحوا تواقين لتنظيم هذا التكتل ولاستثماره .

الفصل الثالث

نجاح الصهيونيين في تحقيق الوطن القومي بفلسطين

احتلال فلسطين – الدولة اليهودية قائمة – اختلال التوازن بفلسطين

•

هل حقق الصهيونيون الوطن القومي؟

كان جل ما يتمناه يهود العالم ان يتيح لهم الحظ بقعة آمنة يستقرون فيها كما يستقر غيرهم من الامم . والنجاح الذي كان يحالف تمنياتهم مدّ لهم في خيالهم ووسع من مطالبهم وابعد من اهـدافهم . ارادوا هـذه البقعة وطناً قومياً لهم، على ان تبقى وطناً قومياً لسواهم، وجـربوا جهدهم اغراء السلطان عبد الحميد كيما يسمح لهم بالهجرة الى فلسطين . ثم اعادوا الكرة على حكومة الاتحاديين فما وفقوا ايضاً : بل اعلمتهم تركية أنها تستقبلهم كمهاجرين حيث يشاؤون في غير هذا البلد المـقدس . بيد ان هذه الامنية التي لم يدر كوها عهد الترك اصبحت في حوزتهم عهد الانتدابات، ولما اصبحت واقعاً حقيقياً، هدفوا

لى ان يكون لهم وطن خالص لا يشاركهم فيه احد ولا يقاسمهم خيراته انسان . وتقوم فيه دولة يهودية تحيي ما اندثر من مقدساتهم وتعمل على التوسع والامتداد في المحيط العربي، سياسياً واقتصادياً، الى ان يأتي يوم تصبح فيه دولة اسرائيل جامعة تحت سيطرتها سائر الساميين .

وظل بعض العرب الى امد قريب لا يجدون في هذه الاماني الا أوهاماً خيالية لا تستحق الاهتمام، وبقي بعضهم اذا ذكرت الصهيونية اما ان يعطف على اليهود لما اصابهم من التشتيت والتشريد ولا يرى ثمة بأساً من استقبالهم الاستقبال الحسن مهما كثروا في فلسطين، واما ان يرى بوجودهم مصلحة اقتصادية للبلاد العربية فيرحب بهم لما يجلبون معهم من المال الغزير والعلم الوفير .

ولكن الحوادث سرعان ما كذبت الفئة الاولى ، وسرعان ما خيبت الفئة الثانية ، وبدأ العالم العربي يستيقظ من سباته ، وتحرر الذين استغرقوا في حسن الظن بالصهيونيين من هفواتهم الضارة .

صحيح ان الشعور بالخطر، وادراك مواضع النقص، اول مراحل الاصلاح، ولكن من الصحيح ايضا اننا اذا اكتفينا بهذا الشعور وهذا الادراك، واطمأننا الى الاعتماد على انفسنا دون ان نعمل ، ودون ان ننتقل الى مرحلة مجدية أخرى، كان ذلك غروراً ضالا منا ، ومصيبة فادحة علينا . والخصم المهاجم قد استقر في وطننا ، وهو يعمل لالتهامه شيئا فشيئا ، ويمد اطماعه الى ما حوله ، بقوة وتنظيم .

ونحاول في هذا الفصل ان نبين مدى نجاح الصهيونيين في فلسطين بما ادركوا من عدد وملك وما بلغوا من تنظيم اقتصادي ومكانة اجتماعية ، وان نشير الى الدولة الخفية التي اسسوها بكل ما للدول من مظاهر ومقومات . وحينئذ يتجلى لنا الخطر الصهيوني فاغرا فاه يلتهم كل مجالات حياتنا ، بل يلتهمنا

نحن ... ولعلنا بعد ذلك نهب للعمل لنغلق هذا الفم أولا ثم لنبعد هذا الخطر اخيرا . وقد يبدو في تصويري للاشياء بعض التشاؤم ولكن فلا بأس لاني اراه في هذا الموقف خيراً من التفاؤل وافضل من الاستغراق والتمادي في الاعتماد على النفس اعتماداً لا طائل تحته .

تدفق جنود الاحتلال الصهيوني الى فلسطين:

يتوسل الصهيونيون لاحتلال فلسطين « بتصدير » اوفر عدد يستطيعون سوقه اليها من المهاجرين غير عابثين بالانظمة ولا مبالين بالسلطات . وهم لا يخفون هدفهم ، بل يعلنونه بصراحة ووضوح « ان الامر الذي يهمنا هو انشاء الوطن القومي ... وان تكون المهاجرة غير مقيدة ، ... اقول صراحة اننا نأمل ان يسفر هذا التدريج الطبيعي عن ايجاد اكثرية يهودية في البلاد» هذه كلمات قالها هري ساكر رئيس اللجنة التنفيذية ومستشار الوكالة اليهودية بجرأة غريبة ، بين يدي لجنة والترشو البرلمانية

وكان على الدولة المنتدبة ، ما دامت مقيدة بصك الانتداب ، ان تضع قانونا للمهاجرة تتوخى في تنظيمه مقدرة البلاد على الاستيعاب . وقد وضعت بريطانيا العظمى فعلا هذا القانون ، وعزز مضمونه مستر تشرشل في تصريحات له عام ١٩٢٢ . ولكن هذا القانون كان ، كغيره ، عرضة للتبديل والتعديل وفقا لما توحي به مصالح الصهيونيين وتبعا لارشادات الوكالة اليهودية ، وعرضة لسوء الاستعمال ، حتى انتهى الامر الى ان اصبحت فلسطين مفتوحة على مصاريعها تستقبل المهاجرين بترحاب وسهولة .

اعترفت بذلك لجنة بيل الملكية ، فقد جاء في تقريرها : « كانت سياسة الحكومة تذهب في مجاراتهم الى حد بعيد واحيانا الى الحد الذي يبتغونه :

ففي تطبيق قوة الاستيعاب الاقتصادي مثلا . وهو العامل الوحيد في تحديد الهجرة ، كان يدقق فيما تقدمه الوكالة اليهودية بمزيد الاعتناء . »

وفي العام نفسه الذي اجتمع فيه المؤتمر الصهيوني السادس عشر في زوريخ تموز وآب ١٩١٩ ، واوصى بسوق المهاجرين الى فلسطين ، ارسلت حكومة لندن لجنة برلمانية لدرس الحالة في فلسطين ، ثم انتدبت ، لهذه الغاية تباعا ، الخبيرين السيرجون هوب سمبسون ١٩٣٠ ، ومستر فرنش ١٩٣١ فكانوا على اتفاق بان مقدرة البلاد الاقتصادية لا تتسع لقبول مهاجرين الا باحلالهم محل السكان الحاليين . كما ان اللورد باسفيلد ، وزير المستعمرات وقتئذ ، صرح في الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٠» بوجوب التقيد بصك الانتداب ،وانه ينبغي ان لا تكون المهاجرة قوية مهما يكن من أمر ، ولا زائدة عن مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب المهاجرين »

كلام جميل ! غير ان جماله يزول عندما تعلم ان الصهيونيين حملوا على وزير المستعمرات اشد الحملات ، وهاجموا كتابه الابيض ،وهددوا حكومة جلالته ، واستطاعوا ان يدفعوا مستر مكدونالد رئيس الوزارة في ذلك الحين الى القول بانه يتنصل من محاولة وقف الهجرة اليهودية ،بل استطاعوا ان يدفعوه الى الغاء الكتاب الابيض رغم انه صادر عن قرار مجلس الوزراء !

ومنذ ذلك الحين ازدادت الهجرة وتدفقت ، والذين هاجروا « بصفة رسمية » بدأ يتفاقم عددهم منذ غرة ١٩٣٣ حتى بلغ سنة ١٩٣٥ ، ٦١٨٥٤ مهاجراً . اضف الى هؤلاء عدد الذين يتسربون كل عام الى فلسطين بوسائل غير مشروعة . ولا سيما بعد ان اجلى المحوريون اليهود من كل البلاد التي احتلوها في اوربا الشرقية . ويقدر التقرير الرسمي عدد الذين استوطنوا فلسطين بصورة غير مشروعة خلال سنتي ٣٢ — ١٩٣٣ فقط بـ ٢٢٤٠٠ منهم ١٧٩٠٠ من

المسافرين الذين ظلوا في فلسطين بعد انقضاء اجل اجازاتهم .

وهكذا نجد ان اليهود الذين كان عددهم في فلسطين ١٢ الف نسمة عام ١٨٤٥ ، وثمانين الفاً عام ١٩١٤ ، بلغ عددهم خمسماية وخمسين الفا سنة ١٩٤٤ على الوجه التالي :

		عرب	يهود
عام	١٩٢٢	٤٨٦ ١١٧	٧٦٠ ٨٣
عام	١٩٤٢	٩٢٥ ٥١٠	٧٠١ ٤٨١
عام	١٩٤٤	١٠٠٠ ٠٠٠	٥٥٠ ٠٠٠

ويدلنا هذا الجدول على ان نسبة الزيادة في عدد العرب اقل من ماية في المائة ، في حين ان نسبة الزيادة في عدد اليهود تتجاوز ٥٥٠ في المائة . وان عددهم كاد يبلغ النصف من سكان فلسطين ولا سيما اذا اخذنا بعين الاعتبار عدد المكتومين الذين دخلوا فلسطين بطرق غير مشروعة .

ولما بلغ السيل الزبى وادرك العرب ان جيش الاحتلال الصهيوني لن يزال يتدفق الى هذه الارض التي لا تزيد مساحتها على عشرة الاف ميل ، وانها بدأت تضيق عليهم شيئا فشيئا باعوا انفسهم في سبيل انقاذ وطنهم .

غير ان الصهيونيين الذين يفهمون الوطن القومي كما فسره الدكتور حاييم وايزمن امام لجنة بيل الملكية سنة ١٩٣٦ « وهو تمكين كل يهودي من العودة الى فلسطين » فقد شرعوا ، حين تنفسوا الصعداء في الحرب العالمية الثانية ، ينشطون للعمل على حمل حكومة جلالته على ابطال مفعول الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٣٩ ، كما الغوا الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٣٠ . ولجأوا الى نفوذهم في الولايات المتحدة لحمل حكومتها على التدخل في الامر مع بريطانيا العظمى ، الى جانب نشاطهم في لندن نفسها . وهم الى ذلك لم يتوقفوا عن زج المهاجرين

وتدبير الوسائل للانسلال خفية الى فلسطين .

اما وقد سد في وجههم البحر اوائل الحرب الحاضرة فقد اعتمدوا على التسرب الى فلسطين عن طريق تركيا – لبنان ، واذكر ان بعض محامي فلسطين ، في مؤتمر المحامين العرب (دمشق آب ١٩٤٤) وجه اللوم الى احد الرجال المسؤولين في لبنان على التساهل الذي يبدو في اجتياز المهاجرين من حدود لبنان الى فلسطين ، فكان جوابه ان هؤلاء انما يحتالون على امتطاء القطار من تركيا الى فلسطين مباشرة . ومع ذلك فان اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية لم يقنعه هذا التخلص فبادر الى توجيه رسالة لدولة عبد الحميد كرامي رئيس مجلس الوزراء يوم ١٤ نيسان ١٩٤٥ يرجوه فيها الضرب على ايدي سماسرة هؤلاء المهاجرين وزملائهم سماسرة الاراضي التي تباع في لبنان لليهود باسماء مستعارة حفظا لكرامة لبنان وكيانه . ولما خلف سامي بك الصلح الزعيم كرامي على رياسة مجلس الوزراء سارع دولته الى اصدار بلاغ مؤرخ في ١٢ أيلول ١٩٤٥ عممه على الوزارات والدوائر شدد فيه بوجوب التقيد بالمرسوم الاشتراعي رقم ١٥ الصادر بتاريخ ٢١ حزيران سنة ١٩٤٣ المتعلق بشراء الاجانب عقارات في الاراضي اللبنانية ، والتدقيق في كل عقد يتعلق بنقل ملكية او تأجير او بانشاء اي حق عيني لمصلحة شخص اجنبي ، كما انه اصدر بلاغاً آخر يوم ٢٤ ايلول ١٩٤٥ شدد فيه بشأن مراقبة الحدود ومنع تسرب المهاجرين اليهود الى فلسطين بالطرق السرية

والواقع ان سيل الهجرة ، او بكلمة اصح ، تدفق جيش الاحتلال الصهيوني ما فتأ ينهمر بطرق غير شرعية ، ثم تستقبلهم هيئاتهم الرسمية وتذلل لهم الصعاب وتدفع كل حاجز يحول دون هذا الاكتساح ، وهم يبررون عملهم بأباطيل يزينونها حقائق ، واكاذيب يلبسونها اثواباً قانونية ، فيشيعون

مثلا ، انهم قد اتفقوا مع حكومة مصر على ادخال ٣٥ الف عامل مصري لفلسطين يسدون الفراغ في معاملها ومصانعها ، وهم لا يريدون من ذلك الا ان يقولوا ان فلسطين لا تزال قادرة على الاستيعاب ، بل هي محتاجة الى عمال . . . !

والواقع ان الآلاف العديدة من العمال العرب في فلسطين الذين تنتشر بينهم البطالة ، جواب يدحض اباطيلهم . على ان القضية ليست تكتسب بمجرد الحق فحسب ، بل ان للانسان مساعي : فهم كما استحوذوا على الرئيس روزفلت حتى آخر دقيقة من حياته فقد رجوا الرئيس ترومان منذ الساعة الاولى من رياسته ، وما اعلن رئيسا الا واندفع لمساعدة اليهود وأسرع يضغط على بريطانيا العظمى في سبيل مساعدتهم . وفي مؤتمر بوتسدام سنة ١٩٤٥ اقترح باسم الولايات المتحدة السماح لاكبر عدد ممكن من اليهود بدخول فلسطين قائلا « انه ليس في النية ارسال نصف مليون من الجنود اليها تنويهاً بما ينوي الصهيونيون القيام به من اعمال العنف اذا لم يجابوا الى طلبهم » . وقد تباحث مع السيد تشرشل والماجور اتلي زيادة على ذلك في مسألة انشاء دولة قومية يهودية .

ثم اعاد الكرة على لندن ، فرغب الى الماجور اتلي الموافقة على ما قرره المؤتمر الصهيوني العالمي في لندن : وهو السماح بادخال مئة الف يهودي الى فلسطين .

ولكن الحكومة البريطانية لم تأخذ بهذه المطالب ، وصدر بيانها في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ وتلاه وزير الخارجية في مجلس العموم فاذا به يدلي برأيها في شأن الهجرة على الوجه التالي :

« طلب الينا مؤخراً ان نسمح بالهجرة الى فلسطين على نطاق اوسع ، ومع انه ربما كان بامكان فلسطين المساهمة فهي بنفسها لا تتيح مجالا كافياً لمعالجة

المشكلة كلها.»الى ان قال «تتداول الحكومة مع العرب للتوصل الى تدبير يتضمن انه الى ان تقدم المقترحات الوقتية من قبل لجنة التحري سوف لا تتوقف الهجرة اليهودية عن المعدل الشهري الحالي ١٥٠٠ »

وقد اجاب العرب سلفاً بالرد الذي اصدرته الجامعة العربية في ٥ كانون الاول سنة ١٩٤٥ على بيان الحكومة البريطانية برفض الهجرة ايا كان العدد. وقد جاء في هذا الرد عتاب له معان حيث قال « وليس في بيان سعادتكم ما يستدل منه على القدر الذي تساهم به الولايات المتحدة او الامبراطورية البريطانية في الوقت الذي تقترحون فيه هجرة جديدة الى بلد عربي »

وقالت ايضا فلسطين العزيزة رأيها في الموضوع بالرد الذي اصدرته اللجنة العربية العليا فاجادت .

الا ان اليهود لم يقفوا عند حد الكلام في الرد على بيان حكومة جلالته بل بلغ بهم الغرور، في الاعتماد على انفسهم ان اعتزموا ادخال المهاجرين، الذين يسوقونهم من كل حدب الى فلسطين، بالقوة . وفي ٢٩ ايلول سنة ١٩٤٥ اصدرت الهيئات اليهودية في فلسطين بياناً قال علانية : « ان الشعب اليهودي سيفتح ابواب فلسطين لاخوانه المهاجرين . » وكان على رأس موقعي هذا البيان الوكالة اليهودية .

وحاولوا ان يقوموا بما قرروا فتدفق المهاجرون الى فلسطين على اثر ذلك براً وبحراً ونجحت محاولات عديدة في انزال طوائف منهم بحراسة المدافع الرشاشة، كما وفقت طوائف اخرى للانسلال الى فلسطين بطريق البلاد المجاورة . وكان يهود فلسطين اذا ما اعترضت السلطة احداً منهم يبادرون لمساعدته على الدخول بالسلاح والكفاح . ثم وافتنا الانباء البرقية عن القدس في ختام عام ١٩٤٥ وفي مطلع عام ١٩٤٦ تعلن نزول عدة مئات من هؤلاء

المهاجرين في شمالي حيفا ، وكانت تحمي نزولهم وحدات مسلحة تابعة لمنظمة هاغانا الدفاعية وتقول الانباء ان الباخرة التي اقلت بعضهم وجدت جانحة وعليها لوحة خط عليها ما يلي : « لتبقى هذه الباخرة هنا تذكاراً لستة ملايين من اليهود ماتوا في اوروبا ، وتذكاراً للتهمة الموجهة الى السياسة التي تتبعها الحكومة البريطانية حيال اليهود »

وتجاوز الصهيونيون هذا الحد في تحدي حكومة جلالة الملك فبادروا ظهر ذلك اليوم واذاعوا بالراديو السري باللغات العربية والانكليزية والعبرية بلاغاً صدر عن مركز المقاومة السري ان ٢٤٠ مهاجراً يهودياً من اوروبا انزلوا في الاماكن التي اعدت لنزولهم .

ونحن لا ندري اذا كان هذا التمرد الذي تجاسر عليه الصهيونيون قد اثر بحكومة لندن الى حد انها اجازت لنفسها اهمال ما نص عليه كتابها الابيض الاخير في شأن الهجرة ، ذلك الكتاب الذي اقسم وزيرها بشرف بريطانيا العظمى على تنفيذه حرفياً :

اجل فان حكومة جلالة الملك لم ترد اعتبار ما جاء في ردي الجامعة العربية واللجنة العربية العليا في فلسطين على تصريح وزير خارجيتها جوابا سلبياً حاسما على اقتراح السماح لالف وخمسماية مهاجر الدخول لفلسطين كل شهر . بل عمدت الى توجيه مذكرات الى الجامعة العربية والى الدول العربية نوهت فيها بانها والولايات المتحدة اعلنتا استعدادهما لادخال بعض الفئات من الاشخاص المنكوبين ، ومن المنتظر ان يكون بينهم عدد كبير من اليهود ، ورغبت الى الدول العربية ان تسلم بالطريقة المقترحة .

واخذت الحكومة الانكليزية تقوم بالمناورات لحمل الجامعة على قبول هذا المشروع . كما ان مذكرتها للجامعة لم تخل من الاطراء الى جانب التحذير :

فقد مدحتها اولا بقولها ان الجامعة هي خير من يفهم السياسة الدولية، ثم راحت تسوق لها كلمات الوعيد حيث قالت : « ان الرفض التام لهذا المشروع سيؤدي الى اخطر النتائج »

ومن المؤسف ان يتأثر بعض رجالاتنا العرب من ارادة حكومة لندن ، وان يراعوا في هذا الموقف مصالح دولهم الخاصة .

وفضلًا عن هذا فقد اظهرت الجامعة العربية في هذا الموقف ترددًا لا يحمد : فمع ان كثيرًا من زعماء قومنا وعلى رأسهم جلالة الملك ابن سعود اعلنوا ان الكلمة لها في الرد على اقتراح لندن ، ومع ان مجلس الجامعة اخذ مبدئيًا بهذا الرأي وعين موعدًا قريبًا للاجتماع فقد ظلت تتجاذبه عوامل مختلفة حتى ارجأ الدعوة للاجتماع في آخر الامر مقترحا ان تتولى كل دولة من اعضائه توجيه الجواب على حدة .

وكان من مغبة هذا التردد ؛ ومن عواقب هذه المماطلة ان وجدت لندن مسوغًا لها لان تجزم وتقرر السماح ل ١٥٠٠ مهاجر يهودي الدخول لفلسطين شهريا ، معتبرة ان سكوت الجانب العربي فيه معنى الموافقة .

لقد احتجت فلسطين المنكوبة اثر هذا القرار ، واضربت هي والبلاد العربية ، ورفعت اللجنة العربية العليا احتجاجها الى رئيس مجلس الامم المتحدة المنعقد في لندن ، ولكن هل يجدي الاحتجاج بعد ان سبق السيف العذل ؟ ولقد كان اجدى لقومي ان يرفعوا اصواتهم حينما كانوا يلزمون السكوت ، وحينما كانوا يقتلون الوقت في التفكير !

ان الالم الذي يحز في نفوسنا يحملنا على ان نصارح الدول العربية بان انقاذ فلسطين لن يتوفر بالبرودة التي يجابهون بها الاخطار المفاجئة، ولا بالتردد ، بل يحتاج الى حزم وعزم ومبادرة واعتماد على النفس اشد مما نفعل .

وهنا مجال للتساؤل . هل تبقى فلسطين عربية اذا قسنا المستقبل بالماضي وهل يبقى للعرب اثر في فلسطين اذا اتيح لليهود ان يزدادوا خلال عشرين سنة اخرى ٥٥٠ في المئة اسوة بما مضى ؟

فقد قال المستر ملز قديمـا في جوابه على سؤال وجهته اليه لجنة شو عام ١٩٢٩ ما يلي :

« اذا سمحت الحكومة بخمسة وعشرين الف مهاجر يهودي في السنة اصبح عدد اليهود مساوياً لعدد العرب عام ١٩٤٨ . وذهبت لجنة بيل الملكية سنة ١٩٣٧ الى انه اذا بلغ المعدل السنوي للهجرة اليهودية ستين الفاً تساوى اليهود والعرب في منتصف سنة ١٩٤٧ ، وبلغ عدد كل منهم ١،٢١٠،٠٠٠ شخصاً »

اما والهجرة غير المشروعة مستمرة ، واما وقد فتح الباب في وجه هجرة جديدة ، واما وان العرب ما زالوا بعد الجامعـة العربية ، على حالهم من التواكل ، خصوصاً بعد ان قسمتهم السياسة الى صفين فالتشاؤم كاد يبلغ بنا الى القول « ان السبيل الى نجاتها درسا »

جيش الصهيونيين يستولي على اراضي العرب :

يشير تقرير لجنة كنج — كرين الاميركية الى ان اللجنة عند ما بحثت مع المندوبين اليهود ظهر لها ان الصهيونيين يتطلعون الى تجريد السكان غير اليهود تجريداً عملياً من ملكية فلسطين وذلك بواسطة الشراء .

وفلسطين قطر صغير تبلغ مساحته اقل من عشرة آلاف ميل مربع ، والاراضي الصالحة فيه للزراعة لا تسد حاجة سكانه . وهو مع ذلك بلد زراعي يحيا فيه الفلاح حياة جهد وفاقة .

وقد الفى الصهيونيون في حياة الفلاح البائسة وسيلة طيبة لاغرائه بالمال :

فالحاجة الماسة لدفع الضرائب واداء الديون المستحقة ، والانفاق حين المحل كل ذلك كان يؤمن لهم ما ارادوا من اقتناء شطر كبير من اراضي فلسطين بالمال واجلاء اصحابها عنها . وساعدهم على ذلك خروج فلسطين من حرب ضروس دامت ٥٠ شهراً نشرت فيها الفقر والاملاق .

ولكن الدولة التي اخذت على عاتقها الانتداب على فلسطين ، واعلنت وعد بلفور على شرط ان لا يمس مصالح اهليها الاصليين ، كان لابد لها من ان تصغي لاحتجاجات العرب الداوية وان تشعر بالخطر الاجتماعي الذي يوشك ان يحيق بالبلاد من جراء العاطلين ، وخاصة بين اولئك الذين اجلوا عن اراضيهم بعد بيعها ، فوضعت قوانين لحماية اراضي المزارع عملاً بتوصيات اللجان الرسمية التي وكلت اليها لندن درس هذه المشكلة . نذكر منها القانون الذي صدر عام ١٩٣٣ المعروف بقانون حماية المزارعين .

بيد ان هذا القانون جاء بعد اوانه . لان الصهيونيين كانوا قد امتلكوا حتى عام ١٩٣٠ ما يناهز ١،١٧٠،٠٠٠ دونماً اكثرها بقيم زهيدة ، وربما جاء هذا القانون متأخراً عن قصد ريثما تشكل السياسة المنصوص عليها في المادة الثانية من صك الانتداب برنامجها : وهي وضع البلاد في حالة سياسية واقتصادية تساعد على انشاء الوطن القومي اليهودي . وقد علق تقرير فرنش عام ١٩٣١ على هذا الاستملاك بقوله : « ومن الجلي انه لم يكن في الامكان امتلاك هذه الاراضي الشاسعة لاقامة المهاجرين اليهود فيها اقامة دائمة دون ان يؤدي ذلك الى اخراج عدد كبير من المزارعين العرب منها سواء ابتيعت من كبار الملاكين العرب ام من صغارهم .. »

اضف الى هذا ان لجان التحقيق المختلفة ، كلجنة شو البرلمانية ، ولجان جونسون كروسبي ، وسمبسون ، وفرنش قررت بالاجماع عام ١٩٣٠ — ١٩٣١

بان الاراضي التي في حوزة العرب لا تقوم بحاجتهم . ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ لقد بقيت الوسائل ميسرة بين ايدي اليهود للاستملاك ؛ فالوكالة اليهودية في القدس ، التي هي حكومة ضمن الحكومة ؛ وفقت الى شراء ما يزيد على نصف مليون دونم اخرى بعد صدور هذا القانون وبعد توجيه تلك التوصيات ! كما انها وفقت لاخذ هبات من الحكومة من الاراضي الاميرية. وهكذا اصبحت الاراضي المسجلة باسمهم عام ١٩٣٦ تبلغ ١٬٣٣٢٬٠٠٠ دونما واستمرت الزيادة في ارتفاع حتى قدرت عام ١٩٣٧ بـ ١٬٦٧٠٬٠٠٠ دونما .

وتتحدث الارقام التقريبية المستقاة من سجلات ضريبة الاملاك ، قبيل الحرب الاخيرة ، فتؤكد ان اليهود الذين لم يكونوا يملكون عهد الاحتلال بفلسطين اكثر من مائة الف دونم اصبحوا يملكون من الاراضي الصالحة للزراعة ٩٣٩٬٠٠٠ دونم عدا الاراضي التي ابتيعت بعقود خاصة ولم تسجل ؛ ويقابلها ٦٬٠٣٧٬٠٠٠ دونم احتفظ بها العرب .

واما في الاراضي الحمضية فقد بدا نشاط الصهيونيين اكثر اذ باتوا يملكون نحو نصف هذه الاراضي في فلسطين ، فاصبحوا اصحاب ١٠٢٬٠٠٠ دونم بينما لم يكونوا يملكون منها عهد الاحتلال الا عشرة آلاف دونم . اما العرب فليس بين ايديهم سوى ١٠٦٬٤٠٠ دونم على ما بينهم وبين الصهيونيين من التفاوت في العدد . وقد قامت للصهيونيين في هذه الاراضي الزراعية قبل الحرب ٢٠٣ من المستعمرات المأهولة بمائة الف من السكان .

وكان العرب خلال ذلك ، يتألمون اشد الالم ، على ضياع اراضيهم ، ويدركون مصيرهم السيء ؛ ولكن ما العمل وليست السلطة بايديهم ، انما هي بايدي الوكالة اليهودية .

وفي الجملة فقد صار في حوزة اليهود الان مايناهز مليوني دونم من الاراضي

الصالحة للزراعة ، اي ما يعادل ثلث هذه الاراضي في فلسطين . على ان مافي حوزتهم هو في قوة الانتاج الطبيعية ، من حيث جودة التربة وغزارة الري ، قد يزيد على نصف ما في فلسطين من قوة الانتاج الزراعي . هذا فضلاً عن انه يغل باستعمالهم الطرق الفنية اضعاف ما تعطيه الاراضي الباقية .

وكانت الوكالة اليهودية لا تتوخى في صعيد التملك اختيار الاراضي الخصبة فحسب وانما تتمشى على منهاج يرمي الى تطويق عرب فلسطين بشراء الاراضي الواقعة على الحدود قصد قطع الصلة بينهم وبين اخوانهم في البلاد المجاورة ، وتسهيلاً للهجرة غير المشروعة .

اما العرب فكانوا يتألمون اشد الالم على ضياع اراضيهم ، ويقدرون سوء المصير . ولكن ما الحيلة وليس لهم من الامر شيء ، انما السلطة الحقيقية في قبضة الوكالة اليهودية ؟ فيلجأون للشكوى ، فيشكون الحكومة على اهمالها توصيات اللجان الرسمية ، وخصوصاً ما كان منها في اصلاح نظام الضرائب تخفيفاً عن عاتق الفلاح المعوز ، ويشكون اهمالها سن القوانين لحماية صغار المالكين اسوة بمصر والبنجاب وغينيا . ويشكون اهمالها شأن الفلاح العربي ، وانها بدلا من ان تفتح له المصارف الزراعية اغلقت البنك الزراعي الذى كان عهد العثمانيين ، فجعلت الفلاح مثقلاً بالديون لا يجد بداً من بيع اراضيه ليؤدي هذه الديون والاموال الاميرية .

غير ان شكاوى عرب فلسطين لم تكن تصل الى آذان المسؤولين لولا العوامل التي سبقت الحرب الاخيرة وانتهت باعلان الكتاب الابيض الاخير . وقد جاء هذا الكتاب محدداً مطامع الصهيونيين في الاستملاك وناصاعلى ان يقتصر بيع الاراضي لليهود على مناطق خاصة .

غير انه لم يحدّ مع ذلك من مطامعهم : فقد عمدوا الى استعمال الحيل

الشرعية لاستملاك الاراضي ، وسخروا لغاياتهم القوانين . والامثلة كثيرة على هذه الحيل التي استطاعوا بها ان يوالوا الاستملاك في انحاء فلسطين ، وفي جنوب لبنان ايضا .

وقد تولت كبر ذلك مؤسسات عالمية لها ثروات طائلة ، واهمها شركة الكيرين كاييت . على ان قومي ، وقد جدّ جدهم بعد تأليف الجامعة العربية ، لم يرضوا ان يقفوا عند حد مؤسسة صندوق الامة العربية المحدودة لانقاذ اراضي فلسطين ، بل عالجوا هذا الموضوع منذ اجتماعاتهم الاولى ، كما سنفصل ذلك في الفصل الخامس من هذا الكتاب ، ولكنهم لم يتفقوا حتى الان على المنهاج رغم ماوضعوا من مشاريع ، واهمها مشروع مصر الذي وضعه حافظ عفيفي باشا ، والمشروع الانشائي العربي الذي نظمه موسى بك العلمي [٢] ومشروع صندوق الامة الذي وضعه احمد حلمي باشا . وربما يكون هذا التردد الذي تقع فيه الجامعة مصدره وفرة هذه المشاريع ، وقد يكون تأخر حكومة مصر عن مؤازرة مشروع الانقاذ مؤازرة مادية مما ادى الى عدم نجاح المشروع ولابدع فمصر ، وفضلاً عن انها قدوة ، هي اقدر الامم العربية على البذل والمساعدة . ولعل الجامعة العربية تعير هذا المشروع لفتة من لفتاتها الموفقة فتنقذ الموقف في وقت قريب .

---

(١) Keren Kayemeth اي الصندوق اليهودي الوطني

(٢) تولت مجلة عالم الغد العراقية نشر مشروع الاستاذ العلمي في رسالتها الثالثة، وقد مضى صاحب المشروع بتنفيذه وايدته حكومتا العراق وسورية بالمساعدة المالية ، فنرجو له التوفيق .

الدولة اليهودية قائمة في فلسطين

سعى اليهود منذ نشأت الصهيونية الى اقامــة دولة يهودية في فلسطين ، وكانوا في البدء يخفون مآربهم في حنايا نفوسهم ، ثم ما كادوا يستقرون في فلسطين حتى اعلنوا هذا المأرب ، ونشطوا لنيل اعتراف الدول بهذه الدولة .

والواقع ان الصهيونيين انشأوا نواة هذه الدولة بفلسطين ، وهي قائمة فعلاً . ولكن الفكرة التي تستحوذ علينا وتقوم على حقنا الصريح الذي يتملك نفوسنا لا تزال تصرفنا ، نحن العرب ، عن التحديق بما نصب الصهيونيون من قواعد لهذه الدولة على مرأى ومسمع منا . فلنرفع الحجاب ، في هذا الفصل ، عن هذه الهياكل ، واحداً واحداً ، كما تبدو لنا على حقيقتها فنتدبر الامر ونتدارك الشر .

١ – الوكالة اليهودية حكومة

تنص المادة الرابعة من صك الانتداب على الاعتراف بوكالة يهودية كما يلي : « يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معهــا في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي الصهيوني ... الخ »

وتنص المادة الحادية عشرة من هذا الصك على انه « يجوز لحكومة البلاد ان تتفق مع الوكالة اليهودية على ان تضع وتدير بشروط الانصاف والعدل ، الاعمال والمصالح والمنافع العامة وترقي مرافق البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة هذه الامور مباشرة بنفسها ... الخ »

وكان معنى ذلك ان تناولت دولة الانتداب السلطة بيد وأسلمتها بكل امانة بيد اخرى الى الوكالة اليهودية ؛ وذلك لان المادة الثانية من صك الانتداب جعلتها « مسؤولة عن وضع البــلاد في احوال سياسية وادارية

واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي » وهل اجدى لادراك هذه المهمة من الاستعانة بالوكالة اليهودية ؟

اما سلطة هذه الوكالة وشدة نفوذها فلسنا نتعرض لشيء منها لئلا نتهم باننا نزين الامور ونزيد فيها : بل ندع لجنة بيل الملكية تتحدث عن ذلك، قالت في تقريرها : « كان جلياً ان المقصود من نظام الانتداب ان يبنى الوطن القومي اليهودي على عواتق اليهود في الاكثر . والسلطات التي اعطيت للوكالة اليهودية تشابه السلطات التي كانت تعطى في الزمن الغابر للشركات التي كان يعهد اليها بمهمة الاستعمار .. انها باتحادها مع المجلس الملي اليهودي وباكتسابها ولاء الاكثرية الساحقة من يهود فلسطين أصبح لها ، ولا مراء ، نفوذ كبير على سير اعمال الحكومة في القدس وفي لندن » .

ولم تكتف لجنة بيل الملكية بهذا التعريف للوكالة اليهودية بل قالت عنها في مكان آخر من تقريرها : « وهذه المؤسسة القوية الفعالة هي في حكم الواقع بمثابة حكومة تقف جنباً الى جنب مع الحكومة المنتدبة .. وفي الحقيقة ليس هنالك فرع من فروع الادارة لاتتدخل الوكالة به .. ومن الصعب على كل حال ان يجد المرء في التاريخ سابقة تضارع هذه السابقة من حيث تأسيس حكومة قائمة ضمن حكومة اخرى »

ونحن نكتفي بهذا الوصف وهذا النقد ، ولا نزيد . غير انه لا بد لنا من تساؤل باي حق تغتصب السلطة من اصحاب البلاد لتعطى الى شذاذ آفاق لاجئين ؟ وباي شرع تنزع هذه السلطة من الكثرة الساحقة كيما تستأثر بها القلة ... ؟

ليس لنا ان نتعرض للحق ، ولم نحاول ان نتعرض له في هذا الكتاب لان الذي يبدو لنا ان الحق للقوة وليست القوة للحق .

واذا اردنا ان نلم قليلًا بالوكالة اليهودية نجد انها اتخذت لها داراً في القدس في عمارة فخمة هي في الواقع دار حكومة تنقسم الى دوائر متعددة : الدائرة السياسية، ودائرة الاستعمار، ودائرة الهجرة، ودائرة المالية ، ودائرة الاقتصاد والتجارة والصناعة، ودائرة المعارف، والدائرة الصحية . والقيمون على هذه الدوائر هم وزراء الدولة فعلًا وان لم يسموا انفسهم كذلك . وللوكالة لجنة ادارية ولجنة تنفيذية ، وليستا هما، في الواقع، الا كمثل السلطة التشريعية والتنفيذية في كل دولة . واخيراً فقد طالبت جريدة جاماشكيف الوكالة اليهودية بانشاء وزارة حرب تمثل جميع الاحزاب السياسية اليهودية .

ولما كان المال هو عصب كل دولة فيكفينا التنويه بميزان الصندوق التأسيسي الفلسطيني الذي تسيطر عليه هذه الوكالة لتقدير نفوذها . ان نفقات هذا الصندوق خلال المدة الواقعة مابين سنتي ١٩٢١ و١٩٣٦ بلغت ٦،٢١٥،٠٠٠ جنيه فلسطيني . ثم تزايدت هذه النفقات بنسبة فاحشة سنة ١٩٣٥–١٩٣٦ في سنة واحدة فبلغت ثلاثمائة الف جنيه . وازدادت بنسبة اغزر كثيراً خلال الحرب الحاضرة

وقد مضى على تأسيس الصندوق القومي ، وهو المعروف « بالكارن هايسود » ٢٤ سنة ، فاحتفلت المؤسسة اليهودية القومية بتل ابيب خلال تموز ١٩٤٤ بذكراه الرابعة والعشرين .

واشارت لجنة بيل الملكية الى ثروة الوكالة اليهودية بقولها : « فمركز اليهود الخطر في اوروبا واندفاعهم لاستيطان فلسطين اديا لجلب رؤوس اموال وافرة استثمرت في البلاد . فهناك عدا مبلغ ٦٣،٠٠٠،٠٠٠ جنيه المستثمرة في المشاريع الخاصة ، مبلغ يقدر بنحو ١٤،٠٣٧،٠٠٠ جنيه تبرع به اليهود لصناديقهم القومية الفلسطينية »

ولم تنقطع المساعدات عن الصندوق القومي اليهودي في فلسطين يوما خلال الحرب الحاضرة وجلها من الولايات المتحدة . وتقدر الوثائق الرسمية الاخيرة المساعدات التي تصل الى فلسطين كل عام من الولايات المتحدة وحدها بخمسة ملايين ونصف مليون ريال . منها نصف مليون ريال من تبرعات المسيحيين الذين لعب اليهود بعواطفهم عن طريق الدعاوات الكاذبة ، ومعظم هذه الاموال تتصرف الوكالة اليهودية به كما تشاء[1] .

نتساءل بعد ذلك ، والمال كما قلنا عصب الدولة ، اليست هذه الوكالة حكومة حقاً لها خصائص الحكومات ونفوذ الحكومات وميزانيات الحكومات ؟ ألم يضعها حك الانتداب في مقام الشريك في الحكم بفلسطين؟

لاشك انها حكومة قائمة ، ولكنها تشارك حكومة اخرى في الحكم . ومن اجل ذلك يسعى الصهيونيون ان لا يكون ثمت شريك يقاسمهم الحكم وان يتفردوا وحدهم بفلسطين ...

٢ — عاصمة الدولة

صحيح ان القدس لا تزال ذات المكانة السياسية الاولى ، ولكن الصهيونيين يريدون ان يخلقوا ، ولو موقتاً ريثما يبلغون موعدهم المنتظر ، عاصمة خالصة لهم لا ينازعهم فيها شريك . تلك هي مدينة تل ابيب .

وما زالت العناية الصهيونية تحوط هذه المدينة الى ان اصبحت تمتد الى

---

(١) من شهادة روبرت زولد ممثل الصهيونية الاميركية امام اللجنة الاميركية الانكليزية في الولايات المتحدة : يستفاد ان هبات الاميركيين لفلسطين بلغت ١١٠ ملايين دولار . هذا فضلا عن ٤٥ مليون دولار مستثمرة فيها بطرق اقتصادية . ويستفاد ايضاً من شهادة السيد ناثان امام اللجنة ان الاموال اليهودية التي دخلت الى فلسطين على وجه عام تتجاوز المائة مليون جنيه .

ساحات واسعة على حساب العرب ، وحكومة فلسطين تجاريها حتى انها ضمت اليها قسراً قرية الشيخ مونس في اواخر عام ١٩٤٣ ، فقضت على اهل هذه القرية بالجلاء غير عابئة بتذمر العرب .

واخذت هذه المدينة تتمتع بازدهار مطرد في العمران ، وازدياد متواصل في عدد السكان فبلغوا مايتي الف ساكن او يزيدون ، وحسبنا ان ندلل على ازدهار هذا البلد بذكر النفقات في موازنة مجلس بلديتها : فقد قدرت هذه النفقات عام ١٩٤١ بمبلغ ٥٦٠ الف جنيه فلسطيني ، واصابت زيادات اخرى من بعد تبعاً لازدياد السكان . ولجنة بيل الملكية كانت صريحة جداً حينما وصفت موقف الحكومة من بلدية تل ابيب بقولها : «وفي امور البلديات اطلق العنان لتل ابيب اطلاقاً واسعاً ؛ ولم تجر قط محاولة تحملها على مراعاة القانون مراعاة دقيقة» . وكانت آخر ضحية لها قرية الشيخ مونس التي اشرنا اليها .

٣ – لغة الدولة .

كانت اللغة العربية منتشرة في الشام منذ العهد الروماني ، فكانت في جملة اللغات المتداولة في حياة المسيح (كما يستفاد من – الفصل ٢ – ٩) . وبقيت حية رائجة حتى الفتح العربي ، من جراء وجود القبائل العربية التي كانت منتشرة في سوريا ، ثم وقع الفتح العربي فاصبحت العربية منذ ذلك الوقت لغة الامة والدولة والعلم .

ولكن اليهود ارادوا ، بين عشية وضحاها ، أن يحلوا اللغة العبرانية في صعيد واحد مع اللغة العربية في فلسطين ريثما يتسنى لهم جعلها وحدها لغة الدولة . وقد استطاعوا ان يجعلوا صك الانتداب يقرر لهم (في المادة ٢٢) اعتبارها لغة رسمية اسوة بالعربية والانكليزية . وهكذا اصبحت هذه اللغة

الدخيلة لغة رسمية ، ليس في المخاطبات فحسب ، بل في السجلات ايضاً ؛ بل أصبحت تنقش على ورق التمغة والبريد والنقد ، ويذاع بها في محطات الاذاعة وتنشر بها البلاغـات . وتطور الامر الى انك اذا دخلت دائرة اقتصادية حكومية معلومة في القدس لاتلقى فيها من تدور اللغة العربية على لسانه . بينما ان العبرانية التي لم تكن تستعمل قبـل سنين الا في الطقوس الدينية وكانت منكمشة في داخل المعابد ، اصبحت بقوة الروح القومية التي يتخلق بها الصهيونيون ، لغة التعليم في مدارسهم والصحافة والتآليف ، ونقلت اليها تآليف قديمة وحديثة تتحدث عن فكرة الوطن القومي وتعززه . ونبغ فيها شعراء وادباء مثل الشاعر بيالك والكاتب سوكولوف .

أجل ان النشاط الروحي عند اليهود دفعهم الى البراعة والاتقان في الفن والادب باللغة العبرية وجعلهم يحرصون على اجتناب التخاطب بغيرها . والسر رونالد ستورس ، الذي رافق تطور الصهيونية في سنينها الاولى حيث كان حاكما للقدس ، تحدث بكتابه ، الصهيونية وفلسطين عن الطرق التي فرضوا بها اللغة العبرية على المهاجرين ، واتى على ذلك بالامثلة الكثيرة .

ويمد الصهيونيون اطماعهم الى ابعد من ذلك ، انهم يسعون ان تعم العبرانية فلسطين وأن تحل محل اللغة العربية . لاتعجب ، ولا تقل ان هذا مستحيل ، فان قوماً خلقوا هذه القوة للغتهم في سنوات معدودات ، لايبعد ، اذا ظلوا موفقين في خططهم السياسية ، ان يجلوا لغـة القرآن الكريم من المسجد الاقصى وكنيسة القيامة ومما حولها ، من مصر الى تخوم الشام . و قد حدثتني صاحبة العصمة السيدة هدى شعراوي عما شاهدته بنفسها خـلال اجتيازها فلسطين صيف ١٩٤٤ من انتشار اللغة العبرانية بين ابناء العرب ، وهي تكاد تذرف الدمع على ما يحيق بهؤلاء العرب اذا لم يرعووا ، وعلى

ما ينذر الحاضر بمستقبل اسود .

فيا قومي في كل مكان ، هل تدعون لغتكم ، التي بها تتكلمون ، والتي سجل بها تاريخكم منذ القدم ، يتقلص ظلها وينكمش اثرها من الارض المقدسة وانتم تشاهدون باعينكم مقدمات تلك النتائج ...

٤ — جند الدولة .

اهتدى الصهيونيون الى أقصر الطرق ، فلم يقصروا اعتمادهم ، كالعرب ، على الكلام محاولين سرد حقوقهم في فلسطين ، ولم يقنعوا لادراك بغيتهم وتحقيق امنيتهم بما اعدته لهم الدولة المنتدبة من قوة عملًا بصك الانتداب ، بل هبوا الى خلق قوة من ابنائهم لحماية امانيهم الواسعة ، تعمل حين تعجز حراب الانتداب عن ذلك ، وتسكت عندما تقضي السياسة بالسكوت . وتظموا هذا الجند بوسائل مشروعة وغير مشروعة ، وادخروا العتاد له .

فاما الوسائل المشروعة فاعني بها تلك الفرقة من البوليس التي كانت تتالف من ثلاثة آلاف نفس ، نظمها الصهيونيون خلال ثورة عام ١٩٣٦ تنظيماً عسكرياً واحسنوا تدريبها تدريباً فنياً . وذلك بموافقة الحكومة ، نزولا عند طلب الوكالة اليهودية والغاية منها ان تكون شرطة اضافية تدافع عن المستعمرات اليهودية والخطوط الحديدية . والله أعلم كم اصبح عدد المتدربين تحت لواء هذه الفرقة ضمن النظام والقانون .

وتعتبر ايضاً من الطرق المشروعة فرق اخرى بعضها تتألف من الفتيات تتدرب في فلسطين وخارج فلسطين على الفنون الحربية الحديثة وتمارس الجندية تحت ستار الرياضة . فالكشاف وفرقة الطليعة « حالوتس » التي تتأهب في الاوساط اليهودية خارج فلسطين انتظاراً لليوم الموعود كلها جنود منظمة . وافراد هذه الفرقة يعدون لاكتساح فلسطين شيئاً فشيئاً ، اعداداً يتلاءم مع

زمني السلم والحرب : فهم يدربون على سياسة المراحل ، مبتدئين بالكشفية والرياضة على اساليب الجندية، وينتهون بالتدرب على فنون الصناعة والزراعة . وتنتقي منهم فروع الوكالة اليهودية في العالم سنوياً عدداً معيناً لدخول فلسطين . وذلك اما بجواز رسمي لدى امكانهم الحصول عليه ، او بطريق غير مشروع في بقية الاحيان .

ولا تمضي سنوات معدودات حتى نرى اولئك اليهود الذين تشفق عليهم اميركا وغير اميركا ، وترثي لحالتهم انتصبوا جنوداً مدربين يحملون احدث الاسلحة ويختزنون اثقل المعدات الحربية ، ويبغون ان يجعلوا من فلسطين جسراً يجتازونه لاكتساح العالم العربي كيما تخفق اعلامهم على القاهرة وبغداد ودمشق . بل هم يهددون السلامة العالمية .

ولاحظت لجنة بيل الملكية منذ عام ١٩٣٦ هذا التنظيم العسكري فاوردت في تقريرها ما يلي :

« فقد اخبرنا ان في وسعهم ان يضعوا في الميدان عشرة آلاف محارب مدرب ومسلح يدعمهم صف ثان من الرديف يقدر عدده بنحو اربعين الفاً على وجه التقريب ! »

وقد تطوع اليهود خلال الحرب الاخيرة في جيوش الحلفاء لا حباً بهم ولكن خوفاً من الكارثة الكبرى عليهم اذا انتصر المحور . ويفهم من خطاب القاه السيد تشرشل يوم ٢٨ ايلول سنة ١٩٤٤ ان اليهود اعربوا وقتئذ عن رغبتهم في تأليف فرقة خاصة بهم تقاتل الى جانب الحلفاء . وهي امنية قديمة تبدت في تصريح للدكتور ايدر سنة ١٩٢٢ امام لجنة هايكرفت قال فيه : « انه من الضروري منع العرب من حمل السلاح والترخيص لليهود وحدهم بحمله »

على ان هذه الفرقة وان لم يرخص رسمياً لهم بتأليفها ، فقد الفوا فرقاً غيرها في فلسطين دربوها وسلحوها لتكون عونا لهم على تحقيق مطامعهم . ولقد عالج السيد ريتشارد وفدهام هـذا الموضوع عقب عودتـه من الشرق الاوسط صيف ١٩٤٥ ؛ وقسم هذه الفرق الى ثلاثة اقسام على الوجه التالي :

«١ — هيئة هاجانا وهي المنظمة اليهودية المسلحة ويبلغ عدد افرادهـا سبعين الفاً . ولديها اسلحة اوتوماتيكية ومدافع الهاون ، وهي ما تنتجـه معاملها السرية هنا فضلا عما لديها من القوى الميكانيكية

٢ — هيئة ارجون زفاي لوءي . وهذه الفرقة العسكرية شكلت ايضاً خلال حوادث الاضطرابات عام ١٩٣٧ على طراز جماعة هجانا . ولكنها لا تتكفل بالدفاع السلبي وانما مهمتها الدفاع الايجابي لمقاومة حرب العصابات العربية . وقد تحولت هـذه الهيئة الى جمعية سرية ويبلغ عدد رجالها خمسة آلاف رجل مسلحين تسليحاً كاملاً .

٣ — جمعية اشترن ،وهم جماعة من الارهابيين قتلوا عدداً كبيراً من رجال البوليس وحاولوا قتل السر هارولد ماكمايل المندوب السامي السابق في فلسطين فاخفقوا، ولكنهم تمكنوا من الفتك باللورد موين في القاهرة . وهذه العصابة منبثة في كل الاوساط اليهودية تعتبر ان كل عنصر غير يهودي في فلسطين عدو لها وعلى هـذا الاعتبار ترى في بريطانيا العظمى خصما لليهود وتعمل لاجلائها . »

هذا وقد علم مواسل روتر في القدس من اذاعة وكالة الانباء اليهودية انه ووفق على علم الفرقة اليهودية الجديدة فاصبح ابيض يمر فيه خطان ازرقان افقيان ووسطه ترس الملك داود باللون الازرق . ووفق على شارة الكتف ان تكون ازرق ثم ابيض ثم ازرق ووسطها ترس الملك داوود الذهبي .

٥ — عتاد الجند ومعداته ٠

ولاحظت ايضاً لجنة بيل الملكية منذ عام ١٩٣٦ ان الصهيونية اعدت ايضاً لقواها العسكرية الاسلحة والذخائر فقالت في تقريرها : « والواقع ان هناك اسبابا وجيهة تدعو الى الظن بان اليهود يملكون عدداً كبيراً من الاسلحة ٠ فالشحنة التي اكتشفت بطريق الصدفة في يافا سنة ١٩٣٥ ربما كانت الثالثة او الرابعة ٠ وكانت تلك الشحنة مؤلفة من ٣٥٩ برميلاً فيها ٢٥٤ غدارة موزر و ٩٠ مسدساً و ٥٠٠ حربة و ٤٠٠ الف خرطوشة ٠ وقبل ذلك في اذار عام ١٩٣٠ شحنت ثلاث خزانات حديدية من فينا الى حيفا وجد مخفيا ضمنها ١٤٨ بندقية موزر و ٥٧٨٧٥ خرطوشة و ٢٢٥٠ مشط خرطوش ٠ »

وظل الصهيونيون يدخلون المعدات الحربية الى قواهم العسكرية في فلسطين بطرق التهريب على اختلافها ، وازدادوا نشاطاً في هذا السبيل خلال الحرب الاخيرة ، وفي اواخر عام ١٩٤٣ طلعت علينا الصحف بالنبأ التالي : « اكتشفت السلطة وجود كمية كبرى من السلاح الناري على اختلاف انواعه في تل ابيب كان يعده الصهيونيون لوقت الحاجة ٠ وقد تبين للحكومة ان اليهود كانوا يستخدمون بعض الجنود والضباط لاستحضار هذه الاسلحة من الجيش في مصر وليبيا »

ولما زار السيد فردريك بانيتون فلسطين عام ١٩٤٤ ، وهو مكاتب مجلة الريدر دايجست في الشرق الادنى تطرق لهذا الموضوع في تقريره وقال : « ان اليهود لا يزالون يهربون الاسلحة بكثرة مدهشة وفي نطاق واسع جداً والامر لا يقتصر على البنادق بل يمتد الى المدافع الرشاشة ومدافع الهاون » واضاف الى ذلك : « وقد قيل لي انهم يتقنون الان صنع القنابل اليدوية »

والواقع ان الصهيونيين لم يكتفوا بالتهريب ، ولم يقتصروا على سرقة

اسلحة الجيش في مصر وليبيا بالتآمر عليه مع بعض الجنود . هذا الجيش الذي كان يتوقف بقاءهم في قيد الحياة على انتصاره بل عمدوا الى معامل سرية المواد الحربية انشؤوها في فلسطين نفسها ، واصبحت بحال تستطيع معها صنع الرشاشات ومدافع الهاون . زد على ذلك انهم اقاموا القلاع الجهنمية فوق بيت المقدس ،وربما في غير مكان ايضاً : فقد زرت الجامعة العبرية فاعجبت بالمكتبة القائمة فيها اي اعجاب ، وخصوصاً القسم العربي منها ، وبما يعالج بعض اساتيذه من الابحاث العربية ، وقال رفيقي : «أن تعجب فاعجب بما في هذه الجامعة من العتاد الحربي الثقيل الذي اعد لتهديد العرب في القدس اذا دعت الحاجة ، بل لتهديد كل قوة تحاول فيها ان تقف دون مطامعهم .»

٦ – التوجيه في التربية والتعليم :

لم يقبل عام ١٩٢٥ حتى كان الصهيونيون قد وضعوا نظاماً للتربية والتعليم مستوحى من مبادئهم الدينية ومتفقاً مع امانيهم القومية توجوه بافتتاح الجامعة العبرية في اورشليم ، وحققوه بانشاء الكليات الفنية والزراعية والمدارس الابتدائية في جميع الانحاء اليهودية . وقد كان من نتيجة ذلك ان لم يعد اثر بينهم للامية ، كما لم يبق بين الطلبة اليهود اكثر من واحد في المائة من يتلقى علومه خارج المدارس التي تشرف عليها الهيئات اليهودية المختصة اشرافاً مباشراً .

واصبح هؤلاء الطلبة ، الذين هم كمجموعة امم ، بفضل التنظيم والتوجيه كتلة واحدة ذات اهداف واحدة مصهورة صهرا وثيقا في بوتقة الصهيونية .

واستقلال كهذا تربوي في فلسطين يقوم على ما في روح اليهودية من عزلة واحتقار للغير وينشأ في احضان الفكرة الصهيونية مستنشقاً نفثاتها السامة هو شر مستطير ، ليس على فلسطين فحسب ، بل على الشرق العربي كافة .

٧ – مظاهر الدولة وروحها .

حقق الصهيونيون في فلسطين شيئاً اعظم من الدولة : اقاموا الدولة التي يريدونها بهيكلها ولغتها وجندها ،وعمروا لها عاصمة فخمة،ثم اتخذوا الاناشيد والموسيقى والاعلام والشارات والازياء الى غير هـذا من مظاهر الدولة .

ولكنهم قد خلقوا ما هو اعظم من ذلك خلقوا تلك الروح التي تحيـا بها الدولة والامـة . واعني بها تلك الاماني البعيدة والامـال العراض التي ادرك الصهيونيون قيمة بثهـا في النفوس ، فاصبحت تسري مع دمهم في عروقهم ، واصبح الافراد يفدونها بكل غال .

وانت اذا شاهدت واحدا منهم يكاد يطير فرحا اذا قام باعمال شاقة في سبيل الهدف الاسمى فلا تعجب : انه لا يشعر باي عناء او ضعة لان تلك الروح تسيطر عليه في حركاته واعماله فتجعله انسانا غير الانسان الذي نعرفه . ولم تفت هذه الملاحظة لجنة بيل الملكيـة ، فقد اشارت اليها وعللتها بقولها : « ان اليهودي الذي ينجو من البيئة المعاديـة لليهودية ويلجأ الى فلسطين لا يتملكه الشعور بازدياد حريته عن ذي قبل فحسب ، بل تزداد ثقتـه بنفسه ويكتسب حماسا جديدا مفعما بالآمال . اذ انه يعتقد انه يقوم بعمل انشائي عظيم . »

وبعد فماذا سيعد قومي ازاء هـذه الروح وتلك التنظيمات غير ما سبق واعدوه من تألم واحتجاجات ومظاهرات ؟

اننا بحاجة الى مثل هذا التوجيه ، بل نحن اولاء الذين تنتزع اوطانـنـا ومقدساتنا انتزاعاً من بين ايدينا،اشد حاجة الى هذا التوجيه الروحي والحماس الشديد . كل ذلك في ذمة المستقبل ، وعلى عاتق الجامعة العربية والشعوب العربية افرادا وحكومات .

اختلال التوازن في القوى بفلسطين

كثيراً ما تساءلت خلال ثورات فلسطين ، وانا على علم باستعداد الصهيونية الحربية ، لماذا يظلون في تلك الثورات شبه محايدين ؟ ثم اطلعت على مباحث المؤتمر اليهودي العالمي في القدس الذي أقامته الجبهة الوطنية شهر ايلول ١٩٣٧ فعلمت ان سبب جنوح اكثرية زعماء فلسطين الى ترك القتال محصوراً بين العرب والانكليز يعود الى الاحتفاظ باستعداداتهم واستكمالها الى الوقت الذي تدعو فيه الضرورة . وقد اقترح السيد ماركس من مانشستر أحد زعماء المؤتمر «اعتماد مليون جنيه اضافي تنفق على مصلحة الدفاع في فلسطين»

ان اعمال الارهاب اليهودية التي تقوم الان في فلسطين مناوئة بريطانيا العظمى تحملها على وقف مفعول الكتاب الابيض وفتح ابواب فلسطين للهجرة ، تعزى الى عصابة شتيرن ، والى جمعيتي هاجانا وارجان زفاي لومي ، ولكن هذا ظاهر الامر ، اما حقيقته فانها من فعل هيئة عليا ، تبرهن في الوقت نفسه على خبرة قديمة وتنظيم عسكري طويل محكم [1]

وقد بدا لي في هذه المناسبات خطأ تقديري السابق : فقد كنت اظن مثل غيري ، ان الصهيونيين سيواجهون خطراً شديداً اذا انصرفت دولة الانتداب ، في يوم من الايام ، عن حمايتهم في فلسطين . وها أنا ارى الان ان اليهود قد فكروا من قبل طويلاً في المستقبل واعدوا العدة ليتولوا ، حين الحاجة ، الدفاع عن انفسهم . وقد اشار الى ذلك الاستاذ باينتون وهو بعد ان نوه بان العرب أصبحو يخشون اليهود لسببين : الاول ان اليهود اعلى لساناً ،

---

(١) ولقد استفاد الصهيونيون كثيرا في هذه الناحية من جراء تطوعهم ابان الحرب وخصوصاً في الجيش الثامن البريطاني

وورا.هم صحافـة عالمية وثروة طائلة ، وثانياً ان اليهود يكتنزون انواع الاسلحة ، قال : «وقد قيل لي انه اذا وقعت الواقعة فان اليهود على قلة عددهم يستطيعون ان ينازلوا العرب . ومن هنـا كان اعتماد العرب على البريطانيين لحفظ السلام »

يا للعار ! العرب الذين كان في وسعهم اخراج اليهود من فلسطين لولا ان تداركتهم حراب الانتداب ، أهؤلاء يلوذون بهذه الحراب نفسها لحماية ارواحهم ؟ وسواء اكان هذا الانقلاب صحيحاً ام غير صحيح ، فلعلنا نكتسب منه ، في كلا الحالين ، درساً بليغـاً فننظر الى المستقبل بعينين مفتوحتين ونفوس واعية .

ولعلنا بعد ان عرفنا حقيقة الحال القائمة في فلسطين نتحول الى معالجة الداء ومداركة البقية الباقية من الاخطار المداهمة على ضوء الامر الواقع ، خلافاً لما فعلنا في الماضي وذلك اما بالاعتداد على النفس الفارغ ، او بالاتكال على الغير . دعوا يا قومي التاريخ والحق المجرد ، وجردوا ما استطعتم من قوة . وما يفل الحديد الا الحديد .

. . .

لقـد حقق الصهيونيون مطمحهم الاول وهو الوطن القومي الصهيوني ، فخسرنا المعركـة الاولى . وها هم يبادروننا القتال العنيف لكسب المعركة الثانية ، وقيام الدولة اليهوديـة بفلسطين .

وفي هذا السبيل استطاعوا تحطيم جبهة الكتاب الابيض بفتح ابواب الهجرة ومجيء لجنة التحقيق الاميركية الانكليزية .

واذا ظل العرب يركنون الى الحجة فحسب فلا منجاة لهم من خسران الحرب في مواقع ستتعدى حدود فلسطين .

الفصل الرابع

جيش الاحتلال الصهيوني يباشر القاء شباكه على الشرق العربي

شهوة التوسع الصهيوني اثر التضخم الصناعي – الحرب الاقتصادية ضد العرب –
الجامعة العربية تخيب آمال الصهيونيين التي عقدوها على الوحدة العربية

●

هل يكتسح الصهيونيون الشرق العربي ؟

كان السيد ولهيلم ريبل (1) صريحا كل الصراحة بما صرح في جريدة ورنلينغ بوست في ١٧ – ١١ – ٣٦ حين تطرق الى تحديد تخوم المملكة اليهودية اذ قال « اننا لا نعين الآن حدود مملكة اسرائيل ، ولكن هذه الحدود هي ما نستطيع ادراكه » .

ويعتبر هذا التصريح معبراً عن وجهة نظر جماعة كبيرة لان هذا المحامي

(١) W. Rippel

البولوني ، هو قائد حركـة « السير الى فلسطين » التي اتخذت رمزاً لها « فلسطين لليهود » .

على ان اليهود لم يستطيعوا السكوت على ما يجول في نفوسهم من مطامع ، فكثيرا ما اعلنوا عن مدى ما تذهب اليه امانيهم في الشرق العربي ، وهذا السيد نورمان بنتويش يحدثنـا في كتابه « فلسطين اليهودية » (٢) فيقول : لا حاجة لان تكون فلسطين المستقبل محدودة بحدودهـا التاريخية ، ففي امكان المدنية اليهودية الامتداد الى جميع البلاد التي وعدوا بها في التوراة من البحر الابيض المتوسط حتى الفرات ، ومن لبنان حتى النيل ، هـذه هي البلاد التي منحت للشعب المختار » .

وقد جاء خطاب ابن غورين رئيس الوكالة اليهوديـة في القدس بصورة أجلى اذ قـال : يوم ١٩ ايار ١٩٤٤ « ان خارطة فلسطين انما هي خارطة الانتداب . وان للشعب اليهودي خارطة تاريخية اخرى على شباب اليهود ان يحققوها ، وهي خارطة التوراة التي جاء فيها ، « وهبتك ياسرائيل ما بين دجلة والنيل . »

واما جابوتنسكي (زئيس الحزب المعروف) فلم يقنع بالاماني البعيدة بل تعداها الى المطالبة حالا ، والى التعيين ، جلياً فكتب في جردة التايمس ايلول ١٩٢٩ ، «مطالباً بفتح ابواب شرق الاردن امام الاستعمار الصهيوني » . وليست شرقي الاردن ، التي هي قطعة من سورية ، الا خطوة اولى ينتقلون منها الى بلاد الشام وما حولها .

حديث خرافة ! فأنى يتأتى للصهيونيين ، ولو تمكنوا في فلسطين ، ان يكتسحوا الشرق العربي ، وفيه ما فيه من دول وعدد ؟

Palestine of the Jewy (٢)

ذلك ما يبدو لكثير من الناس فيناموں مطمئنين واثقين .. ولكن قليلاً من التأمل في المستحيلات التي اصبحت حقائق في فلسطين ، والخيالات التي انقلبت وقائع ، يجعلنا نستيقظ من نومنا بذعر وقلق ..

سأل اللورد بيل المفتي الاكبر سنة ١٩٣٦ خلال حديثه عن الخطر الصهيوني ، فيما اذا كان لليهود من التأثير على الحكومة الانكليزية الذي يقنعونها معه بهدم المسجد الاقصى واقامة هيكل سليمان ، فاجب سماحته : « ان الذين استطاعوا ان يقنعوا الحكومة البريطانية بهدم كيان الشعب العربي في هذه البلاد لا يبعد اذا صاروا اكثرية فيها ان يستطيعوا ذلك » .

أجل ان الصهيونيين ، وقد خيبت الزراعة آمالهم في فلسطين يعتمدون في الوقت الحاضر على الصناعة لخلق قوة آلية فيها تؤهلها لاستيعاب ما أمكن استيعابه من اليهود لتكون لهم فيها الكثرة ، وبالتالي ليكون لهم القول الفصل في سن الشرائع التي تحطم كل حاجز يحول استعمارها . وبعد ان نجحوا في هذه المرحلة وساعدتهم الحرب الحاضرة على التوسع الشديد في اقامة شتى المصانع وقعوا في ازمة اخرى يطلبون حلاً لها . والازمة هذه شبيهة بأزمة الامة الالمانية التي دفعت بها الى الحربين العالميتين . واعني بها التضخم الصناعي : لذلك فان الصهيونيين سيواجهون بعد هذه الحرب احد امرين : اما الموت الاقتصادي بتهدم مصانعهم ازاء منافسة البضائع الغربية ، واما استعمار العالم العربي ، وهو اقرب وأفضل سوق لسلعهم ومصنوعاتهم ، وفيه منجاة لهم من الموت المحتم . فتحولوا نحو العالم العربي يتآمرون عليه ويدرسون طرق استثماره ، وينفذون من هذه الطرق ما امكن شيئاً فشيئاً ، دون ان يحول ذلك بينهم وبين نشاطهم لاستكمال امانيهم في فلسطين .

واليهود الذين يسيطرون على الناحية المالية في العالم يعرفون كيف

يدركون امانيهم مهما كانت صعبة المنال . والتاريخ يحدثنا عن اغتنامهم الفرص لاخضاع الجماعات السياسية والدول الكبيرة كما يخضعون الافراد ، وهؤلاء انفسهم كانوا يأملون ان يلقوا الدول العربية واحدة واحدة ، فيسخرون كلًا منها لمصالحهم . ولا نزال نذكر من مناوراتهم يوم ساءهم اقدام رومانيا في اوائل هذا القرن على سن تشريع يحرم اليهود حق المساواة ويضيق عليهم ، فانتظروا حتي احتاجت رومانيا سنة ١٩٠٤ الى المال ؛ وفاوضت انكلترا وفرنسا والمانيا كيما تستدين منها ، فوقفوا حالا دون اتمام اي قرض لها لدى هذه الدول التي يسيطرون على ماليتها . فكان لابد لرومانيا من ان تذعن مضطرة لمطالبهم . وان تحسن احوال اخوانهم حتى يفسحوا لها المجال لاستقراض عشرة ملايين من الجنيهات . وماذا يمنعهم اذا قامت دولتهم في فلسطين عن استعمال مثل هذه المناورات ازاء الدول العربية في سبيل ترويضها وفقاً لمطامعهم ؟ .

شهوة التوسع الصهيوني اثر التضخم المالي .

من معتقدات الصهيونيين لانشاء الوطن القومي في فلسطين ان اليهودي ينبغي له ان يرتد الى الارض . ولكن ذلك المهاجر الذي وفد من المدن القى في حياة الزراعة مشقة لم يتعودها فتقاطر اكثرهم الى المدن يبغون فيها العيش والاستقرار . وهكذا فلم يبق منهم إلاّ نحو ٢٣ بالمئة يعملون في الارض ، اما الباقون اي ٧٧ بالمئة فيعيشون في المدن . وفي الاحصاءات الرسمية لسنة ١٩٤١ اقتصرت نسبة المحصول من القمح ١٢ بالمئة من مجموع ما يستهلكونه بينما ينتج العرب ٧٢ بالمئة مما يستهلكون .

ولما كانت الصهيونية تعمل على ادخال اربعة ملايين اخرى من المهاجرين

الى فلسطين لكي يربو مجموعهم عن خمسة ملايين ونصف المليون فقد وجدوا ان الوسيلة الوحيدة للحصول على قوة الاستيعاب في فلسطين ، وهي اساس في الترخيص المهاجرين ، لا تكون الا بتحويل البلاد الى بلد صناعي كبلجيكا مثلاً ، حيث يجدر ازدهار الصناعة فيها كثافة السكان .

ولكن وقفت في وجههم عقبات ومصاعب لان فلسطين محرومة من المواد الاولية ولان منتجات العالم الغربي واليابان كانت تزاحم باكورة الصناعات الفلسطينية . غير ان المصاعب لم تكن تحولهم عن القصد او تدفعهم عن الغاية ، بل أملوا على الحكومة مشروعات لا سيما في ناحية التشريع الجمركي من شأنها أن تحمي صناعاتهم الفنية ومثلها في ناحية الاتفاقات مع البلاد المجاورة تفضي الى رواج منتوجاتهم ، فأصبحوا يستثمرون سورية ولبنان وسواهما من البلدان المجاورة . وقد استعانوا على ذلك بالأموال الوافرة التي وردت اليهم وبالقروض التي عقدوها مع مؤسساتهم المالية .

وكان لهم في الحرب العالمية الثانية خير ميدان لازدهار مشاريعهم الصناعية في فلسطين ، فازداد ازدهار الصناعة فيها وتضاعفت ثرواتهم ووجد انتاجهم اسواقاً في البلاد العربية وخصوصاً في المملكة المصرية .

وكان عدد المصانع في فلسطين عام ١٩٢٢ يبلغ ٢٢٠ مصنعاً يعمل فيها الف عامل ، ويقدر انتاجها بمليون ليرة فلسطينية فبلغ عددها سنة ١٩٣٢ ، ٨٧٥ مصنعاً تضم ١٣ الف عامل وتنتج ستة ملايين جنيه ، ثم مازالت تتزايد خلال الحرب حتى بلغ عدد هذه المصانع ١٨٠٠ عام ١٩٤٢ يعمل فيها اربعون الف عامل تنتج ما يزيد على ٣٦ مليون ليرة فلسطينية .

ثم توالت الزيادة في عدد المعامل والعمال في فلسطين سنين الحرب حتى بلغ عدد المصانع اليهودية وحدها سنة ١٩٤٥ ما يناهز ٢٥٠٠ مصنع ، فيها نحو من

١١٠ الاف عامل ، تنتج ما قيمته اربعون مليون جنيه في كل سنة . واما العرب اصحاب البلاد فليس لهم فيها الا قرابة الفي مصنع تقدر قيمة انتاجها بثمانية ملايين جنيه فحسب .

وكان الاقبال على انشاء الشركات شديداً الى حد انه تألفت في فلسطين في شهر آب سنة ١٩٤١ احدى وثلاثون شركة مساهمة جديدة بلغ مجموع رأسمالها ١٣٤٤،١٨١ جنيهاً ، كما زادت شركات قائمة اخرى رؤوس اموالها حتى بلغت ٣٨٨،٩٩٦ جنيهاً . ثم ظل عدد المعامل والشركات يتزايد طيلة سني الحرب .

ولم تغادر المصانع اليهودية صنفا من اصناف السلع التي يحتاجها الانسان الا وانتجته ، ولم تهمل الصنائع الثقيلة من الصلب والحديد . وامتازت بشكل خاص المنتجات الطبية حتي اصبح بوسعها ان تزاحم بريطانيا العظمى وغيرها في ديارها . و ذلك فضلاً عن العقاقير والزيوت والبوطاس ذات المعامل الكبيرة .

وقد بلغت قيمة صادرات فلسطين عام ١٩٤٤ (١٤،٦٣٨،٤٦٤) جنيه دخل اكثرها البلاد العربية ، وكان اوفر نصيب للمملكة المصرية ، بل هي قد استوردت من فلسطين اكثر مما استوردته بريطانيا العظمى : اذ استهلك فيها من مصنوعات اليهود اوفر من قيمة اربعة ملايين جنيه . وقد انهمرت الاموال على الصهيونيين بفلسطين انهماراً شديداً لرواج منتجات هذه المعامل ، حتى بلغت قيمة الودائع في بنوك فلسطين حتى نهاية نيسان سنة ١٩٤٤ رقما ضخما قدر بـ ٦٠،٧٧٢،٤٣٧ جنيها اي بزيادة ٢٢،٦٤٥،٠٠٠ جنيها عما كانت عليه في نيسان ١٩٤٣ . وكان من نتيجة ذلك ان انخفضت موازين الديون حتى لم يبق للبنوك على الافراد الا مبلغ لا يتجاوز ٤،٨٠٠،٠٠٠ جنيه . ثم تضاعفت هذه الودائع في السنين التالية ، ومعظمها لليهود !

وبعد فاذا استتبت الاحوال وعاد التبادل التجاري بين العالم الى قوته

وزاحمت مصنوعات اميركا واليابان وغيرهما الصنائع الصهيونية فانكفأت في فلسطين لا تجد لها طالباً ، فما عسى ان تكون خاتمتها ؟

انها تتوسل ان تحيا بوسيلة واحدة ، وهي ان تفتح لهـا اسواق الشرق العربي . وهي اذا كانت تمد اصابعها لمعاونة الوحدة العربية وتعمل على مظاهرتها ، فلانها تأمل ان تسهل لهـا السبيل الى استثمار البلاد العربية جملة واحدة . ولكن خاب فالها فان الاتحاد العربي والوعي القومي كفيلان برد سهامهم الى اكبادهم : وهذه الجامعة العربية، اذ قررت اخيراً مقاطعة السلع الصهيونية باسم العرب ، قضت بالتالي على الصهيونيين بفلسطين .

ولكن هؤلاء لن يستسلموا لليأس بل سيقاومون بشدة في سبيل الحياة بالوسائل الايجابية والسلبية . فنحن اذن امام موقعة حاسمة بيننا وبينهم . فاذا اخلصنا للمقاطعة ونفذناها على حقها بحزم وعزم خرجنا من هذه الموقعة منتصرين ، والا فقل السلام على فلسطين ، وقل السلام على العرب اجمعين .

اصابع الصهيونيين في بلاد العرب

ان محاولة الصهيونيين في جعل فلسطين قطراً صناعياً كبلجيكا ، يكون مستودعاً للشرق وسوقاً مالية له ، رافقها تفكير دقيق بشأن ترويج المنتوجات التي تنتجها معاملهم . ومذ تحولوا الى الصناعة انصرفوا الى بذل الجهود لايجاد اسواق لها ، ولتدبير وسائل حمايتهـا في الداخل والخارج على السواء حسبما نوضحه في المقالين التاليين

•

١ – غرائب الحماية الداخلية

تستعين الوكالة اليهودية بحكومة فلسطين لقيام وتدعيم الوطن اليهودي ،

وتلبي الحكومة طلباتها وفقاً لصك الانتداب . ولما استقر الرأي الصهيوني على جعل فلسطين قطراً صناعياً قوامه مؤسساتهم ومنظماتهم أنشأوا تشريعاً داخليا واتفاقات جمركية خارجية تتوخى خدمة صناعاتهم فحسب ، وهي تقوم على قاعدة اقتصادية شاذة هدفها حماية منتوجات اليهود واباحة محاصيل العرب . وعرب فلسطين ، كما نعلم ، يعتمدون على الزراعة في موارد الحياة .

ولا يسعنا التبسط في التدليل على هذا الامر ، ولكننا نقتصر على مثل واحد يصدق على كثير من الاحوال : فقد طلبت الصهيونية رفع الضريبة عن السمسم الخارجي الداخل الى فلسطين قصد خدمة معمل «شيمن» في حيفا الذي يجهز الزيوت ، وطلبت في الوقت نفسه زيادة الرسوم الجمركية على الزيوت الاجنبية من اجل حماية مصنوعات هذه الشركة . وفي كلا الطلبين شر على العرب وضرر على انتاجهم ، فالسمسم من زرعهم ، فاذا فتح الباب ؛ امام السمسم الاجنبي سقطت قيمه ، والزيت من المواد التي لا غنى لهم عنها ، واذا اغلق الباب بوجه الزيت الاجنبي تصاعدت اسعاره . وبالرغم من ذلك الضرر الذي يصيب العرب من هذا التشريع ، وهم كثرة السكان ، فقد كان للوكالة اليهودية ما ارادت . وعلى هذا فقس . . .

ولم تكتف الوكالة اليهودية باستخدام السياسة الجمركية لحماية الصنائع وتشجيع استيراد ما تحتاج اليه من المواد الاولية ، بل كثيراً ما عملت على امداد هذه المعامل بالمساعدات المالية من قبل الحكومة في الداخل ، ومن قبل المؤسسات اليهودية المختلفة في الخارج .

وتبعاً لهذه السياسة الجمركية فان كلا من معمل «شيمن» للزيوت ومطاحن روتشيلد ، ومعمل اسمنت «نيشر» وكلها في حيفا ، مدينة في نجاحها للتعريفات الجمركية العالية التي فرضتها الحكومة على البضائع الاجنبية في سبيل حمايتها من

المزاحمة ، ومثلها اقبية الخمور والكحول « ريشون لزيون » و « زكرون يعقوب » وانوال النسج والمعامل الكيمائية وغيرها ، هذا فضلاً عن انها قد استفادت كل الفائدة من ناحية اخرى من جراء اعفاء المواد الاولية من الضرائب والرسوم حين دخولها لفلسطين .

وقد اعترفت لجنة سمبسون سنة ١٩٣٠ بان ارباح هذه المعامل انما هي بمثابة ضرائب على فلسطين حيث قالت في تقريرها : « وفي الحقيقة ان الصناعات الكبيرة في فلسطين تعتمد على التعديل والتبديل في تحديد التعرفة ، وسائر الاهالي يتحملون الضرائب كي يتمكن أصحاب هذه المعامل من دفع اجور عمالهم وجني بعض الربح ! » .

وجرت حكومة فلسطين على هذه القاعدة نفسها قاعدة خدمة المصالح الصهيونية في اتفاقاتها الجمركية مع حكومات الامصار الاخرى : من ذلك انها جرت على سياسة الباب المفتوح في الاتفاقات المتتابعة التي عقدت بينها وبين المفوضية الافرنسية في سورية ولبنان ، اي تبادل المزروعات والمصنوعات بين الفريقين المتعاقدين دون اداء رسوم جمركية .

اذا القينا نظرة سريعة على جدول التبادل التجاري بينهما نجد ان قيمة ما كانت تصدره فلسطين الى سوريا تبلغ ١ من ٥ تقريباً مما كانت تصدره سورية الى فلسطين . فقد كان الوارد مثلاً ، من سورية ولبنان سنة ١٩٢٩ لفلسطين ٧٦ . ٤٧٣ ، جنيهاً ، بينما كان الصادر من فلسطين الى سورية يقتصر على ١١١،٦٠٨ جنيها . ثم كرت الاعوام وظلت هذه النسبة على حالها تقريباً ، اذ كان الوارد من سورية ولبنان سنة ١٩٣٥ ٥٢٠،٠٠٠ جنيه ، بينما كان الصادر من فلسطين لسورية يقتصر على ١٠٧،٠٠٠ جنيه . وبالرغم من كل ذلك فان حكومة فلسطين واظبت على اتباع سياسة الباب المفتوح

المضرة بفلسطين . فـما هي الحكمة اذن ؟ ذلك لان هذه السياسة لم تكن تراعي مصلحة البلد على وجه عام ، وانما كانت تهدف خدمة مصالح الصهيونيين فحسب ، . وبكلمة أوضح ان صادرات سوريا الى فلسطين ، هي على الغالب مـن المحصولات الزراعية والمواد الاولية ، ومعظم المحصولات الزراعية في فلسطين وموادها الاولية هي للعرب وبيد العرب ، فلا خطر على اليهود اذن من انخفاض اسعارها ، بل هم يستفيدون . واما صادرات فلسطين الى سورية ولبنان فهي صناعية على الاكثر ، والصنائـع بيد اليهود ، وهم الذين يجنون ثمرات اصدارها الى سورية ولبنان دون قيد ولا ضريبة .

هذا ما يبرر رضى الحكومة الفلسطينية عـن سياسة الباب المفتوح ، ضاربة صفحاً عما بين الصادر والوارد من تفاوت واختلاف .

هذا الى ان الحرب الاخيرة لما نشبت اقتضت ظروفها الخاصة احداث دوائر عدة المراقبة ، كالتي انشئت للصناعات الخفيفة ، وللصناعات الثقيلة ، ولمراقبة الانتاج الزراعي ، ولمراقبة الطرق ، ولمراقبة الاسعار ، ولمراقبة المؤن وخصت هذه الدوائر بميزانيات كبيرة ، وفضلاً عن ان موظفي هذه الدوائر ، هم على وجه عام من اليهود فانها ما فتئت طيلة الحرب تختلق شتى الوسائل المصطنعة لخدمة اليهود وتأييد مصالحهم وتأمين مطالبهم التي لا حد لها . ومن جراء ذلك كان ينال اليهود اكـبر قسط من المواد المراقبة بينما يضن بالقليل منها على العرب ولا يزالون .

٢ – طرق المضاربة الخارجية :

لا تجد المطامع الصهيونية نفسها غريبة في البلاد العربية : ذلك لان اليهود قد أقاموا فيها معاقل مالية هي خير نقط ارتكاز للاكتساح الصهيوني . ولسنا نتكلم عن البـلاد المغربية حيث ارتدى اليهود لباس المستعمرين فادركوا

الميزة المرموقة في الهيئة الاجتماعية ويسرت لهم وسائل الاستعمار التفوق على اهل البلاد، بل نقتصر على البلاد القريبة من فلسطين ، فنذكر دار السلام ، واليهود في بغداد ٢٥ بالمئة من سكانها . وهم رغم ذلك يستولون على مرافق البلد مهما قل عددهم . انهم في بغداد عماد التجارة فاذا فتحوا مكاتبهم ومخازنهم فتحت بغداد أسواقها واذا اغلقوا أغلقت ! ..

ونذكر ايضاً وادي النيل ، أما ما كان لبني اسرائيل فيه من الاحداث عهد الفراعنة فتلك أخبار لا نتعرض لها ولا لما خلفت من شرور في مصر ، ولانتبسط ايضاً في بيان اسباب الازمة المالية الحادة التي وقعت في عهد الخديوي اسماعيل ، وقد كفانا السيد غبريال شارل احد معاصري الخديوى واحد محرري جريدة الدنيا مؤنة التبسط في هذا الموضوع ، حيث ابان ان المسؤولين عن نكبة مصر المالية وقتئذ وعن اغراقها في ديون لم يدخل الخزينة منها الا جزء يسير ، وعن سلب أسهم شركة قنال السويس من قبضة يدها ، هم اليهود ، سواء الذين كانوا في داخل مصر أم في خارجها .

فلنتجاوز التاريخ ولننتقل الى مصر في عهدها الحاضر ، فاننا نجد فيها ٦٥ الفاً من اليهود ، تجمعهم على اختلاف جنسياتهم رابطة الصهيونية ، وشأنهم شأن الحاخام وايز ، حاخام نيويورك حينما قال « انا اميركي منذ ستين عاماً ولكنني يهودي منذ ثلاثة الاف عام » . فهذه الاقلية اليهودية على ضآلة عددها بالنسبة لسكان وادي النيل ، تقبض على زمام ماليته ، وتؤثر ، بالتالي على سياسة صحافته ، وقد اوردنا مثلاً على ذلك في غير هذا الموضع من الكتاب عندما علل لي احد صحافيي مصر سبب احجام الصحف عن اشهار الحرب على الصهيونية في فلسطين سنة ١٩٣٧ ، وارجع ذلك الى سيطرة اليهود المالية على اصحاب الصحف .

والامثلة كثيرة على بعض نفوذ هذه الاقلية في مصر : فهذه حادثة ترويها مجلة المكشوف البيروتية (٤ تموز ١٩٣٨) تدل على مدى هذا النفوذ ، فقد ذكرت «انه على اثر اعتداءات وقعت في مصر وقتئذ على بعض افراد اليهود الفوا وفداً ذهب لمقابلة جلالة الملك فاروق الاول ورفع الى جلالته رأي اليهود في هــذه الاعتداءات ، وابرزوا جوازات سفر تفيد ان اصحابهــا من الرعايا البريطانيين وانهم مضطرون ، اذا استمرت الاعتداءات على ابناء ملتهم ، ان ينسحبوا من مصر وان يسافروا الى فلسطين ، ومعنى ذلـك في لغتهم المبطنة انهم يسحبون اموالهم من القطر المصري فتصاب البلاد بازمــة مالية خانقة . ورأى جــلالة الملك بثاقب نظره وبعين مستشاريه ان انسحاب اليهود من مملكته ليس في مصلحة اقتصادياتها فأوعز الى الشيخ المراغي ، شيخ الجامع الازهر ، بضرورة تدبر المسألة وتهدئة النفوس .. فلم ير فضيلته رحمه الله وسيلة لحماية اليهود من الاعتداءات المحلية سوى ذلك التصريح المشهور الذي تنكر فيه لجيرانه ، نافضاً يده منهم قاصدا الى القول ان ما هو قائم في فلسطين من صراع ونزاع بين اليهود والعرب لا يعني غير العرب الفلسطينيين ويجب ان لا يتجاوزهم الى غيرهم من جيرانهم ... فأطمأن اليهود الى هذا التصريح يصدر عن شيخ الازهر الاكبر» .

ولا ريب ان حادثة كهذه تصور اوضح تصوير ما كان عليه نفوذ اليهود في وادي النيل ، ذلك لان مثل هذا البلاغ يصدره شيخ الازهر الاكبر لم يكن عن دافع قليل الخطر . وفي مثل هذا النفوذ يجد الصهيونيون معاقل لهم في العالم العربي هي خير نقطة ارتكازية لتأمين مطامعهم الخبيثة في ارجائه . وهم لا يخفون هذه المطامع : فقد اعربت الوكالة اليهودية عن هذه المقاصد في التقرير الذي قدمته الى لجنة السير جون هوب سمبسون عام ١٩٣٠ . كما ان

تقرير هذه اللجنة لم يخل من الامثلة على ذلك : انه ينوه بمقاصد الصهيونيين حول مضاربة المصنوعات المصرية القطنية والجلدية وصناعة التبغ ، ومضاربة البلاد العربية الاخرى في الملبوسات الجاهزة ومواد البناء . ويضرب التقرير مثلاً على ذلك معمل اسمنت نيشر في حيفا ، وان منتوجاته تباع في البلاد العربية المجاورة بسعر ادنى من السعر الذي تباع فيه بفلسطين .

وكذلك جروا على هذه الطريقة من ترويج مصنوعات اخرى كثيرة ، منها المغلفات والصابون والاحذية والكبريت والنسيج وغيرها ، كما نددت بذلك الصحف العربية ، يبغون من ورائها اضعاف امثالها من المصنوعات العربية ليخلو السوق للصهيونيين وحدهم . والوكالة اليهودية اتخذت الاسلوب نفسه الذي اختارته اليابان في محاولة اغراق العالم بالسلع اليابانية : ذلك بانها تعوض على اصحاب المعامل الخسارة التي تقع عليها من جراء بيع مصنوعاتها في الخارج بقيم لا يمكن للاخرين ان يجاروها بها .

الخطر الاشد يحيق بسوريا ولبنان

كان مرفأ بيروت منذ جيل حتى الحرب العالمية الماضية درة في تاج الامبراطورية العثمانية ، على حد تعبير الامبراطور غليوم حين زار سوريا ، وكان المرفأ على درجة من التقدم والازدهار مطردة ، ويموّن بلاداً شاسعة تمتد من قلب الاناضول الى قلب جزيرة العرب ، ومن سواحل البحر الابيض حتى تخوم ايران . وكانت فلسطين تعتمد على هذا المرفأ في شتى شؤون تجارتها صغيرة كانت ام كبيرة .

ولم تكد تنتهي الحرب العالمية الاولى وتمضي فترة قصيرة من الزمن حتى اخذت بيروت تتراجع شيئاً فشيئاً في حياتها الاقتصادية بالرغم من تقدمها

العمراني . ويبدو هذا التراجع الاقتصادي واضحاً اذا قورنت بيروت مع حيفا في هذه الفترة . فالصهيونيون ، وعلى رأسهم الوكالة اليهودية ، استطاعوا ان يجعلوا من حيفا الصغيرة مرفأ عظيما يفوق بيروت في الناحية الصناعية وينافسها في الناحية التجارية منافسة شديدة ، مرفأ يريدون منه ان يتعدى ايضاً الاسكندرية حتى يصبح قاعدة التبادل التجاري في الشرق الادنى [1] . وقد استعانوا على ذلك وعلى تحويل شطر كبير من تجارة ابنان اليهم بالوسائل التالية :

اولا : التشريع الجمركي والاتفاقات الجمركية

نحن اذا راعينا سنة تنازع البقاء فانه لا يسعنا الا التنويه بجهود الصهيونيين في هذا الميدان، ولكنا اذا شكونا فانما نشكو لان هذا التقدم في حيفا ، وذلك التفوق في فلسطين انما يجريان على حساب بيروت وبلاد الشام . وليس مرد ذلك الى ان اليهودي يمتاز عن ابن سوريا ولبنان في الخصائص التجارية والمواهب الصناعية ، بل هو نتيجة تغلب السياسة الاقتصادية الصهيونية على السياسة الاقتصادية الفرنسية في هذه الديار . فقد توخى الصهيونيون، ومن ورائهم حكومة فلسطين ، في الاتفاقات التي عقدتها هذه الحكومة تباعاً مع ممثلي دولة الانتداب تطبيق برامج تسمح لتجارة فلسطين ان تتفوق وان تنافس تجارة بلاد الشام في عقر دارها . وقد اشرنا الى ان غايتهم من الاتفاق مع المفوضية الفرنسية التي تقوم على اساس « الباب المفتوح » ترمي الى فتح اسواق سوريا ولبنان أمام السلع الصهيونية ومصنوعاتها ، وهم لا يبغون من هذا الاتفاق الاقتصار على هذه الفوائد الجدية ، بل عمدوا الى استثماره من نواح أخر ، فقد كانوا ييسرون استيراد المواد الاولية الى فلسطين ، والمواد

---

(١) اشار الدكتور هرصل في قصته الخيالية (البلاد القديمة الحديثة) التي الفها في اوائل القرن الحالي الى ان حيفا ستكون اكبر ميناء في فلسطين وشرقي البحر المتوسط

التي تعدّ للصناعة ، دون اداء ضرائب احياناً ، وباداء ضرائب خفيفة احيانا ، ويقصدون من ذلك كله تحويل المجرى التجاري عن بيروت الى حيفا او بعبارة أدق من العرب الى اليهود . وقاموا في هذا السبيل بمناورات شيطانية ادركوا بها هذه الاماني . وهاكم بعض الامثلة على ذلك :

أ — في حيفا معمل للزيوت « شيمن » وفي غيرها من بلاد فلسطين معاصر أخرى أصغر منه . كانت هذه المعامل والمعاصر تستورد موادها الاولية ، مثل فستق العبيد (الفول السوداني) وتعصرها زيتاً ثم تصدر هذا الزيت الى الخارج ، وخاصة الى بلاد الشام .

فاذا حاولت بلادنا وقاية نفسها من هـذه المزاحمة باقامة معاصر مثلها لما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، ذلك لان التشريع الجمركي عندنا فرض على هذه المواد الاولية التي تصلح للزيوت ضرائب باهظـة تزيد نحو عشرين بالمئة عن مثلهـا في فلسطين . وهكذا أصبحت سوريا سوقاً خصبة لفلسطين في هذه الزيوت .

ب — كان يؤدى عن السكر الذي يستعمل للصناعة في فلسطين ، رسم جمركي ضئيل جداً لدى دخوله اليهـا ، بالنسبة لما يؤدى عن امثاله في سوريا ولبنان . لذلك اتيح للصهيونيين ان يستغلوا اسواق بلاد الشام بتحويل السكر الى « قطر » واصداره اليهـا بكثرة ، فيقبل على ابتياعه صناع الحلويات والسكاكر والمربيـات وغيرهم . وهكذا نافس الصهيونيون تجار « مال القبان » عندنا ، وحرموهم مورداً من اغزر مواردهم .

ج — وكان الارز المصري غير المقشور يدخل ايضاً فلسطين ولا يؤدى عنه مستوردوه الا ضريبة قليـلة . وبعد قشره في معامل فلسطين وتجهيزه يصدّر الى سوريا ولبنـان فيباع فيهما بسعر ادنى من الارز المقشور الذي

يستورده تجارهما من مصر مباشرة او غيرها . ذلك لان الضرائب الجمرك
على الارز وامثاله في سورية ولبنان كانت تزيد كثيراً عن مثلها في فلسطين ،
خصوصاً عما كان منها للسلع التي تدخل في عداد الصناعة .

. . .

وهذه الاصناف الثلاثة : الزيت والسكر والارز ، هي من امهات
الاصناف التجارية ، فنكتفي بالاشارة اليها ، مع العلم بان المنافسة تعدتها
الى كثير من البضائع التي خسر فيها تجار سوريا ولبنان الخسائر الفادحة .

ثانيا : التعويض على المعامل الصهيونية

لم يقف الصهيونيون عند هذا الحد في منافسة البلاد العربية . بل تجاوزوا
حدود التشريع الجمركي الى منافسة الصناعة والتجارة في سورية ولبنان منافسة
مباشرة : فقد اشرنا فيما مضى الى انهم يصدرون الينا من منتوجاتهم الصناعية
كالاسمنت والصابون وبعض المنسوجات والمواد الكيماوية باسعار زهيدة .
ويبيعون في اسواقنا بضائعهم بقيم دون كلفتها . وقد تعرض الى هذه الناحية
تقرير سمبسون ١٩٣٠ بصدد اسمنت معامل « نيشر » وقال : غير ان القسم
الاعظم من الصادر كان يوجه الى سورية حيث بيع الطن بمعدل ٤٥ شلناً ، أي
أقل من السعر الذي يباع به في فلسطين بتسعة شلنات » .

ويأتي « القومسيونجي » الصهيوني او وكيله الى سورية ولبنان متأبطاً
محفظة كبرى تضم نماذج البضائع التي يود عرضها ، فينزل في احد الفنادق
اليهودية ، ثم يذرع الاسواق جيئة وذهاباً ، لا يغادر بائعاً مهما كان ضعيفاً في
مكانته التجارية ، فيعرض هذه النماذج ويعقد صفقات تجارية . وبذلك ينتزع
من يد التاجر المحلي رزقه . وكثيراً ما تكون اثمان بضاعة الصهيوني ارخص
من سواها اعتماداً على سرقة في الخيوط ، ان كانت السلعة نسيجاً ، او غشاً

خفياً في الجنس، او انهم يعوضون عن ذلك بمعاونات مالية من الوكالة اليهودية يؤدونها في سبيل تعبيد الطرق لسيطرة التجارة الصهيونية في الاوساط العربية ٠ على انهم في المدة الاخيرة تجاوزوا الاسواق التجارية فجاء بعضهم الى البيوت يطرق ابوابها لعرض سلعهم على السيدات ٠ هـذا وما كان يدور في خلدي اني، إذ دعيت الى حفلة اقامها البيت الموسيقي في بيروت باوتيل سان جورج يوم ١٥ مايس ١٩٤٥، سأسمع التذمر حتى من موسيقيي لبنان من مزاحمة الصهيونيين : فالخطب التي القاهـا رؤساء فروع هذا البيت كانت حافلة بشكايات مرة من زملائهم الصهيونيين الذين كادوا يقطعون عليهم موارد الرزق في لبنان مما اضطرهم الى مراجعة القضاء ٠

ثالثاً : استيلائهم على وسائل النقل ٠

واتبع الصهيونيون طريقة اخرى يحاربون بها سورية ولبنان، وهي تحويل العراق عنهما الى فلسطين رغم ان المسافة بين بغداد والقدس اطول كثيراً من المسافة بين بغداد ودمشق ٠ وقد وفقوا الى ما ارادوا، وليس بواسطة التشريع الجمركي فحسب، بل بما قدمته حكومة فلسطين لشركات النقل من التسهيلات حتى جعلتها تتحول الى فلسطين، وعند نشنابيل[1] الخبر اليقين في هذا الموضوع ٠ واما حكومة الانتـداب في سورية ولبنان فما كان يهمها الا ازدياد تدفق الاموال التي تجبيها من الجمارك يوماً عن يوم لخزينة المفوضية ٠

وزاد في رغبة شركات النقل ، التي تعمل بين العراق وساحل البحر المتوسط، ان تنتقل الى ناحية فلسطين ان حكومـة الانتداب الانكليزي عبدت الطريق بين بغداد والقدس ، اما الطريق بين بغداد ودمشق فلم يعبد منها الا القسم الممتد في اراضي العراق ٠ ولم تقف المزاحمة عند هـذا الحد ، بل ان

---

(١) هو محل تجاري للنقليات له فرع في بيروت

حكومة فلسطين ، او بكلمة اخرى الوكالة اليهودية ، عملت على اتخاذ وسائل شتى لمزاحمة ادوات النقل ما بين حيفا من ناحية وبين بيروت ودمشق من ناحية اخرى ، حتى اضطرت نقابة السواقين اللبنانيين قبل سنين الى رفع احتجاج حاد الى المفوض الفرنسي تحتج فيه على مزاحمة شركات النقل الصهيونية للسواقين اللبنانيين في بلادهم . وفي العام الماضي ١٩٤٥ صدرت الشكوى ايضاً من قبل فلسطين : ذلك ان حكومتها اعلنت عن عزمها على تسيير سيارات نقل كبرى ما بين حيفا وبيروت ، فقامت محاولات قوية من قبل الشركات اليهودية لنيل امتياز هذا الخط ، وكادت تنجح لولا النشاط الذي اظهرته الغرفة التجارية الوطنية بيافا ، ولولا حضور وفد منها في الصيف الفائت عمل على ان لا توافق حكومة لبنان على هذا الامتياز . وتقول الغرفة في كتاب وصل لي منها مؤرخاً في ٢٩ — ٩ — ٤٥ « وفي هذه الطامة الكبرى يضعون حداً لمجال عرب فلسطين الحيوي وهو الاتصال باخوانهم في الاقطار المجاورة . »

الصهيونيون يرافقون الجيش لاستثمار الشام

الحرب الحاضرة اتاحت للجهود الصهيونية فرصة التوسع في سورية ولبنان : فقد رافق الجيش الانكليزي منذ سنة ١٩٤١ جيش آخر من المستثمرين الصهيونيين افراداً وجماعات . وهم بما كان لهم قبل من الصلات الوثيقة الطيبة بالجيش التاسع استطاعوا أن يحجزوا لانفسهم الاعمال الكبرى والمشروعات الضخمة التي تتعلق به ، وان يستثمروا ، بالتالي ، المصالح التي تربط حكومتي سورية ولبنان بالسياسة الحربية العليا .

وقد اتفقت احدى هذه الشركات مع محل تجاري كبير في بيروت جعلته ستاراً لها ، وحصرت به الالتزامات الكبرى من مثل شق الطرق وتعبيدها ومد

الخطوط الحديدية واقامة الثكنات ، وغير ذلك . ثم شرعت تمنح التزامات هذه الاعمال الى ابناء البلاد أقساماً اقساما بارباح طائلة . وتشتري منهم بصفقات متعددة ما ارتبطت به ازاء الجيش من مواد البناء ، ومد الخطوط وغيرهما من الحاجيات العديدة . وربما كان لشركات غيرهـا ضلع في مشروعات تموين البلاد العام . هـذا عدا تشبثات أخرى لا تزال طي الكتمان ، فقد حامت الظنون حول مشروع منح امتياز لصاحب احدى الشركات النقل الاجنبية ، وهو مشروع « القموعة » ويقصد به اقامة مؤسسات في مكان من عكار يحمل هذا الاسم للمصايف والمشاتي على احدث طراز ، والى جانبها مطار . هذا فضلا من مشاريع اخرى نشطوا الى تحقيقها في لبنان .

تتمركز الشركات الصهيونية في صميم لبنان .

ان الصهيونيين كما ترى ، قد افسدوا على التاجر والصانع موارد رزقهما وهم قابعون في فلسطين ، فماذا تكون نتائج اعمالهم على سورية ولبنان جميعا اذا كثرت لديهم قواعد الاعمال ورقاب الجسور ؟

ويبدو ان الوقت وان لم يحن بعد للاخطبوط ان يمد اظافره السياسية الى بلاد الشام فقد باشر محاولاته كيما يقيم فيها قواعد اقتصادية تكون بمثابة نقط ارتكاز لمطامعه . وقد عقدت جريدة الهدف الغراء مقالا بتاريخ ١١ تموز سنة ١٩٤٥ تحت عنوان (تيار الشركات الصهيونية يجرف اقتصاديات البلاد) عددت فيه اسماء بعض هذه الشركات على الوجه التالي .

١ – شركة الفواكه السورية . مديرها السيد سريانو مهمتها السيطرة على اسواق الخضار و الثمار واحتكار تصديرها الى مصانع فلسطين ، ولا يقدر التاجر اللبناني ان يقف بوجهها لانه لا يملك مثلها الوسائل التي تساعده على مزاحمتها .

٢ – شركة انكلو اميركان نيرايست يديرهـا بالفعل السيد بادوفا الصهيوني . وقد اصبحت من اقوى المؤسسات التجاريـة للاستيراد بفضل ما لمديرها من الدالة على الافرنسيين و بعض اللبنانيين .

٣ – الشركة التجارية للشرق الاوسط . مديرهـا الفلسطيني كورت كرنيغالد

من زعماء الصهيونيين .

٤ – فنادق بحمدون . هي شركة معروفة باسم سوليل بونيه الشركة الصهيونية المعروفة برزت في هذا العام .

٥ – الشركة اللبنانية الاسوجية مديرها الدكتور وايزمن تسيطر على سوق الثقاب

٦ – الشركة اللبنانية للزجاج . مديرها السيد ليفي واكثرية اسهمها لشركة صهيونية .

٧ – شركة سوليل بونه . هي شركة التعمير في فلسطين . تدخلت كثيراً تحت ستار اسماء مستعارة باعمال ومقاولات في لبنان ولها وكلاء يبيعون انتاجها من الزجاج .

٨ – شركة ربينو فيتش . حصلت هذه الشركة على امتياز شراء رمال لبنان الصالحة لصناعة الزجاج (مصانع سوليل بونه فينيسيا)

وانتهت الجريدة الى القول : ان مراقبة الشركات اصبحت منذ زمن ليس ببعيد من خصائص الحكومة الوطنية فما هو الدور الذي قامت به الحكومة من نوع المراقبة على هذه الشركات ؟ وما هي الاجراءات التي اتخذتها للحد من اطماع هذه المؤسسات .؟

ولكن فات هذه الجريدة النشيطة ذكر اسماء اخرى لشركات صهيونية تسللت الى لبنان ، كما فاتها ذكر الشركات الوطنية كشركة اسمنت شكا التي اشترى الصهيونيون اسهما ، والوكالة الانكليزية الاميركية للشرق الادنى التي يرأسها السيد ليفي ويديرها معه صهيونيون . ؟

الاستملاك في بلاد الشام

و الخطر الاكبر الذي يحيق ببلاد الشام هي تلك الجهود الجبارة التي ما زال الصهيونيون يبذلونها في سبيل تملك الاراضي ، وخصوصاً في جوار فلسطين من ناحية لبنان وسورية .

وقد عقدوا في عام ١٩٣٦ وقبله صفقات من هذا القبيل باسماء مستعارة ، ثم ما زالوا رغم المراسيم الصادرة وتشديد بعض الحكومات يستعملون الحيل الشرعية على انواعها لابتياع الاراضي .

وكانو بالامس يقنعون بالتوسع داخل تخوم فلسطين اما الان فقد توسع مدى طماعيتهم فبلغ الجزيرة ما وراء حلب ، في سورية ، وربما تعدى القموعة في لبنان مجتازاً بعض اطراف بيروت ، حيث يتحدثون عن اقامة بيروت جديدة ، ومارا في اعالي الجبال حيث يرسمون خرائط لمصايف جميلة

ان الدكتور وايزمن زعيم الصهيونيين الاكبر لم يتورع في الخطاب الذي القاه اخيراً

في المؤتمر الصهيوني العالمي عن التنويه بوسعة بلاد العرب لمن اراد من الفلسطينيين. واذا دام الحال على هذا المنوال في بلاد الشام أفلسنا نصل الى يوم يوجه الينا فيه مثل هذا التعريض ومعناه : الى الجلاء عن سورية ولبنان.

آمال الصهيونيين في الوحدة العربية :

يغمرني الفخر كلما شعرت ان موضوع الوحدة العربية موضوع محبب الي، قريب من نفسي، ويذهب عهدي به الى زمن بعيد، فقد فكرت فيه وكتبت عنه منذ نشأتي. ومما كتبته في هذا الموضوع سلسلة مقالات نشرت في جريدة النهار البيروتية قبل بضع سنين، يوم كان الرأي العام يعتقد ان الصهيونيين اعداء بالفطرة لاتحاد البلاد العربية.

رنَّ جرس التليفون في مكتبي، وحملت الاسلاك الى اذني صوت محدث غريب اللهجة، يقول انه يكلمني من اوتيل سان جورج ويرغب في مقابلتي، فاتفقنا على ان نجتمع في داري على الشاي بعد ظهر اليوم: وفي الموعد المعين، استقبلت شابا جميل المحيا يحمل باقة من الزهر، ومضت فترة من الوقت جرى فيها ما يجري عادة من التعارف وانواع المجاملة. ولبثت شغوفاً بمعرفة سر الزيارة الى ان تناول الكلام في هذا الموضوع وقال: «يسرني ان اخبركم بان مقالاتكم في موضوع الوحدة العربية ترجمت تباعـا في بعض الصحف عندنا في فلسطين وانا نوالي قراءتها بامعان وسرور. ويسرني اكثر إذ اعلن لكم ان الصهيونية تود ان تتعاون مع العرب لتحقيق هذه الوحدة!.»

وقع هذا النبأ موقعاً حسناً في نفسي، وان اكتنفني شيء من الدهشة والاستغراب، مع شيء من الشك والتردد. وكأن الزائر احس بما يخالج نفسي من رغبة الى الاطمئنان، ومن الحاجة الى ادلة للتأكيد، فتابع حديثه قائلاً: «نعم ان هذه الامنية، امنية الوحدة العربية، هي من امانينا، ذلك لان فلسطين جد صغيرة

في حجمها ، ولهذا السبب فكل خطوة تخطوها فيها تظهر واسعة المدى بعيدة الغور واضحة الخطر في رأي العرب والمسلمين ، اما اذا اصبحت فلسطين جزءاً من كل، وقسماً من دولة كبيرة فالخطر يصبح ضئيلا وتافهاً في اعين العرب، لان الارض التي يقوم عليها الوطن القومي الصهيوني ان هي الا مساحة صغيرة الحجم بالنسبة لمجموع مساحة البلاد العربية المتحدة » واضاف الزائر الى هذه النظرة السياسية تعليلا اقتصاديا مختصراً ، كأنه لم يكن يريد ان يتبسط فيه ، فقال « ولنا في ذلك مآرب أخرى ، فاليهودي لا يمكن ان يستفيد من اليهودي ، اما اذا تحققت الوحدة العربيـة ، وفلسطين في جملتها ، فيصبح لليهودي مجالا واسعاً للفائـدة . »

أتى على هذا الحديث حين من الدهر، ثم سلكت فكرة الوحدة العربية ، خلال الحرب الحاضرة ،مسلكاً عمليا ، فسعت الى تحقيقها الدول العربيـة بعد تصريح وزير خارجية بريطانية العظمى ، ولم تكد المشاورات والمفاوضات تدور في سبيلها حتى اقبل الصهيونيون يعضدونها ويشجعونها .. وما اسرع ما ذكرت حديث الزائر الكريم في الامس البعيد ، ذلك الحديث الذي انفرط على غير اتفاق ، لان الصهيونيين يريدون ثمنا عزيزا لمعاونـة العرب على تحقيق امنية الوحدة ، هذا الثمن هو ان تفتح ابواب فلسطين لهم ، ونحن العرب انما نريد الوحدة ونحرص على تحقيقها لنغلق هذه الابواب في وجههم ، ولتكون فلسطين قلبها العربي النابض النقي .

اثار موضوع الوحـدة – كما قلت – نشاط الصهيونيـين ، ودفعتهم المشاورات التي تدور حولها في القاهـرة الى الاجتماع والتفكير في موقفهم ومصيرهم ، فحملت الينا الانباء البرقية في ٢٠ تشرين الاول من عام ١٩٤٣ الخبر التالي عن نيورك : «ترحب الاوساط اليهودية هنا بالمساعي المبذولة في

مصر لتحقيق الاتحاد العربي . وقد صرحت شخصيات يهودية لها وزنها بان بان تكتل الدول العربية في الشرق من شأنه ان يبدد المخاوف التي تساور بعضهم من جراء تدفق اليهود الى فلسطين ، لان قيام مملكة اسرائيل في هذا البلد الاسيوي ان يقوم حجر عثرة في طريق الامبراطورية العربية التي يحلمون ببعثها . وتقول المحافل اليهودية انها مستعدة لدعم الاتحاد العربي المنشود بالاموال والمشاريع اليهودية اذا رضي زعماء العرب بفتح ابواب فلسطين للصهيونيين ، ولم يضعوا العراقيل في طريق الساعين الى جعل البلد الاسيوي وطنا قوميا لليهود » وصرحت جريدة الاجيشيان غازيت وقتئذ «بان فلسطين قطب الرحى ولا سبيل لوحدة عربية صحيحة الا بها . »

وهكذا فقد وجدت المحافل اليهودية في نيورك فرصة سانحة للتلويح بالمال للعرب خلال مشاورات الوحدة . وقد سبق لها ان حاولت اغراء بريطانيا به خلال محنتها في اوائل الحرب الحاضرة ، كما اسلفنا . وفات هذه المحافل انها حاولت من قبل شراء صمت الحاج امين الحسيني بمبالغ جسيمة ازاء تشبثهم باقامة مقاعد لهم عند حائط المبكى فهزيء بهم وباموالهم ، وكل عربي الآن يقف موقف سماحة رئيس اللجنة العربية العليا ولا يتقبل اية رشوة في سبيل السكوت عن اعمال الصهيونيين واماانيهم في البلد المقدس .

ومآرب الصهيونيين في تأييد الوحدة العربية ترجع الى ان هذه المؤسسات الصناعية التي اقاموها بفلسطين خلال الحرب الاخيرة مهددة حتما بالخراب ، مذ يتم الاستقرار ، من جراء مزاحمة المنتوجات الخارجية ، وليس لها من واق الا ان ترتع في اسواق البلاد العربية على رحبها ، خصوصاً اذا وحد التعاون العربي بينها ، ورفعت الحواجز الجمركية ، وكانت فلسطين جزءاً من هذا الاتحاد .

ولكن ساء فألهم فهذه الجامعة العربية قد اصبحت في حيز الوجود ، وها

هي ترد سهامهم الى صدورهم بالقرار الذي اتخـذته اخيراً ونص على مقاطعة البضائع الصهيونية في البلاد العربية ، وعلى تنظيم هذه المقاطعة .

مطامع الصهيونيين بالاستحواذ على تجارة الشرق العربي الخارجية

ولم يقف اليهود عند حد الوسائل التي اعدوها للقبض على ازمة التجارة والصناعة الداخليتين في الشرق العربي، بل ذهبت بهم المطامع ايضاً خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) للسعي كيما تكون تجارته من بعد مع البلاد الاجنبية من صادر ووارد محصورة في قبضة يدهم . وهم قد استطاعوا، فعلاً بمساعدة الصهيونية في العالم ومنظماتها وبتوسط الوكالة اليهودية في فلسطين وفروعها في العواصم، ان يتخذوا من تجار فلسطين اليهود ووسطاء التجارة منهم مركزاً استراتيجيا لتجارة الشرق الاوسط الخارجية . ذلك انهم ربطوا بهؤلاء خلال الحرب عدداً كبيراً من مصانع امريكا واوروبا ووكلائها المصدرين ، كما اتفقوا مع بعض البيوتات التجارية المستوردة ، وحصروا بيهود فلسطين حق التعامل مباشرة مع بلاد هذا الشرق

وقد حدثني تاجر اتيحت له زيارة امريكا عام ١٩٤٥ ، وكان يبتغي الحصول على وكالات تجارية تشمل سوريا ولبنان ، انه قلما اتصل ببيت من البيوتات التجارية المصدرة في الولايات المتحدة الا وكان الجواب يفيد بان ذلك البيت سبق له ان منح وكالته في الشرق الاوسط الى زيد او عمرو . بل الاصح الى بنيامين اوروبين في تل ابيب او حيفا، مع النصح بالرجوع الى الوكيل هناك للحصول منه على الوكالة الفرعية .

وهكذا فالجيش الصهيوني الزاحف يحاول تطويق الشرق العربي من كل ناحية ، بغية استثماره واستعماره متخذاً من فلسطين مركزاً استراتيجيا لقواده وعماله . وهل من مذكر ؟

الفصل الخامس

الثفاف العرب خلال الحرب وبعدها حول فلسطين

موقف عرب فلسطين ابان الحرب – الجامعة العربية تحتضن قضية فلسطين
لبنان وحدة في كفاح الصهيونية

•

موقف عرب فلسطين خلال الحرب وبعدها

كان قد مضى على الثورة ثلاث سنين حينما عقد مؤتمر المائدة المستديرة بلندن . ولما اخفق المؤتمر عادت الثورة الى الاضطرام ، ولكن السلطة البريطانية ، وقد اصبحت على ابواب حرب عالمية ، لجأت الى العنف . وكان مرور الزمن قد اضعف عناصر الثورة ، ولا سيما بعد وفاة القائد عبد الرحيم الحاج محمد في اذار سنة ١٩٣٩ فأتيح لهذه السلطة ان تذيع في ١٦ نيسان سنة ١٩٣٩ بان السيد عارف عبد الرزاق الذي خلفه في القيادة لجأ وستة عشر من رفاقه الى

سورية [1] . فكان ذلك بمثابة بلاغ بانتهاء الثورة .

وقد نشبت فعلاً الحرب العالمية بعد قليل ، فلزم عرب فلسطين خطة الهدوء والسكينة طيلة سنوات الحرب ، بينما الصهيونيون ما كادوا يطمئنون بعض الاطمئنان بزوال خطر المحور حتى استعملوا سياسة العنف ضد بريطانيا العظمى . بدؤا ذلك منذ غرة عام ١٩٤٢ بالحملات العنيفة على السر هارولد مكمايكل المندوب السامي السابق ، ثم تحولوا الى الفتك والعدوان فحاولوا قتل المشار اليه ، فاخفقوا ، لكنهم قتلوا فعلاً بعد حين اللورد موين في القاهرة : وما زالوا في طغيانهم يعمهون .

وكان هذا الطغيان حافزاً للعرب الى التكتل واستئناف الجهاد ، فافتقدوا الحاج محمد امين الحسيني رئيس اللجنة العربيـة العليا وبعض صحبه المبعدين والمغتربين ، خصوصاً عندما رأوا في سياسة بريطانيا العظمى ازاء القضيـة العربية على وجه عام ، والمشكلة الفلسطينيـة على وجه خاص ، ما يشجع على على العمل ويثير النشاط .

ولكن الاتحاد العربي ظل مع ذلك مفقوداً مدة طويلة عند اخواننا في فلسطين على كثرة ما نشدوا ، وعلى كثرة المناسبات التي كانت تدعو الى وجوده . تجلى ذلك باختلاف رأيهم في موضوع الوفد الذي يجب ان يمثلهم في مشاورات الوحدة العربية في القاهرة ، وانتهى الامر بصرف النظر عن الوفد والاتفاق على رجل واحد منهم حيادياً . الا وهو الاستاذ موسى العلمي ، مثلهم بكفاءة ونشاط في مشاورات اللجنة التحضيرية شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٤ ، وفيما تلاها من اجتماعات ، وما زال ينتقل من عاصمة الى عاصمة من

---

(١) وقد لجأ القائد عارف عبد الرزاق الى تركيا خلال الحرب فأوربا وتوفي في بلغاريا مأسوفاً على بطولته .

بلاد العرب وغيرها تحقيقاً لما قررته الجامعة العربية في سبيل فلسطين .

ومع ذلك فلم يخف هذا التفرق ما يثور في افئدتهم العامرة بالوطنية من الرغبة في التنظيم والشوق الى العمل المجدي ، فكانت تبدو بوادر تشير الى ذلك وتدل عليه مذ اصبحت شروط الحرب تؤذن بأستئناف العمل . وسرعان ما اجتمعت بيافا في ١٩ تشرين الاول سنة ١٩٤٣ اللجنة التنفيذية لمؤتمر الغرف التجارية العربية ، وقررت في مقدمة البرنامج الذي وضعته للمؤتمر المنتظر اعادة البحث في تشكيل هيئة سياسية عربية في فلسطين والمطالبة بتأليف حكومة وطنية .

على انه وان لم يتم تأليف هذه الهيئة فان الفلسطينيين، افراداً واحزاباً، أعربوا عن نشاط كثير في سبيل انقاذ بلدهم المهدد : وقد عقد في حيفا مؤتمر



سماحة الحاج امين الحسيني والى جانبه مؤلف هذا الكتاب . وقد اخذ هذا الرسم مراسل اليونتد بريس في لبنان

عام في ٢٧ — ١ — ١٩٤٤ لانشاء شركة صندوق الامة العربية ، لانقاذ الاراضي . وتبرع الحاضرون لصندوقها فوراً بثمانية الاف ومائة جنيه ، ولا تزال هذه الشركة، وعلى رأسها سعادة احمد حلمي باشا، جادة في المهمة التي اخذتها على عاتقها .

اضف الى هذا ان الاحزاب العربية نشطت للعمل في سبيل انقاذ فلسطين : فقد عقدت اللجنة التنفيذية للحزب العربي الفلسطيني في القدس اجتماعاً غرة ادار ١٩٤٤ قررت فيه استئناف الجهاد واعادة فروع الحزب ولجانه ، وانتخب السيد توفيق صالح الحسيني ليتولى الرياسة اثناء غياب رئيس الحزب وزعيمه جمال بك الحسيني في منفاه . ثم ما فتيء هذا الحزب يبدي من النشاط اكثره في كل مناسبة حتى احرز الاعجاب والتقدير[١]

واجتمعت هيئات سائر الاحزاب العربية ايضاً : حزب الاصلاح وعلى رأسه الدكتور حسين الخالدي ، وحزب الاستقلال وعلى رأسه الاستاذ عوني عبد الهادي ، وحزب الدفاع وعلى رأسه راغب بك النشاشيبي ، وكلهم في القدس فنظمت صفوفها وتبارت في الدفاع عن الوطن ، كما فعل كل من حزب الكتلة الوطنية بنابلس الذي يراسه الاستاذ عبد اللطيف صلاح ، واللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب في يافا التي يرأسها الحاج يعقوب الغصين . وتسابقت في ميدان العمل سائر الاحزاب والمنظمات . ومنها منظمات العمال العرب وقد وقف وفدهم في مؤتمر العمال الدولي بلندن شهر اذار ١٩٤٥ موقفاً شريفاً كان له احسن وقع . هذا فضلاً عن نشاط محسوس ما فتيء يبدو من جانب المؤسسات الاقتصادية في كل مناسبة . وحسبنا الاشارة الى الغرفة التجارية في القدس وغيرها وموقفها من البعثة الاقتصادية الاميركية التي زارت

(١) وقد عاد جمال بك واستقبل اعظم استقبال وتولى رياسة الحزب فعزز نشاطه وقواه

فلسطين شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٤ . فقد اتخذت هذه الغرف قراراً برفض استقبال اعضاء هذه البعثة احتجاجاً على تصريحات للرئيس روزفلت نشرت قبيل وصولها . ودعت الغرفة الجماعات العربية الى مقاطعة هذه البعثة ، فكان موقفها ذا تأثير مجد وذلك لمكانة الشؤون الاقتصادية في الاوساط الامير كية .

وقد لمسنا اخيراً في يافا نشاطاً محسوساً في اوساط الشباب ، وقد كبر عليهم اختلاف الاحزاب العربية ، فتنادوا لعقد مؤسسة أسموها «الجبهة العربية» واعلنوا في نشرتها انها هيئة سياسية لا حزبية شعارها : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص . » وقد عقدت هذه الجبهة مؤتمراً في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٤٥ قررت فيه ، في جملة ما قررت ، تأليف لجنة عربية عليا لتمثيل فلسطين والدفاع عنها .

اختلاف الاحزاب العربية واتفاقها

جمعت ثورة سنة ١٩٣٦ كلمة رجالات فلسطين واحزابها فاتفقت على تأليف لجنة عليا تتكلم باسمهم وتدافع عن امانيهم المتحدة ، عهد برياستها الى المفتي الاكبر الحاج أمين الحسيني . ولما نشبت ثورة سنة ١٩٣٧ و ١٩٣٨ عمدت حكومة فلسطين لحل هذه اللجنة وابعاد بعض اعضائها ، واضطر سماحة رئيسها ان يغادر القدس الى لبنان . فافتقدت فلسطين محور الزعامة فيها . وشاء بعض الافذاذ من رجالاتها ملء هذا الفراغ ، خصوصاً ابان النشاط الذي حدث في قضية فلسطين في السنين الاخيرة للحرب ، فتبدت من جراء ذلك الحزبيات القديمة وتعددت الاحزاب ومدارها منظمتان اقتصاديتان . ذلك ان بعضاً من هذه الاحزاب كانت تؤيد مؤسسة البنك العربي التي يرأسها السيد عبد الحميد شومان وهي تؤيده ، وبعضاً آخر كانت تناصر مؤسسة صندوق الامة العربي التي يرأسها

احمد حلمي باشا وهي تعززه، حتى الكان الحزبية بفلسطين كانت تتأثر من تنافس هاتين المنظمتين الماليتين .

وما كان لهذا الاختلاف مبرر في اعين انصار فلسطين العربية ، خصوصاً في وقت يتأهب العالم فيه لتقرير المصير ، ناهيك بتلك المحاولات المتعددة التي قام بها رجالات الاقطار الشقيقة : مصر والعراق وسورية لجمع الكلمة والتي ظلت عقيمة . وفي آب سنة ١٩٤٤ دعا سمو الامير عبدالله امير شرق الاردن الاحزاب الستة الى قصر رغدان فلبى الدعوة اربعة واعتزر الحزب العربي الفلسطيني والكتلة الوطنية ، ثم لم تنفذ مقررات هذا الاجتماع . وفي الشهر التالي قام توفيق بك السويدي بجهود آخر في سبيل التوفيق فما بلغ المراد ، كما ان مقررات مؤتمر الجبهة العربية في يافا الذي عقد في ٢٦ تشرين الاول ١٩٤٥ فيما يتعلق بتأليف اللجنة العربية العليا ظلت دون جدوى .

واخيراً فقد ساقت الظروف اتحاد الاحزاب اللبنانية لالقاء دلوه بين الدلاء والقيام بتجربة في سبيل التفاهم بين الاحزاب ، ولا سيما بعد ان دب الانقسام ايضاً بين الاستاذ موسى العلمي ممثل فلسطين في الجامعة العربية وبين بعض الاحزاب . فقد صادف ان اجتمع في بيروت شهر تشرين الاول بعض رؤساء هذه الاحزاب وبعض العاملين من وجهاء فلسطين ، نذكر منهم عوني بك عبد الهادي والدكتور حسين الخالدي والسيد رشيد الحاج ابراهيم والاستاذين عيسى العيسى ووديع البستاني . وكان لي حظ الاجتماع اليهم والتحدث معهم . فاغتنمت مناسبة الاجتماع الكبير الذي نظمه اتحاد الاحزاب اللبنانية في ٢ تشرين الثاني ١٩٤٥ بمناسبة ذكرى وعد بلفور ووجهت الدعوة برقياً الى كل من الاستاذ موسى العلمي والسيد توفيق صالح الحسيني وكيل رئيس الحزب العربي الفلسطيني مشيراً في هذه الدعوة الى

الخير المنتظر في حضورهما : فأناب السيد الحسيني الاستاذ اميل الغوري سكرتير الحزب لحضور الاجتماع ، وقد شهده وخطب فيه ، ولكن الاستاذ العلمي ابرق الي يعتذر ، وشكر الاتحاد ولبنان على جهودهما في سبيل فلسطين ، فغادر ضيوف بيروت الى فلسطين دون ان ندرك الغاية .

ومع ذلك فان اتحاد الاحزاب اللبنانية الحريص كل الحرص على اتفاق احزاب فلسطين قدم رجاء حاراً في المذكرة التي رفعها الى الجامعة العربية ، لمناسبة اجتماع بيروت يوم ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ ، كما تنتدب وفداً من قبلها يذهب الى فلسطين لهذه المهمة .

وكان التوفيق مقدراً لذاك الوفد الذي رأسه جميل بك مردم بك ، وكان يرافقه الاستاذ تقي الدين بك الصلح مستشار المفوضية اللبنانية والاستاذ خير الدين بك زركلي مستشار المفوضية السعودية . وهذا بيان دولته الذي نشرته الصحف يوم ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ : «يسرني ان اعلن الى اخواني ابناء القطر العربي العزيز فلسطين ان اللجنة العربية التي ستتولى امر الاشراف على شؤون فلسطين الوطنية والسياسية قد تم تأليفها من السادة الآتية اسماؤهم مرتبة على حروف الهجاء :

١ - احمد حلمي باشا ٢ اميل الغوري ٣ - توفيق صالح الحسيني ٤ - الدكتور حسين الخالدي ٥ - راغب النشاشيبي ٦ - رفيق التميمي ٧ - عبد اللطيف صلاح ٨ - عوني عبد الهادي ٩ كامل الدجاني ١٠ - موسى العلمي ١١ - يعقوب الغصين ١٢ - يوسف صهيون . ثم دعا رئيس الوفد الى شد ازر هذه اللجنة في ختام بيانه .

وكانت باكورة اعمال هذه اللجنة القائمة بالتوجيه السياسي اصدار رد قوي الحجة قوي اللهجة على بيان حكومة جلالة الملك الصادر في ١٣ ت ١ سنة ١٩٤٥ . ولا بدع فهل من الانصاف ان تخفت اصوات اهل الحق بينما اهل الباطل ما زالوا يصخبون ويهددون ؟

وقد انتخبت اللجنة العربيـة العليا كلا من الاساتذة موسى العلمي ويعقوب الغصين واميل الغوري لتمثيلها في الجامعة العربية . وقد اشترك هؤلاء السادة بالجلستين الاخيرتين للدورة التي افتتحت اواخر تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ .

وتم الاتفاق ايضاً على انتخاب لجنة لانقاذ الاراضي قوامها احمد حلمي باشا والاستاذ موسى العلمي ورجائي بك الحسيني . وهي تشرف ايضاً على صندوق الامة العربية في فلسطين .

وظلت ادارة مكاتب الدعاية منوطة بموسى بك العلمي ، وعينت لهـا لجنة ادارية من وجهاء فلسطين وادبائها ، كما ان الاستاذ العلمي اخذ على عاتقه المشروع الانشائي لانقاذ اراضي فلسطين .

الدول العربية تحتضن قضية فلسطين

قلنا ان شبه هدنة في قضية فلسطين حدثت اثناء الحرب العالمية الثانية . بيد ان اليهود جربوا مع ذلك استغلال فرصة هذه الحرب الشعواء ، ولما لم يفلحوا في لندن تحولوا الى نيويرك وواشنطن . وما اطمأنت قلوبهم الى نتيجة الحرب منذ اواخر عام ١٩٤٢ حتى هبوا هبة رجل واحد بمناورات شتى لاستخدام الولايات المتحدة حكومة وشعباً في سبيل تحقيق مطامعهم .

وكان محمود حسن باشا وزير مصر المفوض في واشنطن حذراً يقظاً لا يفتأ ينبىء وزارة الخارجية في القاهرة عما يحيكه الصهيونيون من مؤامرات . وهذا نشاط عهدناه به حينما حظينا بالتعرف الى سعادته عام ١٩٣٩ ، ولقينا منه كل مساعدة خلال المحادثات التي جرت بين الوفد العربي الفلسطيني وبين وزارة الخارجية الاميركية في موضوع فلسطين .

وفي بيان ادلى به مصطفى النحاس باشا في مجلس الشيوخ مساء ١٠ آب سنة ١٩٤٤ استعرض رفعته المساعي التي بذلت في صدد مكافحة الصهيونية واتى على ذلك بالامثلة التالية :

١ – في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٣ قدم وزير مصر المفوض بواشنطن الى وزير الخارجية الاميركية مذكرة رجا فيها ان يتجنب الرجال المسؤولون اصدار وعود لمصلحة الصهيونيين

٢ – في شهر اذار من السنة نفسها قدم الوزير المشار اليه ايضاً مذكرة الى وزارة الخارجية بواشنطن ايد فيها طلب الاحتفاظ بالحالة القائمة في فلسطين ، وذلك بمناسبة المفاوضات التي بدأت تجري فيما بين انكلترا واميركا .

٣ – لمناسبة الاقتراح الذي قدمه بعض الشيوخ الى لجنة الشؤون الخارجية بواشنطن بشأن الغاء الكتاب الابيض كيما تصبح فلسطين مقرا لجامعة امم يهودية بادرت الى تكليف وزير مصر المفوض بتقديم مذكرة فندت فيها هذا الاقتراح ، وقد قدمت هذه المذكرة في شباط سنة ١٩٤٤

٤ – على اثر تصريح ادلى به اثنان من احبار اليهود زعما بانها نالت موافقة الرئيس روزفلت دارت مكاتبات بيني وبين وزير مصر المفوض المشار اليه حول هذا الموضوع » .

وفي الواقع ان الحماس الذي ابدته حكومة مصر للقضايا العربية اثناء مشاورات الوحدة العربية وبعدها لم يبق محصوراً في ناحية دون ناحية .

وهل ينسى لبنان عطفها عليه وعطف المصريين جميعا ابان ازمته الاستقلالية في تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ ؟

واذا اتينا على ذكر مواقف مصر فما نحن بغافلين عن الاشادة ايضا بمواقف سائر البلاد العربية واحدة واحدة ، ولاسيما في ميدان الدفاع عن فلسطين ، وفي طليعتها العراق حكومة وشعبا ، وخصوصا في المراحل الصعبة التالية :

١ – حينما قدم بعض اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب في اميركا الى الرئيس روزفلت وحكومته اقتراحا باقامة دولة يهودية في فلسطين ، وذلك

سنة ١٩٤٢ اثناء المهرجانات التي اقامها اليهود لمرور ربع قرن على وعد بلفور.

٢ — عندما قدم بعضهم مثل هذا الاقتراح في اذار سنة ١٩٤٤ الى لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ؛ وكاد المجلس يتبناه لولا هذا الموقف يقفه العرب.

٣ — قبل الانتخابات لرياسة الجمهورية سنة ١٩٤٤ حينما كان الحزبان المتنازعان يتنافسان على ارضاء اليهود تنافسا اوهم العالم بأن الولايات المتحدة امست ملكية اشد من الملك.

٤ — لما ادلى الرئيس ترومان بتصريحه الاول عن مساعيه في بوتسدام ولندن في سبيل اليهود ، ثم اثر رسالته الى الماجور اتلي بطلب ادخال مئة الف واحد منهم الى فلسطين.

فالدول العربية كلها كانت تقابل هذه المساعي والتصريحات بحزم وعزم وترسل الاحتجاجات المدوية ، ومثلها امارة شرق الاردن ، وكان اشدهم صراحة جلالة الملك عبد العزيز بن سعود.

ألم يقل جلالته للمستر تشرشل امام السيد كرافتي سميث ، وزير المملكة البريطانية المتحدة في جده : « ان اية محاولة انكليزية لتحويل فلسطين الى دولة يهودية سيعدها جلالته عملاً عدائياً يحاربه بالسيف ، وانه على اتفاق في هذا الشأن مع سائر رؤساء العرب ؟ »

ألم يقل للرئيس روزفلت في اجتماعهما الاخير بالحرف الواحد : « اقسم بشرفي انكم اذا اعطيتم فلسطين لليهود فلن استريح حتى اقتل انا واولادي دفاعا عنها ؟ »

ثم ألم يكن غير مشاطر مصر رأيها بذهاب امين سر الجامعة العربية الى لندن صيف ١٩٤٥ ، بل رأى جلالته دعوة العرب للاخذ بمواقف اكثر حزماً

لحل قضية فلسطين وفقاً لمصلحتهم ؟

بلى ، وان جلالته خاطب ايضاً الرئيس روزفلت بمثل هذه الصراحة حينما كتب له بتاريخ ١٠ اذار ١٩٤٥ . واخذ الجواب من الرئيس متضمناً الوعود التالية : « تذكر فخامتكم اني عرضت لها بمناسبات مختلفة عن موقف الحكومة الاميركية في هذا الخصوص ، ورغبتها في ان لا تتخذ اي قرار في وضع فلسطين قبل استشارة العرب واليهود . وتذكرون بلا ريب اني أكدت لفخامتكم ، خلال اجتماعاتنا الاخيرة ،باني ما دمت رئيساً للهيئة التنفيذية الاميركية لن اتعرض لاي عمل يعتبر ماساً بصداقة العرب .

ويطيب لي ان اجدد لفخامتكم هذه التأكيدات ، وان احيط علمكم بان سياسة حكومتنا في هذا الخصوص لم تتبدل . »

على انا ما زلنا نذكر ايضاً الخدمات التي قدمها لفلسطين بل للقضية العربية كلها كل من صاحب السمو الملكي الامير عبدالاله الوصي على عرش العراق، وصاحب السمو الملكي الامير فيصل بن سعود خلال وجودهما عام ١٩٤٥ في واشنطن ولندن في اشد مراحل المعضلة الفلسطينية،ولا نغفل ايضاً عن التنويه بالخدمات الجليلة التي اداها مكتبا لندن وواشنطن للدعاوة في هذا السبيل .

واخيراً فان الجامعة العربية وقد اصبحت تمثل العروبة تولت عن الدول العربية اعباء الرد على بيان الحكومة الانكليزية الذي القاه السيد بيفن في مجلس الشيوخ يوم ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ . واخذت تعالج هذه القضية وغيرها معالجة العليم الخبير بحكمة وروية واستمرار ، يؤمها جلالة الملك فاروق ويعززها . وهو حفظه الله ما ان اجتمع الى ضيفه العظيم الملك إبن سعود في مطلع هذا العام الا وصدر عن جلالتيهما بيان هام استهلاه بانهما يشار كان

جميع العرب والمسلمين ايمانهم في ان فلسطين بلد عربي . ثم بهذا اللسان خاطب عزام باشا لجنة التحقيق البريطانية الاميركية باسم الدول العربية .

الشعوب العربية تلتف حول فلسطين

على ان الحدب على فلسطين لم يبق ضمن نطاق المحافل السياسية العربية . بل ان العرب حيث كانوا اصبحوا يرون قضية فلسطين قضيتهم ، او هي جزء من برنامج كفاحهم في الحياة . وفضلاً عن اهتمام كل احزابهم وجمعياتهم ومنظماتهم ، على اختلاف غاياتها ، بكل حدث يتعلق بهذه المسألة فقد قامت في البلاد اتحادات بين كثير من الهيئات قصد مكافحة الصهيونية مع غض الطرف عما قد يكون بين هذه الهيئات من اختلاف بالاهداف في النواحي الاخرى . بل ان فلسطين اصبحت تتصدر كل اجتماع يعقده العرب حتى كأن قضيتها اضحت بيت القصيد بكل مؤتمر ونادٍ : فعدا المؤتمر الذي عقدته الجمعيات في القاهرة شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ لمعالجة قضية فلسطين خاصة ، فقد اثيرت هذه المسألة بكل المؤتمرات : ففي المؤتمر الطبي العربي الذي عقد في لبنان شهر تموز ١٩٤٤ اثيرت قضية فلسطين بحماس وتأثر واعرب المؤتمرون عن تعلقهم بها تعلقا لا ينفصم عراه . وفي مؤتمر المحامين العرب الذي عقد بدمشق شهر آب ١٩٤٤ تقرر بالاجماع ان يطلب من الدولة المنتدبة على فلسطين ان تعمد الى حل قضيتها على اساس قومي لصالح العرب ، وذلك بمنحها الاستقلال كما يصير لها استقلال تشريعي يخولها المساهمة في تنفيذ مقررات المؤتمر . وكذلك قدمت للمؤتمر طلبات لتوجيه الاحتجاج على بعض خصوم العرب من المسؤولين في بريطانيا العظمى واميركا .

بل ان الحدب على فلسطين اصبح من الامور التي لا تقتصر بين العرب

على الحضر ، ولا على الرجل دون المرأة : فقد عقد ايضا في دمشق اجتماع شامل حضره بعض رؤساء العشائر والقبائل من سوريا والعراق ومصر لتحديد موقفهم من الاتحاد العربي وتأييده فكانت فلسطين قطب الدائرة في هذا المؤتمر ؛ كما ان مؤتمر نساء العرب في القاهرة الذي عقد في كانون الاول سنة ١٩٤٤ خص فلسطين بجزء كامل من مقرراته ، ومثله مؤتمرهن في دمشق الذي عقد صيف عام ١٩٤٥ . واثارت قضية فلسطين نشاط ابنائنا في المهاجر فتكتلوا حولها وعقدوا المؤتمرات العامة واخصها مؤتمر الجمعيات العربيات في الولايات المتحدة وكندا الذي عقد في نيورك اواخر عام ١٩٤٤ . هذا فضلاً عن الجمعيات التي الفت خصيصا للدفاع عن فلسطين في كل قطر من الاقطار العربية والاسلامية . وكان موقف العالم العربي اخيراً امام لجنة التحقيق الاميركية والانكليزية من اشرف المواقف .

وهنا لا بد من التنويه بعطف الهنود على وجهة نظر العرب في قضية فلسطين سواء منهم المسلم وغير المسلم . وحسبنا الاشارة الى ان قرارات مؤتمر نساء الهند الذي عقد في لاهور (السند) آخر عام ١٩٤٥ تضمنت حقلاً خاصا من هذا القبيل .

فلسطين تهيىء الاتحاد اللبناني :

كانت الدعاوات الصهيونية تجد من قبل في لبنان مرتعاً خصباً ، فاعدت افكار بعض الساسة الى فكرة التعاون بين الصهيونية والفينيقية ، واعدت فريقاً من الشعب ، ولا سيا بتأثير نشرات كانت تراع بينه دون توقيع ، للتوهم بأن الثراء الطائل موقوفاً على العلاقات الطيبة مع الصهيونيين ، وان الفقر المدقع للبنان اذا تدخل في النزاع القائم بين العرب والصهيونيين . وقد تفاقم شر

هذه الدعاوات في لبنان ، وكان سيء الاثر على عرب فلسطين خاصة الى حد ان مكتب اللجنة العربية العليا في القدس اصدر بيانا في ٣ ايلول سنة ١٩٣٧ عنونه بما يلي : « من فلسطين المصابة الى لبنان المعافى » استعرض فيه الاخطار الاقتصادية على لبنان من الصهيونيين . كما ان المرحوم المطران حجار ارسل تصريحا بهذا المعنى ، وقد ظل لبنان ، بوجه عام ، رغم ذلك يتأثر الى وقت غير بعيد من هذه الدعاوات ، واذا بدرت فيه احيانا علامة عطف على قضية عرب فلسطين فانما كانت تصدر عن الشعب او بعض الشعب دون ان تشترك حكومته معه ، في حين ان الامصار العربيـة الاخرى كانت تتألم لحوادث فلسطين حكومة وشعبا وتتألم من موقف لبنان .

والجماعات كالافراد اذا انتصب احدهم ليقف موقفا مخالفا لاتجاه البيئة ، فلا يقوى على دفع التيار العام وقتا طويلا ، وهكذا فان لبنان ، وان تأثر فريق من اهله بدعاوات الصهيونية ، وحاولوا تقريبه منها ، فانه لم يستطع ، لما فيه من عناصر كثيرة واعية ، ان يقف موقفا شاذا عن الشرق العربي ، بل جرى مجراه ايضا في الشعور نحو فلسطين واتحد معه في النضال عنها .

وقد بدت مظاهر الحماس الشامل والاندفاع الشديد على وجه لبنان منذ ثورة فلسطين الكبرى ، عندما احتج احتجاجا قويا على مشروع التقسيم عام ١٩٣٦ ، وكان من آيات هذه المظاهر ان بلغت الاعانات لمنكوبي الثورة وخاصة عام ١٩٣٨ مبلغا يتجاوز ما جمع في بعض الاقطار الاخرى ؛ وفضلا عن ذلك اقبل اللبنانيون على الاشتراك في مؤتمر بلودان صيف ١٩٣٧ ، كما انهم مثلوا عام ١٩٣٨ في كل مـن المؤتمر البرلماني والمؤتمر النسائي للدفاع عن فلسطين الذين عقدا تباعا في القاهرة . وكان سيدات لبنان من اشد الناس حماسا لفلسطين . فلما تلقى الاتحاد النسائي العربي الدعوة من جمعية التكتل العالمي

للسلام المؤلفة في صيف سنة ١٩٣٧ ابان اضطرام الثورة في فلسطين لانشاء فرع للجمعية في لبنان كان جواب الاتحاد انه يرحب بهذه الدعوة شرط ان تدخل الجمعية في برنامج اعمالها قضية فلسطين والسعي لاحلال السلام فيها. ثم ظل الاتحاد النسائي على عهده لفلسطين يدافع عنها بكل حماس .

ومع كل ذلك فقد بقي لبنان وقتئذ ، بحكومته وفي بعض نواحيه ، متحفظا ولا يتظاهر تظاهر الاقطار العربية الاخرى ضد الصهيونية ، وذلك ما حدا بالاستاذ كاظم الصلح ان يعقد مقالا افتتاحيا في جريدة النداء بتاريخ ٢٩ تموز سنة ١٩٣٧ علق فيه على برقية كاتب انكليزي يقول : « ان الجبهة العربية ضد مشروع التقسيم توحدت نهائيا بتصريح حكومة الاردن » وجاء في تعليق الاستاذ الصلح ما يلي : « ان كلام الكاتب قد صح في جميع الحكومات والهيآت المقيمة في اوقيانوس هذا العالم العربي الا في لبنان ، مع ان لبنان — حكومة وشعباً — هو احرى بلاد هذا الاوقيانوس بان يرى رأيا ويعرب عنه ، لانه القطر الاكثر لصوقا بفلسطين الحالية ، وبفلسطين الصهيونية التي ينوي مشروع التقسيم انشاءها » .

وقد كان احتفاء بعض المناطق اللبنانية عام ١٩٣٧ بالسيد فخري النشاشيبي ذا معنى غريب يلفت الانظار ، وكيف لا يكون ذلك التكريم غريبا ، وقد لقي السيد فخري حتفه منذ انتقل من لبنان الى العراق لموقفه المريب في قضية فلسطين ؟

ولكن للاستقلال فوائد جمة ، فهو عدا انه يحرر الوطن ويرفع سلطة الاجنبي عنه ، فانه يخلق في النفوس صفات ابية تتلاءم مع مستوى هذا العهد. ذلك ما الفيناه في لبنان ، وخاصة في صعيد الانقلاب العظيم ازاء القضية الصهيونية ، فلم يعد في هذا العهد الاستقلالي كفاح الصهيونية وقفا على قوم

دون آخرين، ولم يبق محصوراً بين طبقات الشعب ، بل تعداه الى الندوة النيابية، فاذا بنا نرى الاستاذ جورج عقل ، وهو من محبي فرنسا ، يقدم في شهر آذار سنة ١٩٤٤ الى رئاسة المجلس النيابي اقتراحا يطلب فيه الاحتجاج على كل محاولة ترمي الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين لان الخطر يهدد الكيان اللبناني . واذا بنا نرى حكومة الاستاذ رياض بك الصلح تحتج بدورها لدى الحكومة الاميركية ، اسوة بسائر الحكومات العربية ، على التصريحات التي افضى بها بعض اعضاء مجلس الشيوخ بشأن فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية . كما ان الاستاذ صبري حماده رئيس المجلس النيابي اللبناني وجه بهذا المعنى الى الكونغرس الاميركي باسم المجلس فكان ذلك بمثابة اعلان ان لبنان بحكومته ومجلسه خرج من العزلة التي لزمها خلال الانتداب في قضية فلسطين . على ان الاستاذ عقل شاء ان يتبنى هذا الكفاح في الندوة النيابية ضد الصهيونية ، فأثار الموضوع بمناسبات عدة آخرها في جلسة ٦ شباط ١٩٤٦ وذلك احتجاجاً على قرار ادخاله ١٥٠٠ يهودي كل شهر . ووجد قلوبا واعية فقرر المجلس بالاجماع الموافقة على اقتراح النائب الاستاذ الفرزلي في الاحتجاج على استئناف الهجرة مؤيداً سياسة الجامعة العربية ، ولا سيما ما يتعلق منها بفلسطين .

واصبح لبنان في عهده الاستقلالي ، حكومة ومجلساً نيابياً وشعبا ، ليس متأهبا للعمل ضد الصهيونية فقط ، وفي كل مناسبة ، بل جاء عمله في هذا السبيل بمثابة قدوة يصح الاقتداء بها : فما دعت منظمة النجادة الاحزاب والمؤسسات والهيآت في لبنان لاجتماع يعقد في دارها يوم ١٥ آب ١٩٤٤ لمكافحة الصهيونية حتى اقبل الجميع على تلبيتها ، واتخذوا القرار التالي : تؤلف لجنة لمكافحة الصهيونية تمثل جميع الاحزاب والمؤسسات والهيآت اللبنانية على اساس ممثل لكل منها ، وعلى ان تضم باختيارها ممثلاً ايضاً عن

كل هيئة اخرى لها نفس الصبغة » .

وفي ٢٣ آب ١٩٤٤ اجتمع ممثلو خمسة عشر حزباً ومؤسسة في دار النجاد وتعاهدوا على الكفاح تحت اسم «اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية»

وقد شاء اتحاد الاحزاب اللبنانية ان يساهم بتكريم السيدة هدى شعراوي لمناسبة زيارتها للبنان، ولمواقفها الكثيرة في الكفاح ضد الصهيونية فأقام لها حفلة وداعية يوم ١٢ ايلول سنة ١٩٤٤ كانت بمثابة مؤتمر حافل بما ساهم فيها من الاحزاب والهيئات ، وبما وفد اليها من السيدات والسادة من الامصار العربية . بل كانت هذه الحفلة مظهراً من مظاهر حماس لبنان ازاء فلسطين في عهده الاستقلالي ، اذ تقبل فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية بسرور ان يجعل الحفلة تحت رعايته ، واذنت الحكومة (التي اشتركت بالحفلة) بقيامها في دار الكتب الوطنية التابعة لوزارة المعارف .

ثم وفق اتحاد الاحزاب باجتماعين آخرين يومي ٢ تشرين الثاني في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ لمناسبة ذكرى وعد بلفور قام بهما برعاية فخامة رئيس الجمهورية ايضا فكانا كمؤتمرين شهدتهما وفود البلاد ، وخصوصا بعض ممثلي الاحزاب الفلسطينية . وقد اتخذت في ختام هذين الاجتماعين مقررات عظيمة الاثر رفعت للدول الحليفة وللجامعة العربية . وكان من اثرهما ان انهالت البرقيات من جميع الجهات على الاتحاد وكلها تأييد وثناء .

وظل اتحاد الاحزاب اللبنانية منذ تأسيسه واقفا بالمرصاد لكل بادرة تبدر من الصهيونيين : فتارة يتصل بوزراء الدول المفوضين ويقدم لهم المذكرات، وطوراً يوجه البرقيات للوزارات الخارجية في العواصم ولوزراء الدول العربية المفوضين ،وحينا يتصل بالجامعة العربية وحينا آخر يراجع الحكومة المحلية ويلفت نظرها الى بعض النواحي .

وهكذا اتيح لي وانا على منبر احدى هذه الحفلات التي نظمها الاتحاد ان ارفع الرأس وادعو البلاد الشقيقة ان تحذو حذو لبنان في اتحاد احزابها وكتلها بسبيل النضال ضد العدو الصهيوني .



وفد فلسطين في المهرجان الذي اقامه اتحاد الاحزاب اللبنانية في بيروت يوم ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ لمناسبة ذكرى وعد بلفور . يحيط بهم بعض اعضاء الاتحاد . وهم من اليمين السادة : محمد الجارودي ، الياس زخريا ، انيس البيبي ، وديع البستاني ، عيسى العيسى ، فالمؤلف ويليه الدكتور حسين الخالدي ، اميل الغوري ، محمود البنا

وفي الواقع ان لبنان الذي كن عام ١٩٣٦ غير متفق الراي في موضوع الصهيونية قد قطع مرحلة واسعة المدى في ميدان النضال ضد الصهيونيين مذ تمتع بالعهد الاستقلالي . وحسبه ذلك التحفظ الذي اتخذه هو والعراق دون غيرهما حين التوقيع على ميثاق سان فرنسيسكو سنة ١٩٤٥ . فقد اعرب المجلس النيابي اللبناني في جلسة ١٥ ايلول عام ١١٤٥ عن حماس لقضية فلسطين

قليل المثال حين عرض عليه ميثاق سان فرنسيسكو وبلغ به الحماس انه كاد يرفض ابرام هذا الميثاق لاعتباره ان الانتداب قائما في فلسطين وشرق الاردن.

وكان للنائب الاستاذ رياض بك الصلح فضل التنبيه الى هذه النقطة الحساسة، كما كان له وللنائبين السيدين عبدالحميد كرامي وعبدالله اليافي فضل ايجاد الحل. ذلك بانهم قدموا اقتراحا طلبوا فيه تصديق المجلس على الميثاق على ان يسجل تحفظا بان هذا التصديق لا يعتبر اعترافا بالوضع القائم في فلسطين وشرق الاردن. وقد وافق المجلس على هذا التحفظ.

ومن حسن الصدف ان شهدت الولايات المتحدة هذا الحماس اللبناني باشخاص البعثة البرلمانية الاميركية التي كانت تزور الشرق الاوسط برياسة المستر كارل موندت. فقد شهد اعضاء البعثة هذه الجلسة فرأوا باعينهم مثالا من اهتمام العرب بفلسطين.

وهنا مجال للتنويه ايضا بالسيد ارشد العمري وزير خارجية العراق الذي رفض توقيع الميثاق بسبب ما درج فيه من الوصاية، وكان من تمسكه بموقفه هذا ان اختار الاستقالة من الوزارة.

واذا استعرض لبنان مفاخره في هذا السبيل، فهو يتلفت بسرور الى الشيخ بشاره خليل الخوري رئيس جمهوريته. فان فخامته لم يكتف بالصمود في بيروت العاصمة بوجه الصهيونية صمود المخلصين بل حمل علم الكفاح، حين قام برحلاته الى اطراف لبنان شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٥. وكان يخص فلسطين كلما تكلم او خطب. وما ابلغ ما فاه به في اهدن بعد ان شجب الخطر وابان وجوب بقاء فلسطين عربية حيث قال: « والان يمكنني ان اقول وفي منطقة مسيحية صرف، بل مارونية صرف، ان هذه الفكرة التي دافعت عنها انا وحكومتي هي فكرتها وتؤيدها. وان فلسطين تهم لبنان

كما تهم اهلها ، وكما تهم سائر الاقطار العربية » . على ان فخامته ما زال يكتسب كل مناسبة لتأييد فلسطين العربية ، وكان لخطابه الذي القاه في الجامع الكبير ببيروت يوم عيد المولد النبوي المبارك الاخير اطيب وقع لما تضمن من الاخلاص للعروبة عامة ولفلسطين خاصة .

وكما ننوه ايضا بموقف المجلس النيابي في لبنان خلال عهده الاستقلالي فانه يطيب لنا التنويه ايضا بمواقف الحكومات التي توالت في هذا العهد ، وباجماع الشعب اللبناني على مكافحة الصهيونية وانصارها . وهل ننسى موقف وزير داخلية لبنان السيد يوسف سالم يوم أثار ممثل بولونيا قضية فلسطين في اللجنة الاقتصادية والاجتماعية بلندن (شباط سنة ١٩٤٦) ؟ ام هل ننسى



سمو الامير عبدالله سيف الاسلام نجل جلالة الامام يحي حميد الدين ملك اليمن السعيدة

موقف رئيس الوفد اللبناني بلندن الاستاذ حميد فرنجيه في هذا الميدان ؟

تلك مواقف استحق لبنان عليها الثناء حتى انا سمعنا مساء ١٠ كانون الاول سمو الامير عبدالله سيف الاسلام ممثل المملكة اليمنية في الجامعة العربية يتعرض في الخطاب الذي القاه عند نهاية مأدبة العشاء التي اقامها له

دولة سامي بك الصلح رئيس مجلس الوزراء الى اطراء لبنان لهذه المواقف الشريفة حيال فلسطين العربية . « ومن يفعل مثقال ذرة خيرا يره»

فلسطين تستدعي اهتمام الجامعة العربية .

ما زالت بريطانيا العظمى تراقب هوى العرب في الوحدة وتفكر فيه طويلاً ، وكانت تجول في خاطرها آراء حولها تتسرب احياناً الى صحفها فتعرض بها كما حصل في عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٧ . ولمست حكومة جلالة الملك في اذار ١٩٤١ خلال الاصطدام الذي وقع بينها وبين حكومة رشيد عالي بك الكيلاني في العراق آيات بينات من تعاطف الامـة العربية ، وراقبت ذلك الاتجاه القومي الذي اثير في الاندية والصحف في تلك المناسبة . فاذا بالانباء تنقل الينا غرة تشرين الاول سنة ١٩٤١ ان الكابتن ليتلتون ، وزير الدولة البريطانية في الشرقين الادنى والاوسط ، عاد من لندن الى مصر بعد ان حادث اعضاء الوزارة البريطانية في شأن القضية العربية على ضوء الدراسات التي اجراها خلال اقامته متنقلاً بين القاهرة والقدس ودمشق . واذا بالسيد ايدن ، وزير خارجية بريطانيا العظمى وقتئذ ، يطلع علينا بعد ذلك بتصريح في مجلس العموم يوم ٢٤ شباط ١٩٤٣ يبسط فيه رأي الحكومة بانشاء حلف او اتحاد عربي فيقول : « ان الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى كل حركة بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية او الثقافية او السياسية بينهم . ولكن من الجلي ان الخطوة الاولى لتحقيق اي مشروع يجب ان يأتي من جانب العرب انفسهم . »

وجاء هذا التصريح ، والقلوب تشتعل حباً بالوحـدة العربية ، كنار اصابت هشيا فكان اساساً لمشاورات الوحدة العربيـة بين مصطفى النحاس

باشا رئيس مجلس وزراء مصر ، وبين مندوبي الحكومات العربية تباعاً صيف عام ١٩٤٣ . واهتم رفعته وسائر ممثلي الدول العربيـة التي لبت الدعوة واشتركت في المشاورات اهتماماً بالغـاً بفلسطين . وبذلت المساعي لتأليف وفد يمثل هذا البلد ويشترك في المشاورات الا انها اخفقت .

وكان النحاس باشا قد اتفق اثناء المشاورات مع ممثلي الدول العربيـة على ان يدعوهم الى اجتماع عام لتأليف لجنـة تحضيرية للمؤتمر المنوي عقده . فوجه رفعته الدعوة الى الحكومات العربية بعد ستة اشهر تقريباً من انتهاء المشاورات . واجتمع ممثلوهـا في هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي العام ، ووقعوا في ٧ تشرين الاول سنة ١٩٤٣ بروتوكول الاسكندرية .

وقد كان اهتمام هذه اللجنة بفلسطين اهتماماً بالغاً ، فقررت : اولا قبول السيد موسى العلمي مندوب الاحزاب الفلسطينية للاشتراك بابحاثها ، ثم اتخذت قراراً خاصاً بفلسطين ، حسبنا ايراده للدلالة على مبلغ هذا الاهتمام .

أ — ترى اللجنة ان فلسطين ركن مهم من اركان البلاد العربية ، وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي . كما ترى اللجنة ان التعهدات التي ارتبطت بها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الاراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي حق من حقوق العرب الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ونحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار .

وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق امانيهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة .

وتصرح اللجنة بانها ليست اقل تألما من اي احد لما اصاب اليهود في اوروبا من الويلات والالام على يد بعض الدول الاوروبية الدكتاتورية ،

ولكن يجب الا يخلط بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونية اذ ليس اشد ظلماً وعدواناً من ان تحل مسألة يهود اوربا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم .

ب – يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في « صندوق الامة العربية » لانقاذ اراضي العرب بفلسطين الى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقبل . »

وقررت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي اثر وضع البروتوكول تأليف لجنة فرعية سياسية لوضع دستور جامعة الدول العربية . وفي ١٧ اذار سنة ١٩٤٥ اجتمعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي في القاهرة ودرست مواد المشروع الذي وضعته اللجنة الفرعية السياسية . وفي ٢٢ اذار تحولت اللجنة التحضيرية الى مؤتمر عام وافق نهائياً على الميثاق . وكان من الاهتمام بفلسطين ان اتبع الميثاق بملحق خاص بفلسطين هذا نصه : «منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ، ومنها فلسطين ، ولاية تلك الدولة . واصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لاية دولة اخرى ، واعلنت معاهدة لوزان ان امرها لاصحاب الشأن فيها . واذا لم تكن مكنت من تولي امرها فان ميثاق العصبة في سنة ١٩١٩ لم يقرر النظام الذي وضعه لها الا على اساس الاعتراف باستقلالها . فوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية امر لا شك فيه ، كما انه لا شك في استقلال البلاد العربية الاخرى . واذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لاسباب قاهرة فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها في اعمال مجلس الجامعة .

ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية انه نظراً لظروف فلسطين الخاصة والى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله . »

وقد اختارت فلسطين باحزابها الاستاذ موسى العلمي ممثلاً لها في الجامعة، ووافق المجلس على قبوله ، وقد علق الاستاذ العلمي في البيان الذي نشره بتاريخ ١٨ حزيران سنة ١٩٤٥ على ما جاء في البند الثالث من بروتوكول الاسكندرية المذكور بما يلي : « ان كلمة العمل في هذه الفقرة لم ترد عفواً ، وكانت موضع بحث خاص ، وقد اريد منها اذ ذاك ان تدل على « التأييد العملي » فلما جاء دور البحث في تنفيذ هذه الفقرة وفي ماهية هذا التأييد العملي تقررت اسس ثلاثة على ان تكون الخطوة الاولى لذلك : —

اولا : اشتراك فلسطين العربية في جامعة الدول العربية .

ثانيا : انشاء مكاتب عربية للدفاع عن القضية العربية العامة وقضية فلسطين بوجه خاص باشراف الحكومات العربية واموالها ورجالها .

ثالثا : العمل لانقاذ الاراضي العربية في فلسطين .

فاما الاول فقد نفذ بوضع ملحق لميثاق الجامعة خاص بفلسطين ينص على اعتبارها مستقلة حكما واشتراكها في الجامعة وتمثيلها فيها .

واما الثاني فقد اسست المكاتب العربية بالفعل في لندن وواشنطن ، واختير رجالها ووصل بعضهم الى مراكز عملهم ووضعت اسس مكتب القدس ، وسيفتتح ، بعون الله ، في مطلع الشهر القادم . وقد ساهمت فلسطين في انشاء هذه المكاتب بنصيب متواضع من المال ونخبة مختارة من الرجال .

واما الاساس الثالث وهو العمل لانقاذ الاراضي في فلسطين . فقد نص بروتوكول الاسكندرية على ان يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات

والشعوب العربية لانقاذ الاراضي في فلسطين الى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقبل . »

هذا وفي مساء ١٤ تموز سنة ١٩٤٥ عقدت اللجنة الاقتصادية الفرعيـة اولى اجتماعاتها في وزارة الخارجيـة المصرية وافتتح الجلسة عبدالرحمن عزام باشا بكلمة جاء فيهـا : « ان ما هو معروض عليكم هو انقاذ ذلك البلد المكروب واولئك الاخوان المنكوبين في وطنهم بالغـارة الاستعمارية الصهيونيـة على اراضي فلسطين . » وقال : « ان اللجنة التحضيرية المؤتمر العربي كانت تريد تشكيل فئة للنظر في اقتراح خاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في صندوق الامة لانقاذ اراضي العرب في فلسطين . والآن وقد حل مجلس الجامعة في هذا الشأن محل اللجنة التحضيرية فاني احيل اليكم اقتراحها . واني تحقيقاً للغاية ، التي يريدها الجميع ، وهي المحافظة على اراضي العرب بفلسطين ارجو ان تتناولوا الموضوع من جميع نواحيه على اساس ان المعروض عليكم هو انقاذ اراضي فلسطين وحفظها خالدة بين يدي العرب . كما ارجو ان يكون بحث حضراتكم الفني والعلمي لهـذا الموضوع مشبعاً بروح العطف وملحوظة فيه مقتضيات السياسة . »

وفي ٩ ايلول ١٩٤٥ نقلت الانباء البرقية ان القرارات التي اتخذتها اللجنة الاقتصادية الخاصة بحماية اراضي فلسطين اقتصرت على ما يلي :

« ١ – المطالبة بسن تشريع يمنع نقل ملكيات العرب لليهود بصفة قاطعة .

٢ – ضرورة النظر في جعل الضرائب المفروضة على اراضي فلسطين العربية متناسبة مع حالتها الاستغلالية حتى لا تكون فداحة الضرائب سبباً في تجريدهم من ملكيتهم .

٣ – وجوب حماية المحصولات الزراعية العربيـة من منافسة الواردات الاجنبية .

٤ – وضع تدابير فعالة لمقاومة الهجرة ومنعها . »

وعلى هذا تكون اللجنة قد اقتصرت على اتخاذ قرارات تتعلق بالناحية التشريعية فحسب ، وهي في الواقع لا تخرج غن حد التمنى ، بينما الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربيـة لانقاذ الاراضي في فلسطين ذلك الاقتراح الذي نص بروتوكول الاسكندرية على احالته الى اللجنـة اهمل جانبه وسكت عنه !

ولماذا ؟ اكان ذلك بناء على اقتراحات مختلفـة ومتعددة قدمت الى الجامعة العربية والى الحكومات العربية من شخصيات فلسطينية تخالف في اسسها المشروع الذي قدمه مندوب فلسطين الاستاذ العلمي الى اللجنـة التحضيرية لمؤتمر الوحدة العربية ؟.

أم ان اللجنـة الاقتصادية تهيبت الناحية المالية المتعلقة بالدول ، فلم تتعرض لها ؟

لا ادري ، ولكن الجامعة العربية استأنفت بحث هذا الموضوع باهتمام في دورتها التي انتهت بمنتصف كانون الاول ١٩٤٥ ، وذلك بمناسبة مشروعين قدمتهما لجنة الخبراء التي سبق للمجلس تعيينها لتقديم الاقتراحات المؤديـة الى انقاذ اراضي فلسطين . وقرر المجلس عرضهما على الحكومات العربية لاعطاء رأيها فيهما . هذا ، وربما كانت الجامعة العربية سجلت تماهلاً في الناحيـة السياسية ، ولا ادري اذا كانت حكومة النقراشي باشا الجليلة هي المرجع الصالح للتساءل عن سبب هـذا التراجع ، او التأني الزائد . وذلك ان حكومة العمال في لندن اعتزمت خلال الصيف الماضي اعلان سياسة الدولة

بعد الحرب في قضية فلسطين ، وتمهيداً لذلك وجهت الدعوات الى ممثليها السياسيين في الشرق الاوسط لاجتماع يعقد اواخر آب سنة ١٩٤٥ ، والفت لجنة سياسية فرعية لتمحيص هذا الموضوع على ضوء المشاورات التي تجري مع هولاء الممثلين ٠

وكما بادر الصهيونيون لعقد المؤتمرات في لندن وواشنطن قبيل موعد مؤتمر سان فرنسيسكو فقد تنادوا سراعاً لعقد مؤتمر صهيوني عالمي في لندن افتتح اول آب قصد التأثير على الرأي العام البريطاني ، وبالتالي على مقررات حكومة العمال بشأن فلسطين ، بينما كانوا يسعون في واشنطن لحمل الرئيس ترومان للكتابة الى الماجور اتلي يظهر رغبته بادخال مئة الف يهودي ، الى فلسطين ٠

وكان من البدهي ان يتأثر العالم العربي باجمعه من هذه الطوارئ ، وما تخللها من مناورات صهيونية ، وان يتنادى ، خصوصاً انه لم يكن مطمئناً وقتئذ الى حكومة العمال في لندن : هذا الحزب الذي ما اجتمع مرة لتقرير سياسته الا وارسل الوعود مدراراً للصهيونيين ؛ وكان من المنتظر ان يتسابق اكثر وزراء خارجية الدول العربية الى مراجعة حكومة مصر طالبين اليها دعوة مجلس الجامعة ٠ ولكن حكومة النقراشي باشا لم تكن على هذا الرأي وأعربت عن ذلك بجوابها المؤرخ في ١٨ آب ١٩٤٥ ، وقالت ما يفيد انها ترى من الانسب في الوقت الحاضر ان يعمل ممثلو الدول العربية في لندن وواشنطن متحدين لمجابهة الطوارئ ومداركتها ٠ ويبدو أن هذا الموقف لم يبعث على اطمئنان اخواننا عرب فلسطين ، فبادر الحزب العربي الفلسطيني للاستنجاد ، على اجنحة الاثير ، بالعالمين العربي والاسلامي ٠ واني انشر البرقية التي وردت الي منه تبياناً لقلقه : «بسبب التطورات الاخيرة ومقررات

المؤتمر الصهيوني العالمي وتصريحات الرئيس ترومان وتأليف حكومة العمال في انكلترا واقوال الصحف البريطانية اصبحت الحالة تستدعي اهتماماً جديا من الحكومات العربية بقضية فلسطين ، لذلك يرجو الشعب العربي الفلسطيني ان تتقدم حكومتكم الموقرة بطلب عقد جلسة لمجلس جامعة الدول العربية خاصة بفلسطين »

وسرعان ما لبى اتحاد الاحزاب اللبنانية الطلب فاتصل برئيس مجلس وزراء لبنان بتاريخ ٢٤ آب ١٩٤٥ ، ووجه في اليوم نفسه مذكرة الى امين الجامعة العربية في هذا المعنى .

وخلال ذلك سمعنا اصوات مسلمي الهند تتعالى ، حاملة على انصار الصهيونية في حزب العمال . ومع ذلك فلم يدع مجلس الجامعة ، وانما وجه امين سر الجامعة العربية برقية الى كل من سمو الامير عبد الاله الهاشمي وسمو الامير فيصل السعودي يرجوهما الاعراب عن وجهة نظر العرب فقاما بالمهة خير قيام .

وكان انصار العرب المطلعون على مجرى القضايا في العواصم وما تحاك حولها من مؤامرات يأخذهم العجب من هذا البطء الذي يبدو من جانب العرب اثناء ما تتوجب الحركة والسرعة ، ولم يتمالك الجنرال سبيرس عن الاعراب عن هذا الشعور في حديث له ، وقال منددا :

« ينبغي ان يزداد التعاون الوثيق بين الجامعة العربية ومكتبها في لندن . وقد ضاع وقت ثمين في هذه المرحلة الهامة التي تتخذ فيها السياسات الدولية شكلا جديدا . وينبغي ان تكون في لندن شخصية عربية كبيرة تستطيع الاتصال بالسلطات البريطانية والتحدث بصفة رسمية في الشوءون التي تحتاج الى التعبير عن وجهات النظر العربية . وتجري الحوادث بسرعة كبيرة ويبدو ان الجامعة العربية لا تقدر ذلك كل التقدير »

واذا بانباء القاهرة تطلع علينا مبشرة بان امين سر الجامعة العربية اعتزم السفر الى لندن وواشنطن وانه شاء قبل مغادرته الشرق ان يزور عواصم

الدول العربية للتزود باراء عواهلها ورجالاتها السياسيين . وطار عبد الرحمن عزام باشا من القاهرة الى الحجاز فالعراق فسوريا ولبنان ، وقفل راجعاً الى وادي النيل ماراً بفلسطين وشرق الاردن . وكان من مدعاة سرورنا ان اجتمعنا اليه في حفلة أقامها له عبد الرحمن حقي بك وزير مصر المفوض في مصيفه بعاليه (لبنان) يوم ١٦ ايلول سنة ١٩٤٥

وبعد ايام قضاها امين سر الجامعة العربية في القاهرة غادرها الى لندن ، فبلغها حين الحاجة الماسة لدعم المكتب العربي فيها النشيط . وادى سعادته للقضية بما راجع وخطب وكتب اجزل الفوائد .

وصحت النية بعد عودته الى دعوة مجلس الجامعة العربية ، فعقد المجلس اولى جلساته اواخر تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ . وتولى رياسة هذه الدورة السيد جميل مردم بك وزير سوريا المفوض في مصر . وكان موفقاً خصوصاً في قضيتين هامتين ساهم في طلبهما اتحاد الاحزاب اللبنانية في المذكرة التي رفعها الى الجامعة العربية باسم الجماهير المحتشدة الاجتماع الكبير الذي عقده الاتحاد ببيروت يوم ٢ تشرين الثاني ١٩٤٥ وهما :

المادة الاولى : « ان تتخذ الجامعة العربية قراراً جازماً يطبق في العالم العربي يمنع ادخال المصنوعات الصهيونية الى كافة الاقطار العربية . واذا يتعذر رفع الالتباس فيما يصنعه الصهيونيون وغير الصهيونيين فيصار الى منع جميع مصنوعات فلسطين .

المادة السابعة : « تأليف وفد من قبل الجامعة العربية يقصد الى فلسطين لتوحيد الصفوف وجمع الكلمة . ونحن على رجاء ان الشعب الفلسطيني الكريم سيساعد على الوفاق والاتفاق في هذه الاوقات العصيبة » .

واذا بانباء الجامعة تبشرنا بان المجلس اتخذ قراراً بمقاطعة البضائع

الصهيونية على ان يترك لكل دولة اختيار الطرق الصالحة .

وتبشرنا ايضاً بان وفداً من قبل الجامعة راسه السيد جميل بك مردم بك ، ويرافقه الاستاذ خير الدين الزركلي والاستاذ تقي الصلح هبط فلسطين وتوفق اخيراً بتأليف لجنة عليا من احزابها ، تعني بتمثيلها على اتفاق .

ثم اصدر مجلس الجامعة قبل ختام جلساته رداً على بيان حكومة جلالة الملك الذي تلاه السيد بيفن وزير الخارجية في مجلس العموم يوم ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥

وكان هذا الرد موفقاً بما تضمن من حجج دامغــة بالاضافة الى احاطته بالموضوع ، هذا فضلًا عن انه ازدان باللباقة السياسية والكياسة . ولكنا مع ذلك نتسامح بالتعليق عليه . وما تحملنا لما نقوله فيه الا النية الطيبة .

وتعليقنا على هذا الرد يعود الى ناحيتين .

١ — لزومه الايجاز حيث يجب الافاضة في الرد على قضية الانتداب والوصاية .

٢ — اختياره اسلوبا زاد في الكياسة الى حد انه لم يعبر عما يجيش في قلوب العرب من الحماس لفلسطين ولا يصور عواطفهم تصويراً فياضاً

وهاكم تفصيل ما اجملنا حول التعليق على رد الجامعة :

١ — الانتداب والوصاية

في الواقع ان مسألة الحكم الذاتي ، او بكلمة اصرح الاستقلال هي بيت القصيد في المعضلة الفلسطينية ، كما فصلنا ذلك في مقال سابق ، وقد احلها الكتاب الابيض محلها من الاعتبار ، ونص على وعد صريح في هذا الشان . ولكن بيان حكومة العمال الاخير تراجع عن هذا الوعد اذ بعد ان أكد بقاء الانتداب القائم اشار الى ان النية مصروفة لتحويله الى وصاية .

وكان مفروضاً ان يتناول رد الجامعة العربية هذا الامر بحيث يقف عند موضوع الانتداب والوصاية ، وقفة تتناسب مع ما يدور في قلوب العرب من الانكار ، لهما ، ويعرب عما يخالج هذه القلوب من رفض الانتداب والوصاية كليهما على السواء .

بيد ان رد الجامعة العربية لم يتعرض لذلك علناً ، بل اكتفى ان يمر به مروراً في عرض الكلام ، ويطالب باستقلال فلسطين .

٢ – ضعف الاسلوب في التعبير عن العواطف .

ذلك الحماس الذي تجلى في كل عبارة من عبارات بروتوكول الاسكندرية في القسم الخاص بفلسطين ، اذا قيس وقورن بما في رد الجامعة من طراوة ونعومة يؤهلنا للظن والوهم بان تلك الشعلة التي كانت تثور في افئدة ممثلي الدول العربية نحو فلسطين اخذت تنطفىء تدريجاً بعد ان قامت الجامعة .

نحن لا ننكر الفرق الذي يجب ان يكون في الاسلوب بين البروتوكول والرد ، ومع ذلك فالمصلحة تقضي في مثل هذه الظروف ان يعرض العرب بقوتهم المعنوية وبقوتهم المادية ، في قالب ابق لا يشتم منه التهديد والتهويل كما يفعل الصهيونيون . يمكن الجامعة العربية ، وهي مؤسسة تضيع فيها التبعة الفردية ، ان تشير الى قوة العرب في اتحادهم ، قوتهم في مقاطعة البضائع ، قوتهم في عدم التعاون ، قوتهم ازاء امتيازات البترول في البلاد العربية ، وان تشير الى الخطر المؤذن بعدم استقرار السلم في الشرق الاقصى .

ولماذا لا تفعل وهؤلاء اليهود طالما وقفوا يهددون رئيس الولايات المتحدة تهديداً انتخابياً ، الى انهم ما تورعوا عن تهديد بريطانيا تهديداً اقتصادياً ، بينما هم لا يستندون الى قوة الحق التي في جانبنا .

اما وان الجامعة العربية اصبحت تمثل الامة العربية فنحن نريدها ان

تظهر بمظهر القوة شيمة العرب الفطرية .

نحن نعلم ماهية الفرق بين الرغبة في الشيء وبين الحصول عليه . ولكن ما يمنع عند وجود الرغبة من المطالبة والسعي لنيل المرغوب فيه ؟ وهل كان الصهيونيون ادنى منا الى مطامعهم حينما اعلنوها وطالبوا فيها دون تردد ؟

فلسطين في مؤتمر سان فرنسيسكو

تقرر في مؤتمر يالطا دعوة الدول الحليفة لاجتماع يعقد في سان فرنسيسكو لتنظيم العالم القادم على اساس مقترحات مؤتمر « دمبرتن اكس » التي نشرت في تاريخ ٩ تشرين الاول سنة ١٩٤٤ بوشنطن . والقصد من ذلك قيام مؤسسة دولية ذات قوة تنفيذية عوضاً عن عصبة الامم وليدة الحرب العالمية الاولى .

وكان هذا القرار حافزاً عظيما لنشاط اليهود ، ولا سيما لان الدول العربية ستكون ممثلة في هذا المؤتمر ، وستكون لها اصوات عديدة فيه بمندوبيها ومندوبي الدول الاسلامية وانصارهم . وحاولوا جهدهم ان يمثلوا في هذا المؤتمر ، وقاموا قومة رجل واحد في الشرق والغرب وخصوصاً في الولايات المتحدة لخلق جو ملائم مع امانيهم للتأثير على المؤتمرين . وزعمت الانباء انهم قاموا في نيورك بمظاهرة كبرى بلغ المشتركون فيها نحواً من « مئة الف شخص » ولما جرى افتتاح هذا المؤتمر في ٢٥ نيسان سنة ١٩٤٥ تلقى من الوكالة اليهودية في فلسطين مذكرة طلبت فيها ان يكون كل مشروع جديد لنظام الانتداب او الوصاية الدولية حراً ومتسعاً الى درجة تمكن من حل مشكلة فلسطين طبقاً للغرض الذي ينطوي عليه تصريح بلفور .

وقد قابلت البلاد العربية هذا النشاط الصهيوني بمثله ، وابرقت الحكومات العربية الى وزير خارجية واشنطن تؤيد حقوق العرب في فلسطين .

وجاء في رده انه لن تتخذ في هذه القضية قرارات قبل مشاورة الدول العربية واستطلاع رأي اليهود ٠ »

كما ان ممثلي الدول العربية في المؤتمر المذكور تكتلوا ، ومنحوا قضية فلسطين اعظم اهتمامهم ، فادت يقظة العرب الى رد المؤتمر مطالب اليهود : فلم يقبل توسلهم الدخول اليه ، ثم لم يتعرض لقضية فلسطين ٠ وقد أرجع احد اعضاء الوفد الاميركي سبب ذلك للامرين الآتيين ٠

١ ـ اذا بحثت القضية الفلسطينية في المؤتمر ، فستطلب أمم كثيرة اخذ قضاياها بعين الاعتبار ٠

٢ ـ موقف بريطانيا العظمى ، وقد تجلى بلسان مستر تشرشل اذ قال : « ان القضية ستحل بعد الحرب ٠ »

على ان هذا المؤتمر كما انه اظهر نشاط اليهود في العالم فد كان وسيلة للاعراب عن قوة الجامعة العربية وتضامن اعضائها ، خصوصا في ذلك الموقف الصريح الذي وقفوه ازاء لبنان وسوريا حينما لم تدعيا الى المؤتمر ، وقد أدى تدخل الدول العربية من بعد الى توجيه الدعوة لهما اسوة بسواهما ٠ وكان لهما في ذلك الخير الكثير من ناحية الاعتراف التام بالاستقلال لبنالانه من هذه المؤسسة ٠

بل ان النضال الذي وقع حول مؤتمر سان فرنسيسكو وبين القوى اليهودية العالمية وبين القوى العربية المتكتلة وانتهى بانتصار العرب في هذه الموقعة هو مما يشجع قومنا ويطمئنهم الى ان النصر الاخير معقود لهم مازالوا متحدين ٠

الفصل السادس

اثر الدعاوات الصهيونية في كسب المعركة

اوروبا واميركا تعرفان عنا قدر ما تعرف عن جزئيات الصين - ما جناه الصهيونيون من دعاياتهم في اوروبا واميركا - دعاوات الصهيونيين تنطلي على انفسهم

•

اوروبا واميركا تعرفاننا معرفة مشوهة .

تشابكت شؤون العالم في العصر الحاضر تشابكا قويا ، وكما تقاربت الابعاد بين امصاره فقد اصبح الاتصال بين دوله وامه يتعدى الشؤون المادية الى الشؤون الاجتماعية والسياسية . فالتحالف بين الدول والتعاون بين الامم اصبحا لازمة من لوازم العصر ، واضحت القضايا الخاصة لكل امة شديدة الارتباط بغيرها حتى ان بعضها يكاد لا يحل الا بعقد المؤتمرات او تبادل المفاوضات .

ولا شك ان قضايا الامم الضعيفة هي اشد ارتباطا من سواهــا بالامم الاخرى ، واكثر خضوعاً للتنظيم العالمي . ولذلك كانت الدعاوة العامة لهذه الامم افضل معوان لها على ادراك امانيها .

وتبدو الدعاوة نافعة جداً للامم الصغيرة في العالم العربي، اذا عرفنا ان الامم الكبيرة تعالت عن التعرف جيـداً الى احوال الامم الصغيرة ، بل ان الامم المستعمرة ، اذا استثنينا منها الاخصائيين السياسيين والمستشرقين . لا تعرف كثيراً من تاريخ هـذه الامم ولا جغرافيتها . وأرجو ان لا يغلب على ظن القارىء اني ابالغ واغلو ، فقد كتب لورنس (١) الى د . ج هوجارت عام ١٩١٥ ما يؤيد ذلك وقال : « أنا موظف خرائط اكتب تقارير جغرافية ، واجرب اقناعهم ان سورية ليست مأهولة بالترك فقط . »

لست ابالغ ابداً ، وعندي وثيقة اخرى تعرب عن مقدار ما يعرفه الغربي عن الشرق . ذلك ان مؤتمراً وطنيا عقد في بيروت عام١٩٣٦ للدفاع عن سوريا التي كانت تعاني العنف من دولة الانتداب ، خـلال الاضراب الطويل الذي قامت به وقتئذ احتجاجا على النكول عن توقيع المعاهدة . وقد قدمت ، بوصفي رئيسا للجنة التنفيذية التي انبـثقت عن هذا المؤتمر ، احتجاجات داوية الى المقامات السياسية وغيرهـا في العالم . وتلقيت من جملة ما تلقيت رداً من سكرتير جمعية مقاومة الحروب في بريطانيا العظمى التي يرأسها لورد بونسو نبي (٢) مؤرخاً في ١٣ شباط سنة ١٩٣٦ هذا نصه : « اشكر لك كل الشكر توجيهك الي نسخـة الاحتجاج المرفوع الى عصبة الامم المتعلق بما قامت به السلطات الانكليزية (؟) من حجز الحرية في سورية .

(١) رسائل لورنس ، ص ١٩٢

(٢) Lord Ponsonby

وقد وزعت نسخاً عنه باوسع ما يمكن، على صحف هذه البلاد وسواها .
ومع ، ذلك فلا ارى مندوحة من طلب زيادة التوضيح لادراك الغاية ، فان هذه الحادثة من شأنها ان تثير اهتمام المؤسسة العالمية لمقاومي الحرب ، وخاصة الاعضاء البريطانيين فيها . ذلك لاننا ، ونحن نسترعي انظار العالم للمظالم التي تقترفها حكومات اخرى مستبدة ، يتراءى لنا ان الانكليز يقعون في نفس الخطيئات .
ان مؤسسة مقاومي الحروب هي متأهبة للقيام بالجهود الممكنة تاميناً لمساعدتكم فيما اذا تلطفتم وبعثتم الينا ، خلاصة الحوادث ، مع تفصيل لما تنكرونه مما اجترحته السلطات البريطانية واقترفته من اعمال تشكون منها ... الخ . »

وبعد ، فهذا كاتب الرسالة ، وهو من رجال الغرب الذين يشتغلون بالمسائل العامة ، كان يظن ان سورية مشمولة بالانتداب البريطاني ، وفي ذلك اكبر برهان على ان تلك الامم المستعمرة قليلة العناية بشؤون الامم الاخرى .

ولعل الولايات المتحدة التي كانت مطوقة بشريعة مونرو اشد الامم المتمدنة انصرافا عن الالمام بشؤون العالم الخارجية ، وخصوصا ما كان منها في الشرق . وقد نوه بذلك مستر ددج رئيس الجامعة الاميركية ببيروت عندما وجهنا عتابا للامة الاميركية على تلك المذكرة التي رفعها بعض الساسة في غرة عام ١٩٤٢ وطلبوا فيها فتح ابواب فلسطين للهجرة . نوه بذلك في معرض الدفاع عن قومه فقال : « انتم المقصرون ، لانكم لا توفون التعريف الكافي بقضيتكم ، وهم في اميركا لا يعرفون عن احوال فلسطين وغيرها من بلاد الشرق الادنى اكثر مما تعرفون انتم عن بلاد التايلند » .

وليس في قول السيد بيار دودج مبالغة ، فقد جاء في مقال لجريدة آسيا الغراء حملت فيه بيان السيد بيفن الحادثة التالية : « لما كنت في اميركا في

الصف المنتهي للهندسة سألني أحد رفقاء الصف من المسيحيين هل القدس في فلسطين ام فلسطين في القدس ؟ فأجاب آخر متهكما ان القدس في الاراضي المقدسة ، وكان يجهل تماماً ان الاراضي المقدسة هي فلسطين . » ولعل كاتب هذا المقال هو الاستاذ اميل البستاني صاحب الجريدة وبعض المشاريع الاقتصادية .

وقد عرف عرب فلسطين هذا منذ خلقت القضية الفلسطينية وحكموا بأنها ليست موضعية فحسب ، ولا يقتصر حلها على بيت المقدس ولندن ، بل هي قضية عالمية . ولا ادل على ذلك مما جاء في جواب تلقيته[1] من صاحب السماحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى يوافق تاريخه ١٣ ايلول سنة ١٩٢٩ لمناسبة الثورة التي نشبت من جراء مطمع اليهود بالبراق حيث يقول : « وقد حمدنا لكم البرنامج الذي قررتموه في بعث الرسائل الى المقامات الدينية العليا وسواها في العالم ووضع رسالة جامعة عن بهتان مزاعم الصهيونية وحقيقة مواقف الوطنيين . ان الاستمرار في النشر والدعاية وتكذيب مقترحات اليهود هو من اجل الاعمال وانفعها في قضيتنا . » هذا فضلاً عن ان المؤتمر الاسلامي الذي عقد في القدس شهر كانون الاول سنة ١٩٣١ عني كل العناية في شأن الدعاوة والنشر ، وخصها بفصل من مقرراته .

ولكن على الرغم من هذه المعرفة بفوائد الدعاوة فان عرب فلسطين قد شغلتهم الاحداث المتوالية في بلادهم ومواقفهم في الكفاح المحلي عن ايفاء هذه المهمة حقها ، على حين ان الصهيونيين قد جعلوا في مقدمة البرنامج الموضوع لتحقيق امانيهم وجوب استخدام الدعاوة في وجهيها الايجابي والسلبي وقاموا بهذا الواجب حق القيام ، فاستطاعوا ان يجعلوا العالم الغربي انما يعرف عن فلسطين وجهة نظرهم فحسب ، وان يكسبوا بالتالي عطفه .

(١) بوصفي رئيساً لاتحاد الشبيبة الاسلامية

ماذا جنى الصهيونيون من دعاواتهم؟

حاول اليهود منذ ذلك اليوم الذي وعدهم فيه بلفور بانشاء وطن صهيوني ، ان يكسبوا عطف العالم باجمعه وأن يستثيروا حدبه على امانيهم .

ولم تكن محاولاتهم كلاماً مرصوفاً او تمنيات عابرة ، بل دخلوا البيوت من ابوابها فاستولوا على الاوساط المالية، وقبضوا على نواصي الصحف الكبرى، واستغلوا اصوات الاذاعات ومناظر السينما ، وغيرها من وسائل النشر ، وعمدوا الى انواع شتى من اساليب الدعاة الايجابية والسلبية، وصوروا اليهود تصويراً يستدر الحنان ويثير الشفقة : فهم مضطهدون مشردون ، لا مأوى لهم ، ولكنهم مع ذلك نالوا حظاً وافراً من العلم والمدنية ، واذن فقد أصبحت فلسطين بعد دخولهم اليها جنة عدن بما أسبغوا عليها من صناعات جديدة وفنون مختلفة ورقي في جميع مرافق الحياة ... أما العرب ، واهل فلسطين بصورة خاصة ، فهم ، كما يزعمون ، قوم اقرب الى البداوة منهم الى الحضارة ، يكرهون التمدن ويحاربونه ، وخير مايحسن اليهم به هو الاستعمار . والدليل على ذلك هذه المناظر التي تتحرك على الشاشة البيضاء حيث تعرض العربي وراء محراثه الساذج القديم ، واليهودي بين وسائله الصناعية الحديثة . أو تعرض العربي قتالا ضراباً واليهودي بحاثاً مخترعاً . وانى للناظر ان يحقق ما يرى وما يسمع ؟ وكيف يستطيع معرفة الحق من الباطل ؟

واذا ارادت هيئة او صحيفة ان تشاهد بنفسها الحقائق ، واوفدت وكيلا عنها ، او مراسلا الى فلسطين ، فلن تكون النتيجة خيراً مما سمع عندما كان بعيداً ، لان اليهود هناك يحيطون به من كل جانب ، ويدلونه على مواضع خاصة ومناطق فقيرة ، ويوجهونه توجيهاً يجيدونه في مثل هذه المناسبات .

وهم على شحهم الفطري لا يبخلون في هـذا السبيل . وعلى رواية بالكون (شركة الانباء الصهيونية) فالوكالة اليهودية قد ارصدت في ميزانيتها لعام ١٩٤٥ مبلغاً يتراوح ما بين الاربعة والخمسة ملايين جنيهاً فلسطينياً كيما ينفق في الدعاوة ، وذلك فضلاً عن الملايين الاخرى التي ارصدتها لهذه الغاية سائر المنظمات الصهيونية في العالم .

ويحرص الصهيونيون على اكتساب الطبقات المثقفة فيقدمون لهم محاضرين دائمين يتكلمون في اوقات معينة عن منابر المعاهد العلمية ، وفي قاعات المعابد ، معتمدين على ما يملكون من زلاقة لسان ونصاعة بيان لاقناع السامعين .

وما دامت دعاواتهم منظمة وشاملة على هذا النحو فلا غرابة ان تصبح وجهة نظرهم هي المفهومة وحدها في اوربا واميركا وغيرها ، وان يصبح الشعب الغربي على وجه عام ، يحيطهم بعطفه ورعايته .

أ ـ دعاوات اليهود الايجابية

ان للدعاوات اليهودية في البلاد الانكلوسكسونية تأثيراً اشد مما لها في البلاد الاخرى ، ذلك لان نصيب البلاد الانكلوسكسونية من الهجرة اليهودية اوفر الانصبة على الاطلاق ، ففي بريطانيا العظمى وحدها ٣٠٠ الف يهودي وفي الدومنيون ٢٥٠ الفاً . واما الولايات المتحدة ففيها اربعة ملايين ونصف المليون من اليهود ، او ما يعادل ربع اليهود الموزعين في العالم .

وفضلاً عن العدد ، فاليهود في هذه البلاد يتمتعون بمنزلة عالية ، سواء في الناحية المالية ، او في الناحيتين الاجتماعية والسياسية .

(في بريطانيا) ولليهود في بريطانيا العظمى نفوذ عظيم وخصوصاً في الناحية المالية ، يرجع عهده الى القرون الوسطى ، والقرنين السابع عشر والثامن

عشر . بلغ من شدته حداً لا يجوز معه لملك الدولة وامبراطور الهند ان يدخل الحي المالي « السيتي » دون اذن سابق من محافظ الحي .

واما من الناحية السياسية والاجتماعية فحسبنا ان نشير الى ما جاء في كتاب « لابلان » الكاتب الفرنسي بعنوان « مملكة اليهود في انكلترا » الصادر سنة ١٩٢١ . فقد ورد فيه احصاء دقيق لكبار الموظفين من بني اسرائيل يتبين منه انه كان في انكلترا وقتئذ ٢٦ بارونا و ٢٤ لورداً و ٦ مستشارين للتاج من اليهود ، فضلاً عن معظم المستشارين الفنيين في مختلف دوائر الحكومة ، وعدا الذين تولوا الحكم منهم في الهند ، والذين تبوأوا مقاعد الوزارات ، والذين نصبوا مفوضين ساميين في فلسطين وسواها .

ويقول لابلان ايضاً ان معظم الموظفين في وزارتي الحربية والطيران هم من اليهود ، وان اليهود يملكون اكثر عدد من الصحف ، ولهم في ادارتها تسعون في المئة من المحررين والمخبرين . وهم الى ذلك قد ايدوا مركزهم بعقود زواج عدة مع الاسر الارستقراطية . ثم أتى على صدور كتاب « لابلان » نحو ربع قرن استفحل خلاله نفوذ اليهود في بريطانيا العظمى استفحالا شديداً بفعل الدعاوة المنظمة ، وبما لديهم من الوسائل الفعالة ، واتيح لهم ان يكسبوا فريقاً كبيراً من اولي السلطة ، فاصبح من انصارهم في مجلس النواب لويد جورج ، وايمري ، وودجود ، وكازاليت ، وجيمس ، وروتشلد ، وغيرهم . وكان السيد تشرشل يعد من جملة الانصار قبل الحرب الاخيرة ، وقد وقف موقفاً سلبياً تجاه الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩ .

وكذلك فقد مني مجلس اللوردات بنفر قليل عرف بالعطف عليهم ، مثل اللوردات ستيل ، ووريدنغ ، وستر ابولجي ، وصموئيل ، وملتشت .

على انهم استطاعوا ايضاً ان يكسبوا عواطف رجال الكنيسة البروستانية

هناك الى حد ان رئيس اساقفة كانتربوري دعا في مناسبات عديدة في كنيسة وستمنستر للعطف على اليهود ، وفي جمله ذلك خطاب القاه اواخر عام ١٩٣٨ حض به على تخصيص منطقة في فلسطين لليهود يستطيعون ان يعيشوا فيها تحت سلطة دوله خاصة بهم .

وفضلاً عن ذلك أصبح حزب العمال، وعلى رأسه السيد اتلي ، الذي كان قبل الحرب زعيم المعارضة ،نصيراً مخلصاً لقضيتهم ، وهو ،فضلاً عن تنكره لسياسة الحكومة التي تقررت في الكتاب الابيض، فانه حتى بعد اشتراكه مع المحافظين في وزارة ائتلافية استمر هذا الحزب يظهر التأييد للصهينة، وكان في كل اجتماع يعقده لتقرير سياسته، يطلب فتح أبواب فلسطين للمهاجرين . فقد هلل اليهود وكبروا حينما اعلنت نتيجة الانتخابات النيابية يوم ٢٦ تموز سنة ١٩٤٥ توهما منهم ان في فوز هذا الحزب بالحكم فوزاً حاسما لهم .

هذا وجاء اضطهاد النازية لليهود قبيل الحرب الاخيرة وطردهم ،وضغط الفاشستية عليهم ، من خير الوسائل للسيطرة على العواطف في البلاد الانكلوسكسونية . ذلك ما لمسناه بنفسنا خلال زيارة امركا، وذلك ما وصل الينا من بريطانيا العظمى .فقد وجهت رسالة من نيورك يوم ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨ الى النائب الانكليزي سيسل بول .[1] وكان شقيقي عفيف كتب الي من لندن عن اهتمام هذا النائب بالقضية الفلسطينية ، قلت فيها : « نحن نأسف كثيراً لهذا الوضع في انكلترا ونشعر بانه ناتج على الاكثر من تسلط الصهيونيين على عناصر الدعاوة مما يجعل الشعب البريطاني يجهل الوضع الحقيقي .واني ارى ان الطريقة الوحيدة لمعالجة هذه القضية بانصاف تكون بنشر وجهة نظر العرب المجهولة التي تكشف الغطاء عما يفتريه الصهيونيون .

(١) Cecil Poole

«وبعد ان رجوته درس القضية على ضوء المطبوعات والمنشورات التي وجهتها اليه قلت له « وبعد ان ترى ان العرب هم اصحاب الحق ستجعل صوتك مسموعاً بين اعضاء البرلمان البريطاني ». فجاء رده لي مطمئناً غير أنه لم يخل من عبارة تدل على تأثره بموقف النازي ضد اليهود اذ قال : « وكيفما كان الحال ، فان القضية لاقت شيئاً من الصعوبة من جراء اضطهاد اليهود في المانيا ، وبالتالي بسبب العدد المتزايد من اللاجئين . »

وبفعل هذه الدعاوات المنظمة واكتسابها الرأي العام ورجال الحكم في لندن ، استطاع الصهيونيون ان يربحوا المعركة دائماً حينما تنقل قضية فلسطين الى لندن ، فيردون ما لا يلائمهم من مقررات اللجان ، ويقفون احيانا دون تنفيذ غيرها من المقررات . وقد اشارت لجنة بيل الملكية في تقريرها (ص ١٢١) الى تأثير هذه الدعاوات اذ قالت لمناسبة مناقشة مجلس العموم الانكليزي في قضية المجلس التشريعي بفلسطين : « فمن سوء الحظ ان تكون الناحية اليهودية من القضية قد اوضحت بشكل اوفى من الناحية العربية . فقد جاءت هذه المناقشة ، والحق يقال ، دليلاً ساطعاً على الوضع السيء الذي يئن منه العرب عندما ينتقل ميدان النزاع من فلسطين الى المملكة المتحدة . »

(وفي اميركا) واما في اميركا فقد كان لهم المجال ارحب منه في اوربا . ذلك انهم قبضوا فيها على ازمة المال (والاوراق المالية ان في اوروبا او في اميركا ذات تأثير عظيم على الانتخابات البرلمانية وغيرها) كما انهم امسكوا بناحية الصحف ، لا سيما في نيورك حيث لهم السيطرة على الحي المالي « وول ستريت » ولهم اسهم اكبر الصحف وعلى رأسها ، نيورك تايمس . والجرائد الكبرى ، اما ان تكون لليهود مباشرة او ان تكون تحت نفوذهم بالاعانات والاعلانات . وحسبنا في تبيان ما لهم من نفوذ في بلاد العم سام الاشارة الى

ما شاهدناه عام ١٩٤٥ من تنافس رجال الحكم والكونغرس في ميدان كسب عطفهم مذ ذر قرن الانتخابات : فالرئيس فرنكلان روزفلت واسرته وحزبه الديموقراطي ، والسيد ديوي منافسه وانصاره وحزبه الجمهوري ، قد تباروا جميعاً خلال شتى المناسبات في ميدان التأييد للصهينة ، كما ان زعماء الكثرة والقلة في مجلس الشيوخ والنواب تسابقوا على السواء ، ومن ورائهم كثيرون من اعضاء الكونغرس ، في صعيد ممالأة الصهيونيين مذ شعروا بقرب موعد هذه الانتخابات . وقد وقع شبيه بذلك ابان الانتخابات السابقة حينما كانت المنافسة بين الرئيس روزفلت وبين السيد وندل ويلكي على اشدها .

على انا اذا تركنا جانبا رجال السياسة ، على اعتبار ان لهم مصالح خاصة في مجاراة الصهيونيين ، نجد ان الدعاوات التي يقوم بها هؤلاء قد تعدت الساسة واثرت اثرها الشديد في صميم الشعب . وهل ادل على ذلك من توقيع خمسة الاف قسيس من قسس الطائفة البرستانتية على طلب رفعوه اوائل عام ١٩٤٥ الى كل من الحكومة ، والكونغرس في واشنطن ، يؤيدون فيه الاماني اليهودية ؟

هذا عدا الاعانات التي يبذلها الاميركان مساعدة لهذه الاماني . فقد جاء في تقرير السيد فردريك باينتون مراسل الريدر دايجست ان ما ترسله الولايات المتحدة كل عام الى يهود فلسطين يبلغ خمسة ملايين ونصف مليون دولار ، نصف مليون منها يتبرع به المسيحيون .

ولا تعجب اذا ذهبنا الى مدى ابعد في تبيان نفوذ اليهود في اميركا ، فهم هم الذين حملوا الولايات المتحدة على الدخول في الحربين العالميتين : الاولى والثانية ! اجل ، فلما نشبت الحرب العالمية الاولى ، وقف الرئيس وودرو ويلسن موقف المعارضة الشديدة في وجه كل المحاولات لحمل الولايات المتحدة على دخول

الحرب ، وظل الرئيس كذلك والشعب يؤيده حتى اعتبر نجاحه في الانتخابات التي جرت عام ١٩١٦ للرئاسة بمثابـة استفتاء ومن قبيل رجحان كفة انصار خصوم الحرب . ولكن الصهيونيين ظلوا ، مع ذلك ، يعملون حتى انتهى الامر لاقتناع جماعة ويلسن بما فيهم الرئيس لاشهار الحرب على المانية .

ثم كان الاميركان قبل الحرب الاخيرة ، مثلهم قبل الحرب الماضية خالي البال من فكرة الاشتباك بقتال . وقد وصفهم السيد كردل هل[1] بقوله : « ان عدداً كبيراً جداً من الشعب كان مؤمناً اشد الايمان بان الولايات المتحدة لا يتهددها ولا يمكن ان يتهددها شيء من الحروب الخارجية ، وان الامة اذا ارادت ان تظل بعيدة عن الحرب فما عليها الا ان تظل معتنية بشؤونها الخاصة . »

ولكن اليهود وجهوا الشعب الاميركي من بعد الوجهة التي يريدونها ، وهم ما زالوا يكسبون المعركة بفضل دعاواتهم المنظمة ، سواء أكان ذلك في واشنطن ام في لندن !

ويرى السيد ودسورث ، وزير اميركا المفوض في لبنان وسورية ، ان نجاح اليهود في اميركا يرجع الى اسباب ثلاثة . فقد زرته مع وفد من اتحاد الاحزاب اللبنانية لمناسبة اعتزامه السفر الى واشنطن بدعوة من الحكومة لاستطلاع رأيه ، وتحدثنا اليه مطولا في قضية فلسطين قبل اشهر قليلة فعلل عطف اميركا على اليهود بالاسباب التاليـة :

« (١) ان العرب ارتكبوا اشد تقصير في تبيان وجهة نظرهم ، بينما اليهود صوروا قضيتهم تصويرا مؤثرا .

(٢) وجود ما يناهز مئة الف يهودي بلا ملجأ في المانية وهم عالة على الجيش .

(٣) تأثر الاميركان بما ورد في التوراة من الوعـد لبني اسرائيل بالعودة الى فلسطين ، وهم يرون في فتح ابواب فلسطين لهم تحقيقا لما وعد به الكتاب المقدس . »

---

(١) وزير خارجية واشنطون سابقاً

وعلى هـذا استطاعت الدعاوات اليهودية آخر الامر ان تحمل مجلسي الشيوخ والنواب في الولايات المتحـدة (كانون الاول سنة ١٩٤٥) على اخذ قوارين تباعاً لفتح ابواب فلسطين للهجرة ، رغم كل معارضة. وكان المجلسان جد مستعجلين الى حد انهما لم ينتظروا مقررات اللجنة الانكليزية الاميركية التي تالفت لدرس هذه القضية من جميع نواحيها .

ب – دعاوات اليهود السلبية :

بينما يسعى اليهود ببث الدعاوة لانفسهم وللصهيونية من الوجهـة الايجابية اكتساباً للعالم الغربي فانهم يجدّون في ترويج دعاوة سلبية ضد العرب خاصة، وضد المسلمين عامة تنفيراً لافئدة العالم منهم .

وقد لجأوا في هذه السبيل الى وسائل الدعاوات والنشر التي يملكونها من صحف واذاعات ومسارح وغيرها، ووضعوا الكتب وحشوها بالافتراءات ضد العرب ، ولا يتورع زعيمهم الدكتور ويزمن من ان يقول مفتريا على العرب في كتاب صدر له اخيراً : « ان هناك منطقة متسعة من الارض بين شواطىء البحر المتوسط والمحيط الهندي والفرات يقطنها اقوام متأخرون قد انحط مستوى معيشتهم ... وهم كانوا فريسة سائغة لكل امة مكتسحة » . ثم يتحول بفظاظة الى اثارة نقمة الامم الحليفة عليهم قائلاً : « وهـذا ما يفسر تاثر العناصر العربية بالدعاوة النازية والفاشستية : فقـد بهرتهم سياسة القوة والبطش ،ولم يدركوا ما للديمقراطية من قوة عظيمة » .

واذا ما صدر كتاب على هذا النحو يعملون مجتهدين على نشره ، وذلك ما حدا بالجامعة العربية ان تقول في نشرتها في ٣ ايار سنة ١٩٣٩ : « علمنا ان كتاب المتصهين الافاك بيير فان باسن بيع منه ١٥٠ الف نسخـة ونيف

بمساعدة اليهود بكل ما لديهم من الوسائل الفعالة ، بينما انا علمنا من شركة لبنكت في فلادلفيا انها لم تبع حتى الان اكثر من ١٧٥٠ نسخة من كتاب « نهضة العرب » للاستاذ جورج انطونيوس ! »

ويستهدف الصهيونيون من تشويه سمعة العرب ، على هذا النحو ، توجيه العالم للاعتقاد بانهم امة وحشية خليقة بان تعامل بروح الاستعمار الذي كان معروفاً في اوائل القرن الثامن عشر الى ان يتاح لهم بالاستعمار ادراك التمدن والتقدم .

وهذا ما دفع السير روبرت ويلي كوهين [1] لان يطلب ان لا تعتبر المهاجرة اليهودية الى فلسطين كالمهاجرة الى مستعمرات التاج اليوم ، وقد اصبح سكانها من الاوربيين ، بل ان تعتبر من قبيل المهاجرة اليها في القرون الماضية حينما كان سكانها الاصليون من المتوحشين المتأخرين » .

وقد نجح الصهيونيون ، في الواقع ، كل النجاح في تصوير العرب للغربيين تصويراً مشوهاً ، فقد جعلوهم بدواً في احط مراحل الحياة الاجتماعية . ولا ادل على ذلك من تلك الحادثة التي وقعت في لندن مع الوفد العربي التي يبدو فيها أثر اليهود واضحاً . وقد اوردناها في هذا الكتاب .

وجازت تلك الدعاوات ايضاً على لجنة الانتدابات في عصبة الامم . فقد حدثني الدكتور عزت طنوس ان وفداً عربياً امّ جنيف عام ١٩٣٧ ، لمناسبة تحويل حكومة لندن مشروع تقسيم فلسطين الى العصبة ، قصد الاعتراض على مشروع التقسيم . وكان قوامه جمال بك الحسيني ، والامير عادل ارسلان ، وعوني بك عبد الهادي ، والسيد الفريد روك ، والدكتور عزت طنوس . وقد استمع رئيس لجنة الانتدابات اليه ، وهو يحسب افراده محامين غرباء عن العرب استؤجروا للدفاع عن وجهة نظر العرب في قضية فلسطين ، ويحسب

---

(١) R. walley Cohen راجع التيمس ١٥ تشرين الاول ١٩٣٦

ان العرب ، كما تصورهم الدعاوات ،قوم لا يتزيون بهذه الازياء الحديثة ، ولا يدركون هذه المرتبة من مراتب التفكير والاجتماع . وما اشد ما بلغت دهشته حين علم ان الوفد عربي يقف موقف الدفاع عن فلسطين بدافع الواجب ، وليس بينهم محام غريب .

فماذا يرى قومي بعد ذلك ؟ أيليق بهم ان يظلوا برابرة في نظر العالم ، كما تصورهم الدعاوات الصهيونية ؟ ام انهم يعنون عناية فائقة بتنظيم ونشر الدعاوة الصحيحة عن انفسهم ؟ ولا يفل الحديد الا الحديد ...

دعاوات الصهيونيين تنطلي على انفسهم

كان لخطاب القاضي وليم ب براون في كراندرابدس [1] دوي عظيم في البلد واندية الولاية ، وخاصة بعد ان انتشرت الصحف وعلى صفحاتها الخطب التي القيت في هذه الحفلة وفي كنيسة الشعب وتعليقها عليها . وفي جملتها خطبتان ممتعتان للسيد احمد يوسف نجم نزيل كرانت هافن والسيد ايلي خوري .

وفي كران رابدس وما حولها عدد وفير من اليهود ، ولهم مكانتهم الاقتصادية ، فما اعظم تلك المفاجأة التي اصطدموا بها عند نزول الوفد العربي الفلسطيني ، وما اشد وقع تصريح القاضي الاكبر براون عليهم ، اذ تحول عن الحكم لهم الى الحكم عليهم ، وقضى بان العرب هم اصحاب الحق المشروع . فبعث الحاخام الاكبر في المدينة الي يبغي مقابلتي للمداولة في قضية فلسطين ، فقبلت بارتياح واتفقنا على ان يكون الاجتماع في دار الخوري ابراهيم الزين خوري الطائفة المارونية ، وهو دمشقي الاصل . وجاء الحاخام فرأيت فيه كهلاً انيق الزي واللباس ، لا ذوائب له ولا لحية ، وتعارفنا ،

(١) يراجع خطابه في الجزء السابع « كيف نكسب الاميركان بسهولة »

وأنس كل منا بالآخر واطمئن الي اطمئنان الاصدقاء القدماء ، وقبل ان يتناول كلامنا موضوع فلسطين سألته مازحاً : « أأنت يهودي حقاً ؟ » فقال : « اكون حاخاماً ولا اكون يهودياً ؟ ! »

قلت : اذن انت تظنني من الذين يقبلون وعد بلفور ؟

فقال : « كيف يكون ذلك وقد قرأنا خطبك في الصحف وحملتك على الصهيونية ؟ »

قلت : « ذلك لانك رغبت ان تبحث مع عربي قضية فلسطين ، وبالامس صرح في نيورك الحاخام الاكبر وايز بان اليهود لا يقبلون المفاوضة مع العرب الا على اساس بقاء الانتداب ، وعلى قاعدة وعد بلفور ، فأبهم علي ان يكون الداعي للاجتماع بعد هذا التصريح ، ليس يهودياً فحسب ، بل هو حاخام لليهود ، وان المدعو ليس عربيا فقط ، بل من المتعصبين في قوميتهم . »

فضحك الحاخام والخوري وضحك معهما الحاضرون ، وقال الحاخام : « لو كنا على اتفاق لما كان من الضروري ان نجتمع للبحث والمناقشة ، ولكن لعلنا نستطيع ان نتفاهم في هذا الاجتماع . »

ثم تطرق الى البحث في القضية الفلسطينية مبتدئاً بحق اليهود التاريخي ، ثم انتهى الى بحث المسألة من نواحيها المختلفة ، ولم يتردد عن التنويه بحق الاصلح بالتملك . وقد احكمت له الاجوبة احكاماً لم يدع له منفذاً للرد . فلما رأى ان سلاحه الكلامي وفصاحته المنطقية لم يسعفاه امام نصاعة الحق والواقع ، انتقل الى ميدان آخر ليس سلاحه العقل ، بل سلاحه العاطفة والشعور : فجرب ان يثير في نفوسنا عاطفة الشفقة على اليهود الذين تطاردهم النازية ، ولا وطن لهم يأوون اليه . ونوه بما بين العرب واليهود من صلة النسب ، واطرى ، اخيراً ، ما يمتاز به العرب من كرم وحسن ضيافة . وهنا

رق صوته وانكمشت قامته المستوية . فما كان مني الا ان اخفت صوتي اقتداء به ، ولكني لم استسلم للعاطفة ، بل ظللت اسرد الادلة والبراهين على اننا كنا ، ولا نزال ارحب صدراً من كل الامم في صعيد استقبال اللاجئين .

وهنا مر في مخيلتي صورة الثورة التي كانت لا تزال ناشبة في فلسطين وضحاياها الابرار فاصارحه قائلاً : «ان الصهيونية التي تقوم على مبادىء سياسية ذاتية ملؤها الانانية ، والتي تستعين بالحراب لتثبيت اقدامها ، ليس ابناؤها جديرين بالرحمة والكرم ..» ثم خلصت الى القول : «وبالرغم من كل ذلك فقد استقبلت فلسطين واستوعبت نحو نصف مليون من هؤلاء اللاجئين ، وهذا عدد يزيد الف مرة عما يجب قبوله فيما لو وزع اللاجئون على سائر العالم .»

وظل الحوار متصلاً يدور حول نواح كثيرة من هذه القضية ، ويختلف على انواع من الاندفاع والسكون ، نحواً من اربعين دقيقة ، ولا يقطع استمرار الحديث الا رنين جرس التليفون من حين لآخر .

وفي كل مرة كان الطلب التليفوني يوجه الى الحاخام ، فيتكلم قليلاً ، ثم يعود ليستأنف الكلام باسم الوجه مرتاح النفس .

ولكن من هذا الذي يزعج حضرته ، فيقاطع حديثنا خمس مرات في اربعين دقيقة ؟ انها زوجة الحاخام .. لقد فارقها الاجتماع بالوفد العربي الفلسطيني . وان الامر خطير ان يجتمع يهودي الى وفد عربي ! . وهي تسمع نغمة الصهيونيين : ان العرب قوم يقضون وقتهم في الثورات والقتال والوان العنف . فكيف تستطيع ان تطمئن على حياة زوجها الحاخام ، وهو بين ايدي جماعة من العرب القادمين من موطن الثورة ، وزوجها يريد ان يتحدث الى الوفد في الموضوع الذي جاؤا للدفاع عنه ؟ لذلك كان لا بد لها الا ان تطمئن تليفونياً ، وتتأكد بعد مرور كل بضع دقائق ، انه لا يزال على قيد الحياة ..

تلك آثار الدعارة المعكوسة السلبية، والاتهامات الباطلة التي يوجهها الصهيونيون الى عرب فلسطين. انهم افتروا اكاذيبها، ولكنهم كانوا هم انفسهم اول المصدقين بها...

دعاوات الصهيونيين بين العرب تنوّر ولا تثمر

كانت تربطني مع المرحوم نعوم مكرزل، صاحب جريدة الهدى بنيورك، صداقة دون ان تكون بيننا معرفة شخصية. وقد توطدت هذه الصداقة فيما بيننا رغم اختلاف المبادىء السياسية. وما كاد يعلم بنبأ وصولي الى بريطانيا العظمى عام ١٩١٣ حتى ابرق يدعوني لضيافته في نيويورك. وبقيت احفظ لجريدة الهدى ذكرى هذه الصداقة بعد وفاة الاستاذ نعوم. فلما سافرت الى اميركا في سبيل فلسطين جعلت عنواني في ادارة «الهدى».

والمهاجرون في غربتهم، وخاصة الطبقة التي غادرت الوطن الام بنفسها ولم تولد في المهجر، لا تزال مربوطة الافئدة بالوطن، فلا يكاد يصل قادم منه، ولاسيما اذا كان معروفاً لديهم، حتى يتقاطروا للسلام عليه من كل ناحية: وكأنهم يرون فيه قطعة من الوطن تنتقل اليهم. فلا عجب اذاً اذا رأيناهم يتقاطرون من مسافات بعيدة للسلام على الوفد العربي الفلسطيني، والاجتماع اليه ومرافقته، ولا عجب ايضاً اذا ودعوه في بعض المناطق وهم يذرفون الدموع.

كنت اترقب ان يكون الاستاذ سلوم مكرزل، الذي صارت اليه جريدة الهدى بعد اخيه المرحوم نعوم، في طليعة الوافدين لملاقاتنا عقب وصولنا الى نيورك، ولكني لم اره، وقد مضى يومان، فرغبت الى الدكتور فؤاد شطاره، رئيس جمعية الجامعة العربية ان يطلبه تليفونيا لاكلمه، فقال: «ان الاستاذ مكرزل على غير رأينا في قضية فلسطين، ولا سبيل لاقناعه».

ولما اتصلت به ، تليفونياً . كان اول ما خاطبني به ان اعتذر لي عن تأخره بالزيارة لانه منصرف الى تنظيم حفلة افتتاح القسم اللبناني في المعرض الاميركي . وانه سيزورني مساء ذلك اليوم في الفندق .

على ان الكلمة التي قيلت عن الاستاذ مكرزل لم اعجب منها ، ولم اجد فيها غرابة ، بالرغم مما اعلمه عن وطنية الاستاذ واخلاصه . لاني غادرت الشرق العربي وآثار الدعاوات الصهيونية فيه لا تقتصر على فئة دون اخرى ، بل شملت بعض الحكام و بعض المحكومين ، في فلسطين وفي سواهـا ، مسلمين ومسيحيين على السواء . وبت اتوقع تأثير هذه الدعاوات في المهجر تأثيراً اشد من الوطن ، وخاصة ان بعض الساسة الاجانب كانوا يتعهدونها بالعناية ، ليس حباً بالصهيونية ، وانما قصد التفريق بين ابناء الوطن الواحد ، سواء كان ذلك في الشطر المقيم ام الشطر المهاجر .

الم تكن في فلسطين فئة من الاسر الكبرى تتطوع لتأمين الوطن القومي اليهودي ؟ ثم الم يكن في البلاد العربية الاخرى فريق ، ليس قليلاً ، يفسر وعد بلفور بانه ليس اكثر من السماح لليهود ، الذين لاوطن لهم بالهجرة الى فلسطين موطن اجدادهم لاتخاذها وطناً كغيرهم من المقيمين فيها . وهم اذا وفدوا اليها بأموالهم ومعارفهم تمتعت بالثروة والرخاء ؟

على ان هذه الفكرة التي راجت ايضاً في لبنان اشد رواج [1] ، رافقتها فكرة اشد خطراً واكثر شؤماً . فقد بدا لبعض رجال الساسة في ذلك الوقت ان يعملوا على التعاون بين القائلين بجعل لبنان وطناً فينيقياً وبين الذين يريدون جعل فلسطين وطناً صهيونياً ، ليكون من وراء هذا التعاون تحقيق الامنيتين وتوثيق عرى التحالف بين انصارهما . وقد أمّ فلسطين عام ١٩٣٥ اثنان من

(١) في الفصل الخامس من هذا الكتاب بحث عن تطور موقف لبنان من الصهيونية

رجال الدين واجتمعا الى الدكتور وايزمن لاجل هذا الموضوع. ولا اذكر اسماءهما تأدباً في حين ان لدي وثيقة خطية تثبت ذلك . كما ان وفداً من الصهيونيين رد الزيارة في لبنان. ثم انتقلت المفاوضات هذه الى عاصمة فرنسا حينما كان السيد ليون بلوم اليهودي على رأس مجلس الوزراء ، و اثناء ما كان الاستاذ اميل اده رئيس الجمهورية اللبنانية وقتئذ زائراً باريس. وربما اشترك فيها ايضا زعيم من زعماء احبار لبنان كان قد قصد الى فرنسا في ذلك الحين. وقد ظهرت آثار هذه المفاوضات ظهوراً لا يزال يذكره القراء ولا خير في اعادة ذكراه. ومن ذيولها تلك الفضيحة ، التي افشتها الصحف ، المتعلقة بمؤامرة الحكومة وقتئذ مع الصهيونيين على شطر كبير من لبنان الجنوبي ، وتسهيل بيعه لهم بطرق مستورة.

كل ذلك حدا ، بالمرحوم المطران غريغوريوس حجار مطران الروم الكاثوليك بفلسطين ان يوجه وقتئذ حديثا للبنان في جريدة الصحافي التائه يقول فيه : « فأنتم في لبنان مخدوعون بامر الصهيونية لا ترون فيها غير المال الذي جاءت به الى بلادنا ، ولكن مال اليهود باق لليهود » . الى ان يقول : « وهل تعتقدون ان الشعب الفلسطيني وصل الى هذه الحالة من الحماسة والتضحيات وركوب الاخطار الا بعد ان استولى اليأس عليه تماما ، ولم يعد يجد منفذاً سلميا يخرج منه ؟ وهل تعتقدون ان في فلسطين غير الشقاء والفاجعة اليوم . ومع هذا فانتم في لبنان ما تزالون تعتقدون ان وجود اليهود عندنا ثروة لنا ، وبينكم من يتغنى بهم ومن احباركم الاجلاء من ياخذ جانبهم .. الخ » .

وفي الواقع ، ما كانت تلك التجربة ، التي افلت منها لبنان ، الا وليدة الدعاوات الصهيونية المنظمة واذاعاتهم المغرية التي وجدت قلوباً متأهبة عند انصار الفينيقية فتمكنت فيها . ولا نقول اهوالهم ...

. . .

مرت هذه الذكريات في خاطري ،قبل ان ارد الزيارة لجريدة الهدى ، ولجمعية الجامعة اللبنانية فى نفس البناية،لذلك ما التقيت بالاستاذ سلوم مكرزل حتى فاجأتــه بما لم يكن مستحسنا ان افاجئه به . قلت له : «اذا كنت في ريب من اضرار الصهيونية في لبنان فانا اود ان اتناول هذا البحث معك ، فاذا اقتنعت مني تلطفت بمظاهرة الوفد العربي الفلسطيني،واذا اقتنعت انا بفوائدها فعليّ قسم ان اقفل عائدا من نيورك الى الوطن» .

فقابل الاستاذ مكرزل هــذه المفاجأة بيسمة ناعمة وبهدوء طبيعي فيه ، يشير الى الرزانة ،وقال : « لقد اساؤا فهمي إذ زعموا اني غريب عن الشعور الذي يغمر افئدتكم،ومع ذلك فاني اود ان اسمع اليك تتكلم في الموضوع.»

ثم اتفقنا على ان يكون موعدنا في الفندق . وفي الموعــد المعين جاء الاستاذ مكرزل ،يرافقه بعض اخواننا اللبنانيين . وكنت انتظر انصراف الجمهور الذي كان يملأ القاعــة لاتناول الحديث معه على انفراد . غير ان الاستاذ لم يأبه لوجود الزائرين ، وانما اشار امامهم الى سبب الاجتماع ، والى ما نحن عليــه من الوعد . فطفقت اتكلم نحو ثلاثين دقيقة مستنداً الى الاحصاءات والارقام التي اعددتها . وكانت الاسئلة تقاطعني ، مستفسرة من قبل الاستاذ مكرزل او معارضة ، ولا سيما من السيد فوزي البريدي [1] فأجيب عليها . ولما انتهيت من كلمتي كنت شديد الاعجاب بموقف الاستاذ مكرزل الذي وافق على ما ذكرت ،واقتنع بما قدمت ،وقال : « كلا ، ان نعود الآن للوطن ،فنحن معك وبحاجة اليك » .

---

(١) الاستاذ بريدي يصدر الآن جريدة الاصلاح ، وهو في عداد مديري الصحف العربية التي وجهت برقية احتجاج على تصريحات المونسنيور انطون عقل في امبركا ، وقد اتتنا الانباء بانه على نية العودة للوطن فاهلا به .

وهكذا ، كما كانت جريدة البيان والنسر ومرآة الغرب والسمير في نيورك وبروكلن وغيرها من الصحف العربية في البلاد الاميركية الاخرى ، تؤيد الوفد كل التأييد ، فان جريدة الهدى اصبحت منارة تضيء امامه السبل ، وخاصة في الاوساط التي تهتدي بهديها ، واصبح صاحبها الاستاذ سلوم مكرزل ضمانة قوية لقضية فلسطين . فقد كان اشد الخطباء حماسة واندفاعاً في الحفلة التي أقامتها الجالية العربية يوم ٧ كانون الثاني ١٩٣٩ في نيويورك لوداع الوفد .

ولولا ان جريدة الهدى كانت تسبق الوفد الى اوساط الجالية وتبشر بمهمته لوجد صعوبات وعراقيل في استئصال آثار الدعاوات الصهيونية في بعض هذه الاوساط التي تعتمد على هذه الجريدة الغراء .

انا لا اشك بان الاستاذ سلوم مكرزل كان من رأينا في قضية فلسطين ، ولئن صح ان السياسة الاجنبية والدعاوة التي تزين الباطل تركت في اجتهاده بعض الاثر ، فكان من اسهل الامور محو ذلك الاثر بحديث قيل باخلاص وصدق ، واستمع اليه باخلاص وصدق . وكل المهاجرين حريصون مثله على معرفة الحقائق والتمسك بها . وقد حدثتني الجليلة السيدة هدى شعراوي في صيف ١٩٤٤ في بيت مري - لبنان ، انها هي نفسها كانت ، قبل ان تتعرف الى النتائج الوخيمة التي وصلت اليها المطامع الصهيونية ، لا ترى بأساً من ايوائهم والعطف عليهم . يحملها على الاعتقاد بذلك انهم اخوان لنا في الانسانية مضطهدون مشردون ... ومثل السيدة شعراوي ، وهي المعروفة بمواقفها النبيلة في ميدان كفاح الصهيونية و الدفاع عن حقوق عرب فلسطين ، كثير من رؤوس العرب ووجوههم لم يكونوا يرون في اقامة الصهيونيين في فلسطين سوى نوع كريم من الضيافة نقدمه لطريد متشرد ... ولكن هذه الاباطيل اندثرت وظهرت الحقائق واضحة ناصعة . وها هوذا لبنان مذ خرج

من نفوذ السياسة الاجنبية وبدأ يتمتع بالاستقلال ، قد اعلن بلسان رئيس جمهوريته وحكومته وفي المجلس النيابي محاربته لوعد بلفور هازئاً بالنعم والخيرات التي بشروا بها عندما يتحقق الوطن القومي الصهيوني ، ويبشر بها احد الاحبار .

دعاوات الصهيونيين المستمرة تغمر مساعينا المتقطعة

ومن الدعاوات التي تلقاها الوفد العربي الفلسطيني دعوة ملحة موجهة اليه من الجامعة العربية في جزيرة كوبا ، تقول فيها الجالية : «ان كوبا حكومة وشعبا تترقب الاستماع الى الوفد في موضوع العروبة ، ورأيه في القضية الصهيونية .» فرأى الوفد من الواجب عليه بعد ان انتقل من ولايات اميركا الشمالية الى ولاياتها الجنوبية ان يبحر الى كوبا .

وقد سرنا ان نلقى الجالية السورية اللبنانية منتشرة ايضا في ولاية فلوريدا ، وخاصة في بالم بيج وميامي ، حيث تزدحم اقدام الاميركيين وعظامهم في وسم الشتاء . وبعض افراد هذه الجالية مقيم اقامة دائمة في هذه الولاية ، وبعضهم يتخذها مشتى لهم للنزهة ، وهرباً من البرد القارس . وأتاحت لهم كثرتهم ان يكون لهم مطعم خاص في فلوريدا اسوة في مدن اميركا الكبرى .

تركنا مدينة سنسيناتي اوهايو قبل ايام مغطاة بالثلوج ، فاذا بنا في فلوريدا نستقبل شهر آذار في مصر ، ونرى الشواطىء تعج عجيجاً بالمستحمين في البحر .

وقد قيل لنا ان السبيل الى كوبا ، اما ان نبحر من ميامي فلوريدا مباشرة ، واما ان نواصل السير بالسيارة الى جزيرة «كي وست» وهي تبعد سبعين ميلاً . ثم نستقل منها الباخرة الى جزيرة كوبا . فظننت محدثي هازلا . كيف نواصل السير بالسيارة الى جزيرة كي وست ؟ ولكن ما اسرع ما زال عجبي ، عندما قال اني ما عنيت ان السيارة تستطيع ان تطفو على سطح الماء حتى تصل الى

الجزيرة ، ولكن الحكومة وصلت ما بين الجزيرة وما بين البر بجسر عظيم لا مثيل له حتى اصبح بوسع المسافر الى كوبا ان يختصر طريق البحر للوصول الى كي وست .

قلت : وما هي الغاية من عمل جبار كهذا ، خصوصا وان هذا الجسر الذي يمتد اكثر من مائة كيلو متر يكلف اكثر من قيمة الجزيرة نفسها . وهي تكاد تكون كجزيرة ارواد في بحرنا ؟ فقال : « ربما كانت الغاية ان يوجد في الولايات المتحدة عمل معجز يمتاز عن الاعمال الجبارة الخارقة في سائر العالم ، وربما كانت الغاية ايضاً تشغيل الايدي العاملة » . واجتزنا طبعاً طريق الجسر الى كي وست لنطلع على احدى اعاجيب الدنيا ، ثم ركبنا الباخرة كوبا الى (هافانا) .

ولسنا هنا بمعرض تبيان ما لقيه الوفد من رائع الترحاب من قبل الجالية العربية في الجزيرة وجميل اكرامها ، ولا تفصيل الحفلات التي اقيمت له ، وخاصة حفلة الجمعية الفلسطينية العربية ، وحفلة الجمعية اللبنانية ، ومحفل شهداء العرب الذي انتخبني منذ عام ١٩٣٢ رئيس شرف له ، ولكن القصد ان اذكر ما كان للوفد بين الكوبانيين انفسهم من رعاية واكرام وحفاوة ، وما ترك في نفوسهم من تأثير عندما فهموا قضية فلسطين على وجهها الصحيح ، ثم كيف انقلبوا حينما تعهدهم الصهيونيون بدعاوة مستمرة .

وقد ساعد على تيسير مهمة الوفد اني لم اكن غريباً عن هذه الجزيرة : فقد كنت على اتصال مع عظماء البلد وساسته قبل هـذا الوقت ، وانتخبت سنة ١٩٣٢ ممثلاً اعظم للشرق الماسوني الكوباني في الشرق الادنى ، وهو يضم خيرة رجال كوبا وساستها . فكان بين مستقبلي الوفد في هافانا عدد غفير من رجالات البلد ، ثم جاء كثير منهم لزيارته والتحدث معه ، مثل كارلوس شوكا احد اركان البحرية الكوبانية ، والدكتور كبريال لانداشاوو نائب هافانا ،

وسكرتيره برنابا تروبا ، والدكتور فرنسيسكو لوريا برتوت احد النواب ، والدكتور ارتورو راميرز محرر جريدة الكرتليز . وأفسحت الجالية الكريمة المجال لتعارف الوفد مع غيرهم من رجالات الحكومة والقضاء والمعارف بأدبة انيقة اقامتها لهم في ناد من نوادي العاصمة الكبرى .



ذكرى زيارة المؤلف لنادي الجمعية اللبنانية في كوبا . ويظهر السيد اميل فرح رئيس الجمعية تحت الارزة

قضى الوفد عشرين يوماً في الجزيرة الخضراء ، وهو على اتصال دائم بالجالية ورجالات البلد مبشراً بالقضية العربية ومظهراً وجهة العرب في المشكلة الفلسطينية ، داعيا الى كفاح الصهيونين . فكان يستقبل بالبشر والقبول وتتسابق صحف كوبا الى نقل احاديثه واخباره . واتاحت لي محطة الاذاعة اللاسلكية في هافانا .B.M.G فرصة التحدث عن فلسطين باللغة العربية ، فاذا بهذه

الصحف تترجم فوراً خطابي وتنشره في صدرها . وما غادر الوفد الجزيرة عائداً الى ميامي فلوريدا في طريقه الى المكسيك الا واصبح اهلوها يشاطرونه عواطفه ويرون رأيه في وعد بلفور .

ثم اتى على ذلك حين من الدهر انقطعت خلاله اوصال الدعاوة العربية المنظمة في الجزيرة ، بينما ان اليهود تعهدوا قضيتهم بين اهليها بالعناية . فاذا بنا نقرأ من عهد غير بعيد برقية صادرة عن هافانا تقول : « يزور البلاد الان الادون بسترتسكي مندوب صندوق شراء الاراضي في فلسطين . وقد قابل عدداً من الوزراء فاعربوا له عن عطف الحكومة على الصهيونية، واعرب زعماء الحزب الشيوعي عن عطفهم على الصهيونية، وقد كانوا حتى الان معادين لها . » وتفيد البرقية ان قد عقد اجتماع في المسرح الكبير حضره ١٦٠٠ شخص، وخطب فيه الادون بسترتسكي عن اعادة بناء فلسطين، كما خطب وزير العدل والدفاع ، واتخذ المؤتمر قرارا بالمطالبة بالغاء الكتاب الابيض .

ليس في هذا الانقلاب، في الواقع، موضع للغرابة وان كان يؤذن بكسب اليهود كوبا وانتزاعها من جانب العرب ، اذ ان الدعاوة اكثر موضوع اذا توقفت وانقطعت تساقطت اثمارها الدانية مثلما تتساقط اثمار الشجرة التي ينقطع عنها الري . واذا كانت الدعاوة المنظمة من شروط النجاح فالمواظبة عليها شرط من الشروط لاستمرار انتاجها .

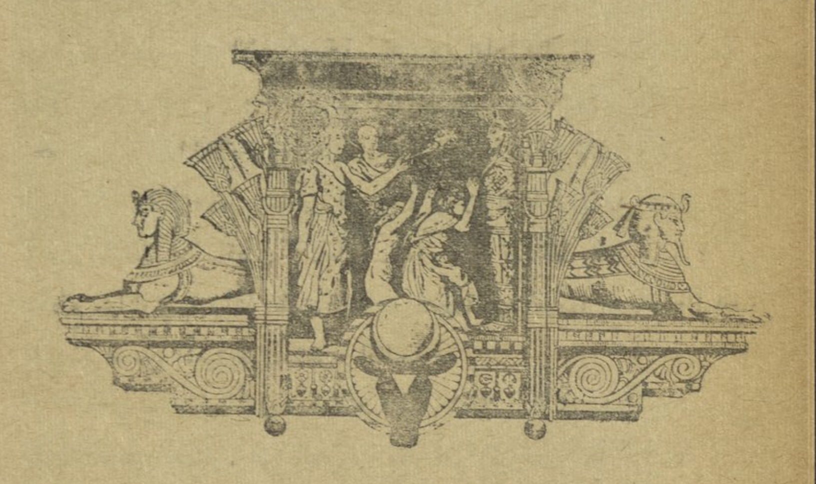
والذي يبدو غريباً في هذا الخبر ذلك الانقلاب الذي حدث بين شيوعيي كوبا فاصبحوا يعطفون على الصهيونية بعد ان كانوا اعداء لها . يبدو غريباً لان الصهيونين وقفوا موقف العداء ازاء المبدء الشيوعي ، وتنادوا لنضاله ؛ ولكن لا تعجب فقد اوفد الصهيونيون للجزيرة رسولا ، اذا لم يكن من اصل روسي ، فهو على الاقل يعرف كيف يكتسب الشيوعيين ، ويجعل من

العدو صديقاً بالدعاوة المؤثرة ·

ومن المؤسف اننا ،نحن العرب ، نقوم بالدعاوة ،او نتحفز للمقاومة تحت تأثير ظروف خاصة وضغطها ، نفعل ذلك ارتجالا ، ثم اذا زال اثر تلك الظروف عدنا الى صمتنا الطويل فنخسر ما امكننا اكتسابه حين قمنا بالعمل ·

وهكذا كان التنظيم والثبات يتغلبان حتى الان في كل مكان على الدفاع الارتجالي · ولولا انه لا يصح ايراد اسم الاسد لمناسبة الصهيونين لتمثلنا بقول الشاعر ·

ومن رعى غنما في ارض مسبعة   وغاب عنها تولى رعيها الاسد



هيكل مصري قديم يحلم الصهيونيون باقامة هيكل سليمان على منواله مكان المسجد الاقصى

الفصل السابع

هل الاميركان خصوم العرب ؟

الاميركان اقرب الينا مما تصورهم ساستهم – اعداء اليهود في امريكا .

هل الحكومة حريصة على تقاليدها ؟

•

الاميركان اقرب الينا مما تصورهم تصريحات ساستهم

لقد « افلتت الولايات المتحدة من ايدينا » هـذا ما يتخيله العربي حين يقرأ انباء تلك البلاد حاملة اليه ممالأة ممثليها السياسيين للصهيونيين ، وتأييد رجال الدين لهم ايضاً . وهذا مايبدو له حينما يجدهؤلاء واولئك يتعدون ، في مؤازرتهم ، وعد بلفور ، الذي نص على انشاء وطن قومي صهيوني في فلسطين ، الى المطالبة بجعل فلسطين بكاملها وطنا قوميا لليهود . وهذا ما يتأكد لديه حينما تطلع علينا انباء واشنطن في ٢٠ – ١٢ – ١٩٤٥ قائلة بان مجلس النواب

الاميركي وافق على قرار مجلس الشيوخ بفتح باب الهجرة حتى اقصى ما تحتمله فلسطين ، متجاهلين كلا من وعد المرحوم روزفلت وتصريحات الرئيس ترومان، ومستبقين مقررات اللجنة الاميركية الانكليزيـة التي وافقت على انتدابها حكومة اميركا لدرس قضايا اليهود في العالم وفلسطين .

والواقع ان الشعب الاميركي هو غير ما تصوره لنا تصريحات هؤلاء الساسة . هو اقرب الشعوب لتفهم قضيتنا ، واكثرهم استعدادا للعطف عليها ، ولا سيما لان موقفنا من اليهود يشبه كثيرا موقفه منهم ، وهو الى ذلـك يشعر بما نشعر به من خطرهم .

وما اكثر ما ايدت الوقائع القول بان الاميركان سرعان ما يصبحون من اشد المدافعين عن العرب مذ تتاح لهم فرصة الاطلاع على وجهة نظرنا .

واذا عدنا بالذاكرة الى الحرب العالمية الاولى ذكرنا مواقف المرحوم المستر هوردبلس رئيس الجامعة الاميركية وقتئذ في باريس واوروبا وامريكـا ، ودفاعه المجيد عن قضايانا . ثم ذكرنا ايضاً كيف ان لجنـة كينج — كرين الاميركية التي امت بلادنا للتحقيق خرجت منها وهي تكاد تتعصب لحقوق العرب ولفلسطين .

كما ان كل من ساقتـه الظروف من بعد للمجيء الى الشرق العربي من الاميركيين ، سواء أكان من الساسة او من الاقتصاديين ، لا يلبث ان يأخذ بوجهة نظر العرب ويدافع عنها . وما ذلك الا لان الاميركيين ديموقراطيون بالفطرة ، واذا ما اتيح لهم الخروج عن نطاق الدعاوات الصهيونية الشريرة اسرعوا الى الحقائق وجاهروا بها .

ولنا عهدة بالسيد ودسورث وزير اميركا المفوض في سوريا ولبنان ؛ فهو مذ هبط بيروت فالقدس ، قبل ان يصبح وزيراً لدولته ، واطلع على وجهة نظر العرب

في قضية فلسطين عطف عليها وشرع يؤيدها .

ومثله السيد لانديس من رجال الاقتصاد الاميركيين . فقداخذ فكرة جديدة عن العرب منذ نزل القاهرة خلال الحرب الماضية ، وعمل على مناصرتها .

هذا فضلاً عن غيرهما من رجال الادب : فان مجلة القافلة التي تصدرها الجامعة الاميركية في القاهرة كانت سألت ، بمناسبة تصريحات روزفلت وديوي وحزبيهما خلال الانتخابات الاخيرة في اميركا ، بعض اركان هذه المؤسسة عن رايهم في موقف الحزبين . فكان جواب الاساتذة كليلاند ، عميد قسم الخدمة العامة ، وتيدور هوسكند ، عميد قسم الصحافة ، وايرلد بلوموكويست احد الاساتذة ، الانتقاد على سياسة الحزبين ازاء قضية فلسطين بكل صراحة وامانة .

هذا ولقد كان في عداد الذين ارادوا الاتصال بالوفد العربي الفلسطيني في اميركا رجل من رجال الاعمال ، ومن ذوي الدراية والاختبار يدعى السيد فنسان بوركي ؛ وهو رئيس شركة . « عمل الاميركان كافة »[1] .

كتب السيد بوركي[2] الى جمعية الجامعة العربية في ٥ شباط سنة ١٩٣٩ يعرب عن عطفه على مهمة الوفد وتاييده له مبديا رغبته في الاجتماع الى اعضائه . ثم وجه الي رسالة في ٩ منه حول المعنى نفسه ، ودعانا فيها لزيارته . وحال دون الاجتماع به موعد مضروب لنا من قبل وزارة خارجية واشنطن . فرأى ان يكتب الي ثانية في ١٤ منه معربا عن تمنيه الاتصال بنا بعد عودتنا الى نيورك ، وشاء ان يصرح برأيه في الموضوع في الكتاب المذكور فقال : « اني اتمنى النجاح لزيارتكم ، واعتقد ان النجاح سيكون مضموناً لكم

(١) all American action

(٢) V. Burke

بصورة مجسمة اذا استطعتم اقناع الاميركان بأن قضية العرب هي قضيتهم نفسها : فكل امة تأذن بفتح ابواب الهجرة على مصراعيها يسودها قلق داخلي وينتابها الاضطراب في مختلف شؤون حياتها . وهـذا ينطبق على اميركا كما ينطبق على بلادكم . وها نحن ازاء مليونين من هؤلاء الغرباء الذين تسربوا الى البلاد بطرق غير مشروعة، وانتزعوا العمل من ايدي مليوني وطني اميركي .

لماذا يلزم الاميركيون حيالهم السكوت ؟ - الواقع انهم في حاجة الى معرفة هذه الحقائق على علاتها ، كيما نترقب منهم شيئاً من العمل في هذا السبيل . اجل ومذ تتجلى للوطنيين الاميركيين هذه الحقائق فأنهم يقابلون ذلك بالعطف الشديد على شعبكم ، وبالنقمة على هؤلاء الغرباء . وارى من الواجب لادراك النجاح الكامل ان تعتمدوا على اشخاص يتقنون اللغة الانكليزية اتقانا جيدا كالاستاذ اميل الغوري فينتقلون من جهة الى اخرى ، ويخاطبون الشعب الاميركي عن طريق الاذاعة . واني ساكون سعيداً ان استمع اليكم ما استطعت .

ولعلكم تزورون ولاية جورجيا ، وانكم ستزيدونني سعادة اذا زرتم سكرتيرنا الثاني السيد كانينكام (١)، وهو مدير مؤسسة الشباب المسيحي في مدينة اثينا جورجيا . الخ »

والسيد بوركي قد كان موفقا في التوجيه الذي اشار به على الوفد . ذلك انه أراد ان نخاطب مباشرة شعور الوطنيين الاميركيين الحساس ، فقدرنا اخلاصه، واسفنا لان خطر الحرب اضطرنا للعودة الى الوطن قبل انجاز المهمة، ودون ان تتيسر لنا مشاهدته .

والواقع ان الانباء التي ترد الينا عن الولايات المتحدة ليست تخرج عن احد امرين . فاذا كانت تتعلق برجال السياسة فهي وليدة مصالح خاصة مع اليهود . واما اذا كانت تصدر عن الشعب الاميركي فهي نتيجة دعاوات صهيونية تتوسل باسم الانسانية للهيمنة على قلوب طيبة وشعور كريم .

ولو ان العرب يعملون بتنظيم، ويبذلون بسخاء، ويقومون بجزء من هذه الدعاوات ، وفقاً لنصيحة السيد بوركي ، لاستطاعوا أن يكسبوا الشعب

---

(١) M. Cunningham

الاميركي بشكل تأكيد ، بل لاستطاعوا ان يقاوموا صندوق الوكالة اليهودية بأموال يتبرع بها الاميركيون انفسهم بكرم .

هل نتغلب بدعاوتنا على دعاوة الصهيونيين باميركا ؟

هذا سؤال ربما تردد في نفس كل قارئ ، وربما كان جوابه العفوي : « لا ... » دون تردد . ذلك لان الصهيونيين اغنى منا واشد استعداداً ونشاطاً . وهم الى هذا سيثيرون دعاوة اشد كلما حاولنا نحن ان نقوم بدعاوة ضدهم .

كنت اتوهم ذلك قبل ان اسافر الى اميركا . ولكن هذا الوهم قد زال بتاتاً من نفسي بعد ان اختبرت هذا الموضوع اختبارا عمليا .

وكم كنت اعد نفسي موفقا حينما اراد اديب مصري مساعدة الوفد في مهمته ، فزارني في اوتيل كونتيننتال بالقاهرة ، وقدم لي رفيقاً له اسمه السيد روبرت كارسون [1] ، وهو استاذ في الجامعة الاميركية هناك .

كنت اعد نفسي موفقا لاني كنت قبل مغادرة البلاد اتهيب مجابهة الصهيونيين في اميركا ، فاذا بالاستاذ كارسون يتطوع ويكتب الى رفيق له في نيورك اسمه السيد رايت كيما يكون للوفد العربي الفلسطيني عونا على مهمته . والسيد رايت هو اختصاصي في فن الدعاوة . فتنفست الصعداء ، وبالرغم من ذلك فقد ظللت اخشى من الصهيونيين ان يحاولوا منعنا من دخول اميركا . ولما هبطنا باريس همست في اذن الاستاذ الصديق توفيق وهبه ، الذي كان مقيما فيها ، انني لا اود الاتصال بمراسلي الصحف خشية ان تكون الضجة في فرنسا حافزة لصهيونيي اميركا ان يعرقلوا سفرنا . وامتنعت عن الادلاء بأي حديث

(١) R. Garson

عن مهمة الوفد للصحفيين .

ولكن اذا حاولنا ان لا تصل انباء الوفد الى الصهيونيين ، فهل نستطيع ان نخفي السر عن الصحافة ؟ كلا لم تكد الباخرة ، نيويورك ، تلج مرفأ نيويورك ، يوم ١١ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، وقبل ان تقوم بالمعاملات التي تجيز لراكبيها النزول منها ، فاجأني رجل قائلاً : « انا مراسل جريدة نيويورك تايمس ، هل تتفضلون بحديث عن الوفد ومهمته ؟ » فقابلت هذه المفاجأة بشيء من الدهشة والعجب ، وحاولت ان اسلك سبيل التجاهل ، فكان يسد عليّ الطرق دون جدوى ، وابى ان يفارقني . واخيراً وعدته بحديث لدى وصولي الى الفندق في المدينة ، فلم استطع الخلاص منه الا بعد تدخل سيدة اميركية عائدة الى وطنها ، وآنسة انكليزية جاءت مع وصيفتها لزيارة اميركا ، وكنت اتحدث معهما حين فاجاني المراسل ، فانقذتاني من الحاحه .

لم اكد ابلغ « ماك البن » اوتيل حتى وافانا مراسل آخر من جريدة نيويورك تايمس فقدمت له الحديث الوافي ، وقد نشر في اليوم التالي حيث دعتني احدى اذاعات نيويورك فتكلمت مبشراً بمهمة الوفد . ثم غمر الفندق جيش من المراسلين والمصورين . وبالرغم من حرصنا على اثارة الدعاوة للوفد وللقضية التي جاء من اجلها ، فاننا تململنا من تضييقهم علينا في ساعات الفراغ ، وساعات العمل على السواء . ولم يختلف ما رايناه في نيويورك من الصحافة عما رأيناه في كل مدينة اميركية نزلناها .

حينئذ زال التردد الذي كان يساورني عند السؤال : « هل نستطيع التغلب على الصهيونيين ؟ » وكان الجواب عليه باطمئنان : « لا شك اننا نستطيع ان نقوم بدعاوة تضاهي دعاوتهم » . وكانت هذه العقيده تزداد توثقاً كلما مضت الايام علينا في اميركا .

وبالرغم من ذلك فلم اتردد عن ارسال الكتاب الذي زودني به الاستاذ روبرت كرسون بالقاهرة الى صديقه الاميركي السيد رايت مدير احدى دوائر الدعاوات . وسرعان ما زارني في الفندق ودخل في صميم الموضوع : وهذا ما دار بيننا من الحديث :

– كم انتم مستعدون ان تؤدوا لي بدلا عن الدعاوة التي تقوم بها للعرب بفلسطين؟

– وكم انت تقدر هذا الاجر ؟

– انني كلفت اخيراً للقيام بدعاوة للمصايف في ايطاليا لقاء مبلغ كذا مليون لير . فلما طرق مسمعي ذكر الملايين ختمت البحث، ووعدته خيراً بعد ان ندرس القضية مع سائر اعضاء الوفد وجمعية الجامعة العربية .

ومع ذلك فما شعرت بخيبة او بيأس لاني ايقنت ان التبشير لقضيتنا ليست بحاجة الى شركات كهذه ، وهي ، فوق ذلك ، تتمتع بقوة تستطيع بها ان تتغلب على اباطيل اليهود شرط ان توجد مؤسسة تشرف عليها وتتعهدها بالرعاية والتنظيم .

والسبب في ذلك يعود الى امرين :

اولا : اصبحت مزاعم الصهيونية نغمة قديمة لدى الاميركيين وهي ، وان كانت تتخللها معارضة معاكسة ضعيفة نسبياً يقوم بها بعض افراد الجالية العربية المتعلمين ، الا ان الدعاوة اذا قام بها الجانب العربي على نحو منظم واسلوب واسع وجذاب وعززها بالوفود ، فانها تعتبر جديدة . والاميركي مغرم بكل جديد فيقبل عليها ويغذي نشاطها بهذا الاقبال . وللوفود تأثير عظيم لانها تعتبر حركة جديدة في الاوساط التي تزورها ، ولكل جديد لذة .

ثانياً : ان الشعب الاميركي ، على غير ما يبدو لنا من تصريحات بعض ساسة الولايات المتحدة فهو لا يعطف على الصهيونية ، بل انه يستثقل ظل اليهود، ويكرههم لانهم لا يزالون يتكتلون ، خلافاً لكل العناصر الاخرى ،

تكتلاً دينياً ضمن مجموعة العناصر التي اصبحت اميركية ، فيكبر على الاميركيين ان يسمعوا الحاخام الاكبر وايز في نيويورك يقول : « انا يهودي من ثلاثة آلاف سنة ، ولكني اميركي منذ ستين سنة فقط » .

كتب السيد روبير براز يلاخ مقالا في مجلة جوسوي بارتو الباريسية جاء فيه : «يحاول بعض المفكرين، ولا سيما الماسون، ان يقربوا الى الاذهان ان الانسان يستطيع ان يكون يهودياً صهيونياً وافرنسياً في وقت واحد، ولكن هذه النظرية خاطئة : فاليهودي يهودي قبل كل شيء ، والصهيونية في نظره مرادفة للقومية سواء أكان في فرنسا ،ام في روسيا . من هنا نفهم لماذا يضطهدون اليهود » .

والاميركان يتولاهم الضيق والالم من هذه الكتلة التي لاتزال شبه غريبة، والتي تزاحم الاميركيين على مرافق الثروة، وتقبض على زمام كثير من الموارد والمؤسسات الفعالة : كالصحافة والاذاعة والطباعة وغيرها . بل ان الاميركان اذا رأوا ناطحات السحاب في مانهاتان بنيويورك احسوا بوخز في افئدتهم غير محبوب .

ولا شك ان الاميركيين ، تحت تأثير هذين السببين وغيرها يقبلون اقبالا شديداً على الدعاوة العربية الموجهة ضد الصهيونية . فقد بلغ من شدة اقبالهم على الوفد العربي الفلسطيني ان ساهمت الصحف والاذاعات لنشر اخباره ومحاضراته . ولا تدهش اذا علمت ان بعض هذه الصحف وبعض هذه الاذاعات يديرها ويملكها يهود . ولكنهم يفعلون ذلك ليقدموا الى القراء والسامعين شيئاً جديداً يشترون به رضاهم ويغذون به ميولهم . فهي مؤسسات تجارية تسعى نحو النجاح والاقبال ، وتريد الربح عن اي طريق . ولا مانع اذا كان هذا الطريق هو نشر ما يخالف المبادىء الصهيونية .

وقد استغللنا ، نحن بدورنا ، مصلحة هذه الصحف اليهودية في الناحية التجارية ، وسخرناها للدعاوة لوجهة نظرنا . فنقلت اخبار الوفد واحاديثه .
وزرت يوماً جريدة نيورك تيمس مع المرحومين الدكتور شطاره والاستاذ فؤاد مفرج . وكانت الغاية من هذه الزيارة الاحتجاج على ما تنشر الجريدة ضد عرب فلسطين بقلم مراسلها في الشرق الادنى السيد جوزيف ليفي . فتقبل السيد ارثر هيز سالز برغر ، رئيس تحرير الجريدة واحد اصحابها ، انتقاداتنا . ولكن ، مع اعرابه عن ثقته بالمراسل ، اقترح علينا ان نتقدم الى تصحيح ما ينشره في الجريدة ، ووعد بان يفتح صدرها لكل تصحيح او تصريح . وقد برّ بوعده ونشر لي ما بعثت اليه خلال وجودي هناك من التعليق والتحقيق تباعاً .

اقبال الاميركان على التطوع للدفاع عن فلسطين .

تهافت غريب من الصحف على اختلاف نزعاتها للحصول على احاديث الوفد واخباره . ومرد ذلك الى اقبال الاميركيين على استماع وجهة نظر العرب في قضيتهم ، ولا سيما فيما يتعلق بفلسطين .

وهذا الذي كان يلقاه الوفد ويراه يزداد يوما بعد يوم كلما انتشرت اخباره واحاديثه ، والى ذلك كان يغتبط بالتفاف المهاجرين الكرام حوله التفافاً لا يقتصر على السوري والفلسطيني ، بل يشمل كل عربي وفي طليعتهم اليمني والمراكشي ، ويتعدى ذلك الى الشرقيين عموماً وبعض الغربيين . وخصوصاً اهالي شرقي اوروبا . ثم لا يلبث الوفد ان يصافح كتلة من الاميركيين تعاقدت على تاييد العروبة ، وهي مشهورة بانصار العرب . وقد ادت هذه الكتلة لفلسطين ، ولا سيما من حيث تعزيز وجهة نظر العرب ،

فضل الخدمات .

دعانا المرحوم الدكتور فؤاد شطاره رئيس الجامعة العربية لتناول طعام الغذاء في نزل « ماك الپن » مع فريق من هؤلاء الانصار لمناسبة اعتزام احدهم السفر الى البلاد العربية وزيارة جلالة الملك عبد العزيز بن سعود ، فكان هذا الاجتماع واسطة التعارف بهم ، والاستفادة من توجيهاتهم .

ورئيس هذه الجمعية السيد اليهو كرانت عالم اثري وضع كتابا عن القضية الفلسطينية ترجمه الاستاذ منير البعلبكي في بيروت باسم « حاضر فلسطين » . وقد وجه الي رسالة مؤرخة في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٣٩ صور فيها اندفاع الاميركان للتطوع في جبهة العرب ، ولا سيما في القضية الفلسطينية . وبعد الاعراب عن سروره بالاجتماع الى الوفد قال :

« قرأت رسالتك في « النيورك تيمس » صباح هذا النهار . وهي تقوم على دعائم متينة . وكم كنت اود لو تستطيع ان تعد جواباً لكل حديث يصدر عن يهودي او بريطاني لنخلق في الجمهور استعدادا لانتظار الرد على كل افتراء ردا مستندا الى الحقائق ، داحضا كل افتئات يقوم به الفضوليون وهم على ضلال . انهم يتعلمون بهذه الوسيلة ان يكونوا اكثر صدقاً ، وربما اوفر رحمة ... ان صديقي مستر مانفرد كولتفريد (١) محرر مجلتي « تايم » « وفرتشين » يكون سعيدا بان ينشر لك ما تريد ، وبان يجتمع اليك .

وبعده فلعل آسيا الغربية تخرج نظيفة ، وقد ابدأ ذراعين نظيفتين لانقاذ اوروبا من جديد ، كما انقذتها مرة من قبل الثقافة العربية مضيئة العالم ، فاعادت الينا ارسطو والفت بنا في احضان العلم الحديث . ولتتحد الرحمة بالحقيقة ، بل فلتحكما في وقت واحد معاً . »

وقد جنينا خير الثمرات في اميركا من انصار العرب هؤلاء ، فقدمونا الى زملائهم في العقيدة والاتجاه ، واوصوا بنا معارفهم النافذين ، واخص

---

(١) Manfred goltfreid

بالذكر هؤلاء الانصار السيد هاري سنيدر [1] الذي زودني بتوصيات الى بعض رجال الكونغرس ورؤساء المعاهد العلمية في واشنطن ، وقد ضفته يوماً فما انسى حفاوة صغاره الاطفال حين الوداع يلوحون بايديهم قائلين « عد ثانية . »

على ان المعاونة التي اسداها الينا الاميركان لم تقتصر على أنصار العرب المتكتلين ، بل لم نكد نبرز للميدان حتى ألفينا بين هـذا الشعب الكريم انصاراً للعرب ولفلسطين لا يحصون ، ولم يكونوا بالحسبان . وتكدست امامنا الرسائل والبرقيات ، وتواترت علينا الاشارات التليفونيـة ، وكلها من رجالات الاعمال المعروفين فضلاً عن رجال السياسة ، يسألون عنا راغبين بمعرفة شتى التفاصيل عن مهمتنا ، ومعلنين احيانا انهم من انصار القضية التي جئنا للتبشير بها . وكثيرون منهم كانوا يدعوننا لزيارتهم حيث يقيمون في المدن المختلفة .

وكان بودنا ان نتوسع في موضوع هؤلاء المتطوعين لقضيتنا من الاميركيين ، وان نستعرض بعض اقوالهم ولكن المجـال لا يتسع للتطويل ، فنكتفي بما سيرد عنهم في الفصول التالية .

ولكن الذي لا يفوتنا ذكره هنا التنويه بان لنا انصاراً بين الاميركان ، كما لنا بين غيرهم ، كثيري العدد اقوياء يمكننا أن نلقى كل تعزيز من لدنهم ، وذلك ان احسنا الجهاد ، واعتمدنا على الدعاوة المنظمة لقضايانا .

كيف نكسب الاميركان بسهولة ؟

القاضي وليم ب . براون من كبار قضاة الولايات المتحـدة ، وقاضي منطقة مدينة كران رابدس في ولاية مشيغن . ارسل اليه السيد يوسف

---

(1) Hary Snyder

نجم ، احد وجوه مهاجرينا في تلك الولاية ورجالها القديرين ، رسالة يوم ١٧ كانون الاول من عام ١٩٣٩ ، وجهها اليه متطوعاً بدافع الغيرة ، ووقعها بالنيابة عني وهـذا نصها .

عزيزي القاضي براون

اني جد مسرور ان تتاح لي فرصـة زيارة مدينتكم الجميلة « كران ربدس » وان ارفع اليكم جميل اعترافي وعظيم اعجـابي بأخلاقكم النبيلة لموقفكم الحيادي في الحكم بقضية فلسطين .

اسمح لي ياحضرة القاضي ان اوجه اليك شكري ، مؤكداً لك بان امة لاعضائها تفكير حر مثلك لحقيقة ان تتقدم العالم في صعيد الديمقراطية .

واني لآسف لانني لم استطع ان ابلغكم هـذه الرسالة شفويا ، على اني ارجو ان تسمحوا لي بان اذكر لكم بان اسمكم سيبقى دائما قيد الذكر ، منقوشا في قلب كل عربي يناضل في سبيل الديمقراطية التي نحترمها .

واملي كبير في ان اراك في المستقبل القريب في بلادنا الجميلة . باحترام .

عن السيد جميل بيهم رئيس الوفد العربي الفلسطيني : يوسف نجم

وقد كتب لي السيد نجم انه اباح لنفسه ان يوجه هذه الرسالة باسمي الى القاضي براون ، ومثلها الى محرر صحيفـة « كران رابدس » يلخص له فيها الخطاب الذي القيته في كنيسة الشعب [1] بالمدينة ، ويعتذر لي لانه اقدم على ذلك دون اذن مني .

وبعد فأن في الامر باعثاً قويا دفع السيد يوسف نجم لان يوجه هذه الرسالة الى القاضي براون طافحة بالشكر والثناء . فقد وجهت الجالية العربية في مدينة « كران رابدس » دعوة الى الوفد العربي الفلسطيني لزيارتها ، واعدت له يوم وصوله بمساعي فرع جمعية الجامعة العربية وسكرتيرها السيد ١٠ س ٠ يارد مائدة عشاء فخمة في « بانتليند اوتيل » دعت اليها كبار موظفي الحكومة

(١) Peoples Church

واعيان المدينة وابناء العرب على اختلاف بلادهم في تلك المقاطعة ، فكانت الحفلة في الواقع مهرجانا عظيما للدعاوة اكثر منها مائدة عشاء على شرف الوفد.
وبعد ان تناول المدعوون الطعام تعاقب رجال الوفد، يبسطون باساليبهم المؤثرة، وجهة نظر العرب في قضية فلسطين، جاعلين الاماني العربية محور بحثهم وهدف خطبهم.

وقد لفت انظار الحاضرين ، القاضي الجليل وليم براون كبير قضاة المقاطعة ، وهو يتحفز للوقوف ويتأهب للكلام. والذين يعرفون جرأة القاضي براون وصراحته خشوا ان يتضمن خطابه تأييداً للصهيونية.

ولكن ما اسرع ما استحوذ على اعجاب الجميع عندما سمعوه يتحدث ويقول: « انني ما زلت اقضي بين الناس منذ ثلاثين عاماً ، واتوخى في حكمي العدل والانصاف ، وانني ، وقد اتيحت لي فرصة الاصغاء الى وجهات نظر الصهيونيين، طيلة الايام الماضية ، كنت احكم لهم وادعو لانصافهم.

اما الآن ، وقد تسنى لي الاستماع الى الجانب العربي ، واستوعبت عناصر رأيهم، فاني اعلن بأني قد اهتديت الى السبيل السوي ، واحكم حكماً باتاً بأن الحق كل الحق معهم ».

وبعد مضي خمس سنين ونيف على هذه الحادثة ، عادت وتمثلت امامي بارزة قوية صارخة في الآونة الاخيرة ، وكأنها تقول لي : تأمل ، انظر ، اعتبر. ذلك ان حواراً جرى بيني وبين رجل من كبار الاميركان في بيروت جعلني اذكر كلمات القاضي براون وارى فيها ذكرى وعبرة : عتبت كل العتب على الشعب الاميركي وحكومته امام الرجل لموقفهم في مناسبات شتى ، احزاباً ومجالس ، وافراداً ، يؤيدون الصهيونية وامانيها التي تقوم على الدين في عصر القوميات، وعلى الاعتداء في عهد الميثاق الاطلسي واشباهه. فقال محدثي :

رفقاً ، اذا كان لا بد من العتب فوجهه الى قومك الذين لا يحسنون الدعاية لقضية فلسطين.

والامر لا يقف عند هذا المدى ، بل ان الدعاوات التي يثيرها العرب في بلادهم – وخصوصاً مظاهرات الشوارع – يؤولها دعاة الصهيونية في اميركا تأويلاً معكوساً فتنقلب الى دعاوة على العرب ، بدلا من ان تكون لهم .

فاذا اردتم ان يثمر كفاحكم فانزلوا الى ميدان يمكن فيه ان تلتف حولكم الانصار في واشنطن ولندن . اما الضجيج ، في القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت والقدس ، فذو صدى مقلوب ولا يكتسب القلوب .»

وهذا هو الصواب الذي تجلى لنا : فلقد ألفينا الامير كان اقرب الى فهمنا مما تصوره ريشة السياسة ؛ بل ان مصلحتنا تتفق مع مصلحتهم في صعيد مكافحة هذا الاناني المستثمر الذي يتستر بالصهيونية .

في كل واد اثر من ثعلبة

كنا في نيويورك نتردد كثيراً على مكتب جمعية الجامعة العربية حيث تجتمع كل يوم الى نخبة طيبة من ابناء العروبة على اختلاف امصارهم ، ونتمتع بالاحاديث الطلية من سياسة وادب واجتماع وفكاهة .

ويجاور مكتب جريدة « السائح » للاستاذ عبدالمسيح حداد مكتب الجامعة العربية ، فيختلط انصار السياسة ، من رواد الجامعة ، بجملة الادب من رواد « السائح » ، ويتناولون القهوة العربية « المرة » التي كان يحضرها الاستاذ حداد ، ثم نتمتع بفكاهات الحاضرين العذبة ، وخاصة نوادر المرحوم الاستاذ رشيد ايوب [1] .

وبينما انا جالس مرة بينهم اذا بالاستاذ حبيب كاتبة ، سكرتير جمعية

(١) وكانت تلك الحلقة التي لا تزال حافلة في ادارة « السائح » باهل الادب لاتخلو من الاساتذة شاعر العاصي نذره حداد وامين زيدان وملحم الحاوي الشاعر الزجلي ، ومن وليم كاتسفليس حينما يهبط نيويورك ، ونسيب عريضه لما يسمح له الوقت . فضلا عن صاحب الجريدة ورشيد أيوب .

الجامعة العربية يتقدم مني ويقول لي : « ان السيد وود هاوس تلفن للجامعة ورغب الي ان ادعو الوفد لتناول طعام الغداء على مائدته » وأخبرني ان وود هاوس هذا خطيب و كاتب معروف ، وهو أحد خطباء المؤتمر العالمي للاقتصاد والنقد (١٩٣٦–١٩٣٨) واخصائي في الشؤون الاقتصادية . فتساءلت امام الحاضرين : ألم يكن من الاليق بهذا السيد ان يزورنا ويتعرف علينا قبل قبل توجيهه الدعوة ؟ فأجمع الحاضرون على وجوب قبول الدعوة لان التقاليد في هـذه الناحية ارحب صدراً منها في الشرق . ولكني ، مع ذلك ، رغبت الى الاستاذ كاتبة ان يشكره بالنيابة عنا ، معتذرين عن قبول دعوة الغداء ، على ان نزوره بعد ظهر اليوم .

فاجتمعنا معه في موري هل اوتيـل ، وكنا ، على ما اذكر ، اربعة : الاساتذة اميل الغوري واليـاس عوده والمحامي بترا جرج وكاتب هذه السطور . فالفينا مكتبه في الاوتيل كبهو فسيح مليء بالنفائس القديمة التي تقدر قيمتها بالآلاف الكثيرة . وفي صدر القاعـة تمتد مكتبة عريضة فخمة تحيط بها المقاعد ، فجلسنا وبقي هو واقفاً في الطرف المقابل، وراء المكتبة .

وبعد ان رحب بنا ، انتقل الى تقديم نفسه الينا ، واعرب عن عطفـه القديم على الشرق والشرقيين ، واشار الى ان ما كتبه عن مصطفى كمال — اتاتورك — في الوقت الذي كانت تعتبره فيه الدول رئيس عصابـة وتأبى الاعتراف به ، يقوم افضل دليل على ذلك العطف . ثم انتهى من ذلك الى اظهـار شعوره الطيب نحو العرب ، وخاصة نحو قضية فلسطين ، معربا عن رغبته الصادقة بمساعدة الوفد توجيهاً ونشراً وغير ذلك . وكان عملياً الى حد انه اعد قبل المقابلة لائحة مطبوعة عرض فيهـا ما يراه من الوسائل المثلى ليتبعها الوفد خـلال وجوده في الولايات المتحدة ، وبيَّن ان « الشانتاج »

والانتقادات القائمة على الشخصيات لا تفيد اية فائدة في بلاد العم سام .

واراد السيد وود هاوس ان يوجه الوفد المطالبة بالحكم الذاتي في فلسطين دون اي شيء آخر .

ولما ادرك السيد وود هاوس انا لم نقبل التقيد باقتراحاته ، تحول الينا راغباً ان نطلعه على ما نود نشره في الصحف المحلية للاتفاق على ما يذاع ، وهو مستعد ان يسهل لنا مهمة النشر التي تتطلب مالا وافراً . فازددنا ريبة من هذه الرقابة التي يتوخاها ، واقترحنا بدورنا عليه ان نطلعه على ما ينشر ، على ان يقوم بتأييده بقلمه ولسانه اذا وافق ذلك رأيه وهواه .

وكأننا لم نتفق ، فساد المجلس صمت .. وقفنا بعده وودعناه شاكرين . ثم لم نجتمع به ولم يجتمع بنا . وقد ظن بعضهم ان اليهود ارادوا تحويلنا عن الدعاوة ضدهم وعن ما يثير عليهم نقمة الاميركيين الى بحث حقوقي جدير بان يدور بين العرب وبين الدولة المنتدبة الانكليزية فحسب ، بحث لا صلة للاميركان به في ذلك الحين .

ولكن مذكرة السيد وود هاوس في البحث الحقوقي ، هي على كل حال قيمة جديرة بالدراسة والمناقشة . ومن اجل ذلك فانا ننشرها لان موضوع الحكم الذاتي ، هو بيت القصيد في مطاليب العرب ، وخصوصاً انها تستعرض وجهة نظر اميركية في هذا الموضوع الهام ، وسياسة اميركية تفيدنا معرفتها .

مذكرة السيد هنري وود هاوس في حق فلسطين بالاستقلال

« يمكن تسوية القضية الفلسطينية بسرعة اذا نفذت توصيات حكومة الولايات المتحدة الصادرة ما بين سنة ١٩١٧ و ١٩٢٠ ، وذلك بأن يكون لفلسطين حق انشاء حكومة دستورية ومجلس نيابي ، على ان تتمتع الحكومة والمجلس بالانظمة

الحكوميه نفسها القائمة في الولايات المتحدة . ويمكن ادراك هذه الامنيـة للاسباب التالية :

١ - لقد اقترحت حكومة الولايات المتحدة ، ووافقت جميـع الامم على اقتراحها ، بأن تعطى للاراضي التي فصلت عن تركيا الفرصة السريعة لتصبح دولا ذات حكومات دستورية خاصة .

٢ - ان هذا المبدأ قد اتفق عليه ، وهو من مبادىء الرئيس ويلسن الاربعة عشر التي صرح بها وقدمها الى الكونغرس الاميركي في ٨ كانون الثاني ١٩١٨ . وحق البلاد التي فصلت عن تركيا بالحكم الذاتي قد ورد ذكره في الفقرة ١٢ ، وفي المادة ٢٢ من صك عصبة الامم .

٣ - ان المادة ٢٢ من صك عصبة الامم التي وضعها الرئيس ولسن ووافق عليهـا كل الموقعين على الصك تتضمن ما يلي :

ان بعض الطوائف التي انفصلت عن الامبراطورية التركية قـد نالت حظاً من التقدم يمكن معه الاعتراف بها موقتاً كدول مستقلة ، على ان يشرف على أدارتهـا يساعدها منتدب الى ان تبلغ ذلك الوقت الذي تصبح فيه قادرة على ادارة نفسها .

٤ - لو ان هذا الصك المحترم قد نفذ كما يريد المسلمون والمسيحيون واليهود في سنوات ١٩١٩ - ١٩٢٢ لادركت فلسطين هدفها بسرعة من قيام حكومة نيابية كحكومة الولايات المتحدة ، ولازدهرت الصناعات ، وتوفرت قدرة الشراء فيها ، وبذلك تكون فلسطين سعيدة ، ومتقدمة ضمن اسرة الامم ، ومدينة بذلك للولايات المتحدة .

٥ - ان الولايات المتحدة قد احتجت الى حكومتي بريطانيا العظمى وفرنسا في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٣ كما احتجت حديثا على الاسباب التي حالت دون تمتع الاراضي المنسلخة عن تركيا بالحكم الذاتي . ثم تلت ذلك الخطة المعروفة : فقد عارض بعض اليهود هذا النوع من الحكم الذاتي ، واعتبروه مخالفا لامانيهم في فلسطين . ترى ، هل يرضى اهالي الولايات المتحدة بالتخلي عن فكرة الحكم الذاتي لارضاء قسم من السكان اليهود ؟ لا ريب انهم لا يرضون بذلك ، ولا الشعب الفلسطيني ايضا .

تلك هي فكرة السيد وود هاوس الذي نصح الوفد بان يتخذها منهاجاً لعمله في اميركا ، وهي نصائح قيمة لا تحسب حسابا لوجود صك يعارضهـا ،

وهو صك الانتداب . ويصح في الوقت الحاضر الاخذ بها ، ومخاطبة اميركا ضمن نطاقها ، بعد ان خرجت عن عزلتها وحشرت نفسها في صعيد حل القضية الفلسطينية .

اعداء اليهود في اميركا انصار العرب

كانت قضية فلسطين حين زيارة الوفد العربي الفلسطيني لاميركا ، تتمتع بعنصر آخر من عناصر المساعدة ، اعني به اتفاق النازية والفاشيستية على مناهضة الصهيونية واليهودية . وقد اشرنا الى خطاب القاه الهر هتلر في شهر ايلول سنة ١٩٣٨ في نورمبرغ ، بمناسبة قضية السوديت ، حاول فيه اثارة عواطف العرب على اليهود .

وقد انشأوا في برلين وروما ، كما انشأوا في بعض العواصم الاخرى مؤسسات قوية لمكافحة اليهودية ، وتحمل بعضها اسم : World association of national newspapers فكانت مؤسسة World service تعمل في لندن ، و Service mondial في باريس و Verdens Jeneste في كوبنهاغ و Welt-dienst في ارفورت المانيا — وتصدر هذه المؤسسات نشرات ضد اليهودية عامة والصهيونية خاصة ، وترسل نداءات للصحف ، وفي الاذاعات تتظاهر فيها انها تدافع عن العرب .

وقد غرتني هذه المواقف ، وحسبت ان الوفد يستطيع ان يستثمر جهود الالمان والطليان في كفاح الصهيونية ، فقصدت اواخر صيف ١٩٣٨ قرية قرنايل في لبنان ، حيث كان يصطاف الحاج امين الحسيني ، مفتي فلسطين الأكبر ، ورئيس المجلس العربي الفلسطيني الاعلى ، فاستشرت سماحته فيما اذا كان من المفيد ان يعرج الوفد الى روما وبرلين للحصول على مساعدة المؤسسات

التابعة لها في اميركا ضد الصهيونية . فكان الحاج امين الحسيني اعدل مني رأياً ،وابعد نظراً في عواقب هذا الامر . فنصحني ان لا افعل ، والح علي الحاحا شديداً بان لا اتصل باية فئة من هذا الجانب .وقال بالحرف الواحد : « ان كنا نثير الاحتجاج على بريطانيا العظمى لانها اصدرت وعد بلفور وساعدت على تحقيقه بالعنف والقوة ، فذلك امر بينناوبينها لا نريد ان يتدخل فيه فريق ثالث . »

وفي خلال هذه الزيارة في قرنايل عرضت حادثة فيها حكمة وفيها فكاهة« لها صلةفي هذا البحث»،فقد جاء لزيارة سماحتهالسيدجمس ميلس مراسل اتحاد الصحف الاميركية[1] يرافقه السيد ميشال خليل الله وردي من دمشق . فحدثنا المراسل انه عاد من الشرق الاقصى حيث اجتمع الى القائد تشان كاي شك ،وغاندي وغيرهما من كبار زعماء الشرق ، ويرمي من زيارة سوريا الى الاجتماع بسماحته بصورة خاصة قصد الحصول على حديث منه في موضوع فلسطين . فاعتذر سماحته لوعده السلطة الفرنسية ، عندما لجأ الى سوريا ، ان لا يخوض في موضوعات سياسية . ولكن المراسل لم يقنع بهذا الجواب ، بل ظل يحاول ،باساليب شتى ،استدراج سماحته للتصريح ببضع كلمات ، فأراد سماحته ان يتخلص منه فأحاله عليّ قائلاً : «اني أثق بهذا الصديق فيمكنك ان تأخذ منه ما تطلب من احاديث ، » فأجاب المستر جمس : اني سأفعل ، ولكني اتيت الى هنا وليس لي قصد سواك . غير ان سماحته الح في الاعتذار . ولما نهض لوداعه استطاع المراسل الحصول على مادة حديث حقق فيها بغيته دون ان يكون سماحته قد تحدث اليه في اي موضوع سياسي .

قال السيد جمس ميلس ، وهو يهزّ يد الحاج امين مودعاً : « اود ان

(١) Association press of America

اؤكد لك ياسيدي ان قلوب الاميركان هي مع العرب » ، فأجاب سماحته : « وقديماً اعلن احد رؤساء قبائل البدو لعلي بن ابي طالب بان قلبه وقلوب قبيلته مع الامام فقال رضي الله عنه : « ولكنَّ سيوفكم مع معاوية بن ابي سفيان ! »

فأعجب المراسل جداً بهذا الجواب واكتفى به وصاغه حديثاً طلياً وجهه برقياً الى اميركا .

وبعد شهر تقريباً ، توجهت الى مصر حيث كان ينعقد تباعاً مؤتمران كانت لهما خطورتها في قضية فلسطين : المؤتمر البرلماني والمؤتمر النسائي . وقد عرضت لي في مصر التجربة دون ان تؤثر علي ، ونبذتها ، وفقاً لنصيحة سماحة الحاج امين الحسيني . ذلك ان صحفياً مصرياً زارني في اوتيل كونتننتال ومعه شاب اجنبي ، وطلبا الانفراد بي ، فقدم لي المصري رفيقه باسم ج باترسن [1] من كوبنهاك ، وهو عضو في جمعية U. Bodung-Verlag بارفورت المشتركة في الشركة العالمية للصحف الوطنية [2] ثم ترك له الحديث . فشرع يتبسط باعمال هذه الجمعيات في اوربا واميركا التي تهدف الى مكافحة الصهيونية ، وقال انه يغتنم فرصة سفر الوفد العربي الفلسطيني الى اميركا ليتصل بي ويعرض خدمات هذه الجمعية علي . وقد الح علي ان لا اتوجه الى اميركا دون ان اتزود بمساعدات روما وارفورت بالمانيا : فأقابل في روما جنرال ساني كوزلشي [3] ، وفي ارفورت السيد اوتو بهرادر [4] رئيس

---

(١) J Patersen

(٢) World association of national news papers

(٣) General Sani Coseleki

(٤) Otto Pehrader

فرع الشركة العالمية المذكورة ، قائلا انه سينبؤهما بهذه الزيارة بوجه السرعة .

وبالرغم من ان حديثه السلس الجذاب كان مغرياً ، لا سيما وانا كنا نشعر ، قبل ادراك الولايات المتحدة ، انا بحاجة ماسة لاية قوة تؤيدنا ضد الصهيونية الجبارة ، فقد كانت وصية الحاج امين الحسيني تتجلى امام انظاري ، فلم اعرج على ايطاليا ، ولا على المانيا ، بل سافرنا على الباخرة « الخديوي اسماعيل » المصرية من الاسكندرية الى مرسيليا .

ووصلنا الى نيويورك ظاناً اني تخلصت من تلك المؤسسة ، ولكنني كنت واهماً ، فقد فوجئت في الفندق بنيورك ، بعد يوم من وصولنا ، برجل يزورني ، وفي يده بطاقة زيارة باسمي ، كان السيد بترسن قد طلبها مني في القاهرة ، وحسبت انه يريد ان يحجزها لديه لحفظ عنواني . واعلن لي الزائر المذكور ان المؤسسة هي التي ارسلت اليه هذه البطاقة كيما يتصل بي للتعاون ضد الصهيونية . ولكنني احسست خلال الحديث ، بان نصيحة الحاج امين الحسيني تتهادى امام انظاري ، فقويت رغبتي في صرفه عن الوفد ، ثم اخذت اهمل كل البرقيات والرسائل التي كانت تنهال علي من جماعة هذه العصبة التي تطلب فيها الاتصال بي . خصوصاً وانني الفيت في الاوساط الاميركية استعداداً قويا لمكافحة الصهيونية يغني عن الاستعانة بعناصر لها غايات سياسية .

هل الحكومة الاميركية حريصة على تقاليدها السياسية ؟

١ — عهود اميركا ومواثيقها

كانت الحكومة الاميركية في مواقفها من فلسطين غير ما يترامى الينا

عن بعض الساسة في واشنطن ، لان للحكومة مناهج خاصة وتقاليد معروفة تحافظ عليها في سياستها .

وقد حاولت حكومة واشنطن منذ عهد الرئيس ويلسن ان تصلح احوال العالم ،وان تمنح الدول الصغيرة حريتها واستقلالها . وظلت ، كما يقول السيد وودهاوز ، تهدف في سياستها الى المحافظة على هذه التقاليد حتى انها لم تتردد بالاحتجاج على انكلترة وفرنسا سنتي ١٩١٩ و١٩٢٣، كما انها احتجت عليهما بعد ذلك من عهد غير بعيد ،لتأخرهما في منح البلاد ،التي انفصلت عن تركيا ، الحكم الذاتي .

وظلت ، الى ذلك ، تتحاشى الاشتباك عملياً في الشؤون السياسية الخارجية . وقد تمسكت بهذا المبدأ ،مبدأ شريعة موترو . اشد تمسك . وكثيراً ما حاولت بريطانيا وفرنسا جذبها الى عصبة الامم او المؤتمرات او المعاهدات السياسية الدولية فكانت اميركا تعتذر احتفاظاً بهذا العرف الذي اصطبغت به الى ان اصبح لها تقليداً لا تحيد عنه . واقصى حد ذهبت اليه انها كانت توفد احيانا رقباء الى بعض المؤتمرات ، كما فعلت في مؤتمر نزع السلاح قبل الحرب الاخيرة .

اما في قضية فلسطين خاصة ، فرغم موافقتها الحلفاء على مشروع الوطن القومي اليهودي ،ورغم هذه التصريحات التي يقذفها بين الحين والحين بعض رجالات اميركا السياسيين والتي تعرب عن عطفها على الصهيونية ، فان وزارة الخارجية لحكومة الولايات المتحدة ،التي تمثل سياسة الدولة واتجاهها الصحيح ، التزمت خطة الامتناع عن البحث في صميم القضية . واذكر انها اعلنت خلال سنة ١٩٣٨ ان ما يهمها من القضية الفلسطينية هي الناحية التي تتعلق بسلامة حقوق رعاياها في فلسطين .

وفي الاجتماع الذي عقده الوفد العربي الفلسطيني في ديوان وزارة الخارجية الاميركية ، مع السيد سمنر ولز وكيل هذه الوزارة في ٢٤-١-١٩٣٩ بحضور اركان هذه الوزارة . وهم السيد والاس موري ورئيس شعبة ، الشرق الادنى ، ومساعداه السيدان بول الالينك وجرج شيل اعلن لنا سعادته شيئاً من هذا المعنى ، واضاف اليه : « ان كل تصريح من اي مصدر كان يتعارض مع هذا البلاغ ، ام يتجاوزه يمكن اعتباره تصريحاً شخصياً » .

ثم دخلت اميركا اثناء الحرب الاخيرة بدور عالمي جديد . اذ اعلنت التخلي عن سياسة العزلة ، ولكنها مع ذلك بتوقيعها على ميثاق الاطلنطي ارادت ان تظهر بانها لم تتخل عن المبادىء الاولى ، مبادىء الرئيس واسن ، التي اعتنقتها .

ذلك ان ميثاق الاطلنطي الذي اعلن في لندن وواشنطن في ١٤ آب سنة ١٩٤١ المبادىء المشتركة في السياسة الوطنية لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا التي يبنيان عليها مستقبلاً افضل للعالم ، نص في مادتيه الثانية والثالثة على ما يلي :

(المادة الثانية) لا ترغبان في ان تريا تغييرات اقليمية غير منطبقة على الرغبات المعبر عنها بحرية من الشعوب ذات العلاقة .

(المادة الثالثة) تحترمان حق جميع الشعوب في اختيار شكل الحكم الذي تود العيش في ظله ، وترغبان في ان تريا حقوق السيادة والحكم الذاتي معادة الى الذين نزعت عنهم قسراً .

ثم وضعت الحرب اوزارها ، وخلف الرئيس ترومان المرحوم روزفلت فشاء الرئيس الجديد ان يستعرض القواعد الاساسية لسياسة الولايات المتحدة الخارجية وذلك . ي خطاب القاه في الشطر الاخير من تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ في سنترال بارك في

نيورك بمناسبة يوم البحرية . وقد صرح في هذا الخطاب امام الالوف التي احتشدت لسماعه بما يلي : ثانياً : نعتقد بعودة حقوق السيادة والحكم الذاتي الى جميع الشعوب التي حرمتها اياها القوة . ثالثاً : لا نوافق على اية تغييرات اقليمية في اي جزء صديق من العالم ما لم تكن متفقة مع رغبة الشعوب المختصة التي اعربت عنها بحرية . رابعاً : نعتقد انه يجب ان يسمح لجميع الشعوب، المهيأة للحكم الذاتي، باختيار شكل حكومتها بحرية دون ادنى تدخل من مصدر اجنبي . وهذا ينطبق على اوروبا واسيا وافريقيا والجانب الغربي من الكرة الارضية . » الخ

وبعد هذه المبادئ السامية التي بشرت فيها امیرکا ، منذ ويلسن فروزفلت الى الرئيس ترومان ، ترقب العالم ان تكذب هذه الدولة عملياً وتدحض ادعاءات الصهيونيين بان سياسة الوطن القومي في فلسطين هي سياسة اميركا التقليدية .

وعلى هذا فلم يتطرق اليأس الى قلوب العرب، في اشد المواقف ، حينما كانت تصدر التصريحات المواتية للصهيونيين جزافا، وتصدر عن اكبر الشخصيات الاميركية، خصوصا في عهد الانتخابات للرياسة . بل كانوا يقولون ان هي الا وعود مرشحين . وذهب هذا المذهب المرحوم احمد ماهر باشا في عهد رياسته للوزارة المصرية الاخيرة وقال : « رأيي في تصريحي الرئيس روزفلت ومستر ديوي بشأن جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود انها لا يعبران عن رأي حكومة الولايات المتحدة ، وهي اراء شخصية صدرت خلال المعركة الانتخابية لرياسة الجمهورية . »

٢ ـ وعود امريكا للعرب

على ان تلك التصريحات المتوالية كانت ، مع ذلك ، تثير القلق في الاوساط العربية فيحتجون ويراجعون . وكانت الردود التي تأتيهم من الجانب الاميركي تتضمن ، في اول الامر ، التطمين بأن وجهة نظر العرب ستدرس . ثم اصبحت تلك الردود ، بعد ان توطدت العلاقات الاقتصادية بين امريكا والبلاد العربية ، وعوداً بان لا تحل المعضلة الفلسطينية الا بعد مشورة العرب ، وانها لن تحل على شكل يسيء اليهم .

هذا ، وكان النشاط الصهيوني اواخر عام ١٩٣٨ في امريكا قد بلغ الذروة

قصد التأثير على سياسة بريطانيا العظمى قبيل اجتماع مؤتمر المائدة المستديرة في لندن وخلاله . فحملتني تصريحات الساسة المؤاتية لليهود ان اوجه رسالة الى الرئيس روزفلت في ١٩ تشرين الثاني ١٩٣٨، بعد ايام من وصول الوفد العربي الفلسطيني الى نيورك ، هذا نصها :

يا صاحب الفخامة

اني ، وانا المعجب بالمعاهد والاثار الاميركية ، والمؤمن بمصير الولايات المتحدة ، ارجو ان تسمحوا لي لدى وصولي الى شواطئكم الرحبة ان اوجه اليكم المذكرة التالية :

ان حركة البعث في الشرق الادنى مدينة، الى حد بعيد ، لمساعي المعاهد الاميركية والاساتذة الاميركيين ذوي الاخلاق الرفيعة الذين لقنونا تلك المبادىء التي اثبتها ومارسها واضعو اسس هذه الجمهورية العظيمة . ولقد كانت هذه المبادىء خميرة لنهضة الشرق الادنى ، فنحن العرب ، سلالة المدنية العظيمة والثقافة السامية ، نقف الان رجلا واحدا نطالب بكرامتنا وحريتنا ، ولا نكلف العالم ، ولا جيراننا الاقربين ، سوى ان يفسح لنا مجال المحافظة على كياننا وحريتنا واستقلالنا .

يا فخامة الرئيس

تلك امانينا المتأصلة في روح كل عربي ، بدويا كان أم حضريا ، ونحن شعب أبي ، فاذا كنا لا نضمر العداء لجارنا ، فاننا نصر على ان نكون محترمين ، وخاصة من الغريب الذي يتمتع بكرمنا ونجدتنا يوم الضيق .

لقد ادركتم ، ولا ريب يا فخامة الرئيس ، ان قضيتنا الفلسطينية لا تتوقف على فئة من زعمائنا ، بل ، على العكس ، فان كل رجل وامرأة وطفل من العرب متفق في صعيد واحد ، على وحدة الغرض في المحافظة على الكرامة والاستقلال او الموت دونها . والعرب ، كما تعلمون ، يحسنون استقبال الموت حين ينبغي استقباله . وهم على فراش موتهم يشخصون بابصارهم الى بارئهم بصبر وجلد ، فلا يبكون ولا يتذللون .

ومن المؤسف ان تكون وجهة نظرنا لم تعرف قط في اميركا : فخصومنا السياسيون يتلاعبون بعواطف الاميركيين ذوي القلوب الطيبة ، فيظهر هؤلاء عطفهم على الاماني الصهيونية ، غير عالمين ان بلادنا غاصة بالسكان ، وان لا سبيل الى قبول

الجماهير الكثيرة من اليهود والقادمة الى فلسطين ، الا بطرد السكان الذين استوطنوا تلك البلاد مدة لا تقل عن ثلاثة عشر قرناً واستئصالهم ، وهم الكثرة الساحقة فيها ؟

يا فخامة الرئيس

ان سكان فلسطين الحاليين هم ابناء الشعوب التي قطنت تلك البلاد قبل خروج اليهود من مصر . وان فلسطين لا يمكنها قط ان تحل المشكل اليهودي بل انها تخدم اغراض الاستعمار اذ تسل القلب من الجسم العربي وتمزق اتحادنا شر ممزق .

لقد قبلنا من اليهود ، منذ الحرب العالمية الماضية ، اوفر مما قبلته بلدان العالم باسره بما فيها الولايات المتحدة . فهل من العدل ، يا فخامة الرئيس ، ان يقع عبء حل المشكل اليهودي على كواهل فلسطين الصغيرة ، والامة العربية وحدها ؟ لقد تلطفتم ودعوتم لعقد موتمر افيان ، فاجابت الامم السخية دعوتكم ملبية باللسان دون الجنان . فاستراليا ، وهي قارة فسيحة الارجاء رفضت اليهود ، ومثلها كندا ، التي تزيد مساحتها على مساحه الولايات المتحدة ، قد اعتذرت ايضا عن قبولهم . بل ان افريقيا الجنوبية الضئيلة بعدد سكانها امتنعت ايضاً عن قبول اليهود . واما فلسطين المظلومة التي لا تزيد مساحتها عن عشرة آلاف ميل مربع ، وثلثاها لا يصلحان للاستثمار فقد قبلت نصف مليون يهودي ، بينما تستوعب البلاد العربية الاخرى مليونا منهم .

ان الصهيونية السياسية قد خلقت مشكلا يهوديا في اسية وافريقية ، لم يكن له اثر من قبل ، كما ان فكرة اقامة دولة يهودية بفلسطين ، تكون مرجعا ليهود العالم ، فكرة تعود بالضرر الجسيم على اولئك المهاجرين الذين يجدر بهم ان يعيشوا بسلام كمواطنين في البلاد التي عطفت عليهم ، والتي يريدون الاندماج في جنسيتها .

يا فخامة الرئيس

اننا ، نحن العرب ، نأمل منك ان تحافظ على مبدأ مراعاة حقوق الامم الصغرى التي تريد ان تتولى شؤون نفسها بنفسها ، وان تؤيد الكثرة الساحقة في فلسطين ضد الاقلية الباغية التي لا تفتأ تعمل ضد الاكثرية . وانني كمندوب مفوض من اللجنة العربية العليا التمس منكم ان تولونا ، كاصدقاء اوفياء او كخصوم مختلفين معكم في الرأي ، سياسة الجار الصالح التي هي سياستكم والتي اوليتموها للامم الاخرى » .

وقد ردت الحكومة باشارة الرئيس على رسالتي بالجواب التالي :

دائرة الدولة

N.W.867N—1/1343
٢٢ كانون الاول ١٩٣٨

عزيزي السيد جميل بيهم

تلقت الدائرة ، مع التوصية من البيت الأبيض ، رسالتكم المؤرخة في ١٩ تشرين الثاني ١٩٣٨ الموجهة الى الرئيس بشان قضية فلسطين . فمع شكري لكم على ابداء وجهة نظركم فاني اود ان اؤكد لكم باننا سنثابر على الاهتمام الكلي والاعتبار الملائم للعوامل المختلفة المحيطة بالمعضلة الفلسطينية .

المخلص لكم عن سكرتير الدولة

والاس موراي : رئيس قسم شؤون الشرق الادنى

وهذا الجواب وان لم يكن يتضمن وعدا بالمساعدة الا انه يعتبر ، على اقل تقدير ، كوعد يؤذن بوقوف الحكومة موقفاً حيادياً .

ثم على رغم ان التصريحات المواتية لليهود ظلت تنهال من اعلى المقامات الاميركية ، فان تطور العلاقات بين حكومة واشنطن وبين البلاد العربية حملها على الادلاء بوعود رسمية للعرب فيها شيء من التطمين . واهمها تلك المراسلة التي اشرنا اليها في هذا الكتاب، بين الرئيس روزفلت وبين الملك عبد العزيز بن سعود في آذار سنة ١٩٤٥، حيث اكد الرئيس لجلالة الملك ما وعده به خلال اجتماعهما الاخير في مصر ، وقال انه بصفته رئيسا للقوة التنفيذية لن يقدم على اي اجراء يعتبر غير ودي للعرب ، كما ردد في الجواب المذكور ما ابداه لفخامته في مناسبات عدة: ان الحكومة الاميركية لا تتخذ اي قرار يتعلق بمصير فلسطين النهائي الا بعد الرجوع لمشورة العرب واليهود .

ورغم ان الرئيس ترومان اراد ان يتجاهل هذه الوعود حينما ادلى بتصريحه المعلوم، ثم لما كتب الى الماجور أتلي يؤيد طلب الوكالة اليهودية بفتح ابواب فلسطين لمائة الف مهاجر، لم يسعه، من بعد، الا الاعتراف بوعد روزفلت والقول

ADDRESS OFFICIAL COMMUNICATIONS TO
THE SECRETARY OF STATE
WASHINGTON, D.C.



DEPARTMENT OF STATE
WASHINGTON

In reply refer to
NE 867N.01/1343

December 22, 1938

My dear Mr. Jamil Beyhoum:

The Department has received, by reference from the White House, your letter of November 19, 1938, addressed to the President, concerning the Palestine question.

In thanking you for the expression of your views, I desire to assure you that we shall continue to give full and appropriate consideration to the diverse factors involved in the Palestine problem.

Sincerely yours,

For the Acting Secretary of State:

Wallace Murray
Chief, Division of Near Eastern Affairs

Mr. Jamil Beyhoum,
Arab National League,
303 Fifth Avenue,
New York, New York.

جواب سكرتير الدولة في الولايات المتحدة المؤلف .

بانه انما يريد تحقيق ما طلب بترتيب سياسي مع البريطانين والعرب وفقاً للنص الذي ابلغه وزير اميركا المفوض لامين سر الجامعة العربية .

وصادف ان وصلت الى مصر ولبنان أواخر ايلول سنة ١٩٤٥ بعثة للشؤون الخارجية، فصرح رئيسها السيد كارل . وفدت بان الخطاب، الذي قيل ان الرئيس ترومان بعث بـه الى الحكومة البريطانية، يعد خطاباً شخصياً، لا يعبر عن رأي الحكومة الاميركية، وليس الكونغرس مسؤولاً عنه . وقال : وقد يتقدم الرئيس بخمسين اقتراحا ولا يوافق المجلس على اقتراح واحد منها .
وقد اعاد هـذا التصريح لذاكرتنا تصريح السيد سمنر ولز لنا في وشنطن الذي اشرنا اليه في هـذا الفصل .

ولكن هذه الوعود، وما رافقها من تعليلات وتعليقات على التصريحات، وان خففت بعض الشيء مـن الضغط على اعصاب العرب ، الا ان الوقائع كشفت اخيراً القناع عن وجه الهيئة الحاكمة والممثلة في واشنطن، وذلك بالقرار الذي اتخذه مجلس الشيوخ الاميركي خلال كانون الاول سنة ١٩٤٥ بفتح باب الهجرة حتى اقصى ما تحتمله فلسطـين ، وبموافقة مجلس النواب على هـذا القرار .

الخلاصة :

صحيح ان الهيئتين الحاكمة والممثلة في الولايات المتحدة قد اعلنتا انحيازهما لليهود ، ولكن الاميركان لم يفلتوا مع ذلك من ايدينا . بل هم من الناحية الشعبية اقرب منالا من سواهم، خصوصاً لان قضيتهم مع اليهود كثيرة الشبه بقضيتنا . هذا الى ان اليهود في اميركا، رغم ما اعدوا من قوى، هم ضعفاء بما خلقوا فيها من اعداء ، وبما تكتل حولهم من خصوم . واعداء اليهود في العالم الجديد هم انصار العرب ؛ بل ان اعداء اليهود في بلاد الرئيس ترومان يترقبون

الخلاص، وكأنهم ينتظرون «المهدي» للالتفاف حوله والكفاح عن صفوفه .

واذا خسرنا الهيئتين الحاكمة والممثلة في واشنطن فما ذلك ذنب الاميركان، وانما تقع التبعة علينا وحدنا إذ اخلينا ميدان الدعاوة للصهيونيين فصالوا وجالوا .

على ان مجال العمل لا يزال فسيحاً . يمكننا ان نحول اميركا الى جانبنا، بما فيها الهيئة الحاكمة، اذا احسنا التصرف واكتسبنا الرأي العام، خصوصاً وان «المصلحة» التي توحي للجماعات والافراد اتجاهاتهم تساعدنا على توجيه سياسة واشنطن توجيهاً ملائماً لنا . وهذه المصلحة المالية اشد نفوذاً من كل لون آخر في بلاد العم سام . فالبلاد العربية اليوم مكانة لم تكن لها قبل بضع سنين : ذلك لان الاعتماد في المواصلات على الطائرات اصبح يتطلب ايجاد قواعد للدول تتخذها مطارات كبرى . والبلاد العربية حول البحر المتوسط اصلح مقام لهذه القواعد الاقتصادية التي تتحرى عنها حكومة الولايات المتحدة . هذا فضلاً عن ان سياسة البترول من شأنها ان توطد علاقات الصداقة بين اميركا والبلاد العربية .

ولكن كل هذه الميزات التي للعرب، كما انها لم تجد حتى الان حيال جهود الصهيونيين، فلن تنفع العرب شيئاً في المستقبل اذا لم يسعوا الى استثمارها سعياً حثيثاً منظما . ولا بدع فهل يقطع السيف وهو قابع في غمده ؟

الفصل الثامن

الجبهات العربية وراء البحار

الجبهة في لندن – الجبهة في الولايات المتحدة – الجبهة في المكسيك وكوبا

تصدع الجبهات العربية وتدعيمها

•

فرق المتطوعين في اوروبا واميركا

ليست فلسطين نفسها ميدان المعركة بين العرب والصهيونيين ، بل هي هدف القوتين المتنازعتين . وأما ساحة الحرب والصراع فهي اوروبا واميركا ، ولا سيما انكلترا والولايات المتحدة .

ومن المؤسف ان العرب لم يعدوا العدد اللازمة لساحات الحروب الحقيقية ، كما فعل الصهيونيون ، بل اطمئنوا الى مظاهراتهم الوقتية ، واضراباتهم الموضعية ، والى بعض المؤتمرات ، والاحتجاجات الخطية . وكانوا يرسلون احيانا بعض الوفود الى لندن وواشنطن وغيرهما ، على قدر ما يتوفر للقيادة في

فلسطين من اسباب العمل ، فكان شأنهم امام العدو المنظم المدرب شأن دفاع البدو امام جيش حديث .

ان نتيجة الحرب القائمة بين العرب والصهيونيين ؛ كما تتوقف على كل من القوتين المتناضلتين ، فان للندن وواشنطن شأناً في تقرير مصيرها ، ليس من حيث الحق الطبيعي ، وانما من ناحية السياسة الدولية . وسيكون لموسكو رأي في ذلك ايضا . والعرب ، وان لم يدفعوا الى ساحات الحرب الحقيقية بقوى منظمة مترابطة متواصلة ، كما يفعل الصهيونيون ، الا انهم قد وفقوا بمتطوعين لها من المهاجرين قاموا بقسط كبير من الواجب . وسألم في هذا الفصل بانباء موجزة عن هؤلاء المتطوعين البررة في الامصار التي زرتها .

وكنت اود ان اوضح ما قامت به الجاليات العربية في غيرها على وجه عام ، من الخدمات للقضية الفلسطينية ، وخاصة في اميركا الجنوبية ؛ ولكني لم اوفق بمتابعة السفر اليهم ؛ بل اضطرني نشوب الحرب الحاضرة للعودة الى الوطن ، آسفاً ان يحال بيني وبين مشاهدتهم ، وبيني وبين تدوين ما اود تدوينـــه عن وطنيتهم التي يتحلون بها . ومع ذلك فلا بد لي من التنويه باصدقاء لي فيها لم يتطوعوا للدفاع عن فلسطين فحسب ، بل وقفوا حياتهم لرفع شأن قومهم وقوميتهم . ففي الارجنتين المرحوم الامير امين مجيد ارسلان ، والاستاذ موسى يوسف عزيزة صاحب المشروعات الاقتصادية والادبية الكبرى في بونوسارس . وله الجريدة السورية اللبنانية . والشاعر الاستاذ الياس قنصل صاحب مجلة المناهل . وفي البرازيل الشاعران القوميان رشيد الخوري (الشاعر القروي) والياس فرحات ، والسيدة سلوى سلامه اطلس صاحبة مجلة الكرمة . ولا يفوتني ايضا التنويه برجال العصبة الاندلسية في سان باولو الذين جمعوا بين الادب والاخلاص للوطن ، فكانوا في كل مناسبة صوت العروبة

الداوي فيما وراء البحار ، كما كان ابناؤنا المخلصون في افريقية درعها الواقي .

وفي كندا ترابط فرقة من المتطوعين اسمها « عصبة الصداقة بين العرب والكنديين »[1] وعلى رأسها محمــد سعيد مسعود (من بشامون – لبنان) دئبت على الدفاع عن القضايا العربية ، وعن فلسطين خاصة ، وذلــك بتنظيم وسخاء . وللسيد مسعود المشار اليه نشرة شهرية توزع مجانا للغاية نفسها ، وله معاونون نشيطون .

١ – الجبهة العربية في لندن :

لم يغفل قادة الحرب في فلسطين منذ البداية عن لندن ولا عن غيرها من العواصم ، بل ظلت الوفود العربية تترى لرفع الظلامات عن العرب . وامت لندن وفود متوالية في سنين : ١٩٢١ و ١٩٢٢ و ١٩٢٣ و ١٩٣٠ و ١٩٣٦ و١٩٣٨ . وعرج بعضها على لوزان وجنيف ، وخصوصاً في سنتي ١٩٢٢ و١٩٣٧ . وقصد احدها البلقان ١٩٣٧ . ولكن هذه الوفود كانت تهبط هذه العواصم في مناسبات عارضة ثم تقفل راجعة ، فــلا يتاح لها من الوقت متسع للصمود تجاه المهاجمات الصهيونية والعمل على دحض افتراءاتها .

وظل هذا النقص قائماً الى عام ١٩٣٦ حيث وجهت الى لندن لجنة تتولى الدعاوة فيها ، وكانت الاولى من نوعها ، قوامها جمال بك الحسيني ، والدكتور عزت طنوس ، والاستاذ شبلي الجمل ، فاتصلت هــذه اللجنة برجال السياسة والصحافة ، واعربت بجلاء عن وجهة نظر العرب .

وقد روى لي الدكتور عزت طنوس حادثة وقعت لهذه اللجنة مع النائب الكولونال كليفتن براوند (رئيس مجلس النواب خــلال الحرب) تبرهن الى

(١) The Arab Canadian frendship league

اي حد كان ساسة انكلترا يتأثرون بالدعاوات الصهيونية الموجهة ضد العرب، حتى اصبحوا يحسبونهم اهل بادية وعلى جانب عظيم من التأخر. قال الدكتور: « ضرب لنا الكولونيل موعداً للمقابلة في قاعة بالبرلمان، وافى الوفد في الموعد المحدد، وظل نحو نصف ساعة يطلب مقابلة الكولونيل، ويجاب: انه غير موجود في المجلس. والواقع انه كان موجوداً، وكان يترقب حضور الوفد العربي، غير انه لم يكن ينتظران يشاهد اعضاءه، كما رآهم، يتزيون بزي الحضر. ذلك انه يتخيلهم بدواً يعتمرون بالعقال ويلتفون بالعباءات. واتفق ان خرج صدفة الى باب قاعة الاستقبال وعلم ان الذين ينتظرون في القاعة هم الوفد العربي نفسه فتقدم اليهم يستقبلهم ويعتذر اليهم قائلاً: « اني لم اكن اقدر انكم انتم العرب الفلسطينيون الذين ترتبطون بوعد معي » وصارحهم انه كان ينتظران يرى رجالات من البدو ».

وقد وفق هذا الوفد الى ما ارسل من اجله في لندن، فنشر الدعوة، وعقد الاجتماعات، واكتسب بعض النواب، فتكتلوا لانصاف العرب بفلسطين، والفوا جبهة نيابية كان رئيسها الاول اللورد ونترتون.

وتخلف من الوفد في لندن الدكتور عزت طنوس، وتولى ادارة مكتب دائم للدفاع عن فلسطين باسم المكتب العربي الفلسطيني، وقد ظل هذا المكتب مثابراً على اداء مهمته خير اداء، على قدر ما تسمح به ظروف المكتب الخاصة، حتى نشوب الحرب العالمية الثانية.

وكان هذا المكتب يجد معونة فعالة من بعض الانكليز انصار العرب، ومن الجالية المسلمة في بريطانيا العظمى. كما انه يجدد القوى بفريق من المتطوعين لخدمة القضية الفلسطينية في انكلترا، ونخص بالذكر منهم المرحوم الاستاذ جورج انطونيوس.

٢ – الجبهة العربية في الولايات المتحدة الاميركية :

كان من الطبيعي ان يتوفر عدد المتطوعين لفلسطين من ابناء العرب في الولايات المتحدة ، لوفرة المهاجرين منهم في تلك الديار ، وللوطنية الملتهبة التي تستعربها نفوسهم في كل ما له صلة باوطانهم . وقد تولى بعضهم الدفاع عن فلسطين بلسان وجنان ، بينما بذل الاخرون اموالهم في هذا السبيل . والفوا لذلك الجمعيات ، وعقدوا المؤتمرات ، واستخدموا بعض الصحف والمنابر ، وما تورعوا ايضاً عن القيام ببعض المظاهرات حين تدعو الحاجة في وشنطن ليلفتوا نظر الحكومة والساسة الى مطاليبهم . ولم يتوانوا عن جمع الاموال تباعاً ، واصدارها الى فلسطين الشهيدة ، لا سيما ابان الثورات التي كانت تتوالى فيها .

ويحق لي التنويه بجمعية الجامعة العربية في نيورك[1] التي كانت اصبحت ، شبه عالمية ، بفضل الجهود التي بذلها رئيسها الدكتور فؤاد شطاره ، ونائب رئيسها السيد علي محي الدين ، واعضاؤها الابرار المجاهدون ، وذات مكانة رفيعة في الاوساط الاميركية ، وكان لها فروع في بوسطن ماس ، وفلنت ميشيغن ، وكراندربس ميشيغن ، ودوترويت ميشيغن ، وغيرها امتازت بالنشاط واضفت على الجامعة سمعة طيبة .

وكان رئيس هذه الجمعية وبعض اعضائها الملتفين حولها لسان هذه الجمعية الناطق في المحافل الاميركية وصحفها السياسية . كما كان آخرون من اعضائها لا يفتأون يغذون صندوقها تحقيقاً لامانيها ، وبذلك جمعت الرجال والمال ، وبلغت باعمالها المكانة الاولى ، فكانت بمثابة مركز القيادة بين المهاجرين

(١) Arabe National League

المتطوعين لخدمة العرب والبلاد العربية .

وقد درجت المعاهد الثقافية وغيرها في الولايات المتحدة على عادة تكليف خطيبين يتكلمان في حفلة واحدة ، وفي موضوع واحد ، يدافع كل منهما عن وجهة نظره ؛ فالدكتور فؤاد شطاره وصحبه العديدة ، كالسادة الياس يوسف عوده ،والاستاذ بتر جرج وكلاهما من فلسطين ،والدكتور جورج ابو علي خير الله[1] ، وحبيب كاتبة ،وامين زيدان من لبنان ، كثيراً ما تطوعوا قبل الحرب وانبروا للوقوف على المنابر ، وللكتابة في الصحف موضحين وجهة نظر العرب في قضية فلسطين ، ومدافعين عنها بحجج دامغة طالما كان لها القول الفصل ، الى جانب مواقفهم الشريفة في الدفاع عن القضية العربية على وجه عام .

ومن ناحية اخرى ، كان اصحاب المحلات التجارية الكبرى في نيورك من اعضاء هذه الجامعة الملتفين حولها يبذلون من اموالهم عن كرم ،ومن اوقاتهم عن تضحية ، كالسادة : يوسف ، وجودي وعلي اسماعيل ، وحسن محمود ،[2] وموسى سياج وجرج بجاليه ، وابراهيم العبد ، وهم من فلسطين ،والدكتور رشيد تقي الدين ، وداود رمضان من لبنان .

ويعد السيد حمدان عبد الحميد غنام من فلسطين في مقدمة هؤلاء المجاهدين ولست ابالغ اذا لقبته حاتم طي المهاجرين ،ومثله اخوه السيد رضوان غيرة على فلسطين ، وحولهما اعوان كانهم لواب الحركة وفي مقدمتهم السيد ناظم الادهمي من طرابلس .

---

(١) وهو يحرر الان مجلة العالم العربي في نيورك .

The Arab World 1182 Broday New-York.

(٢) السيد حسن محمود هو ايضاً رئيس جمعية الشبان المسلمين ، وكان لها ايادي في قضية فلسطين ،واقامت للوفد مأدبة كبرى لوداعه فكانت من اعظم الحفلات .



المأدبة الوداعية التي اقامتها جمعية الشبان المسلمين على شرف الوفد بنيويورك
مساء ٢٦ ايار ١٩٣٩ في نزل ماك البن

وقد التحق بالجامعة منذ عام ١٩٣٨ المرحوم الاستاذ فؤاد خليل مفرج ، وساهم خير مساهمة مع زملائه بالقاء المحاضرات في الاندية الاميركية العامة والمدارس العليا . وقام برحلة خطابية بدعوة جمعية الشؤون الخارجية في كندا . ولكن الاجل لم يمهله طويلاً للاستمرار على اداء هذه الخدمة لفلسطين خاصة وللعرب عامة .

وقبل ان نترك نيورك لا بد ان ننوه بافراد يقيمون بجوارها : في برو كلن ، ويشملون قضية فلسطين بمساعداتهم وعنايتهم ، فهناك رئيس اساقفة الجالية الارثوذكسية السورية في اميركا الشمالية المطران انطون بشير ، وطالما دعا الى مساعدة فلسطين ، وشمل القضية العربية بعنايته . وقد شهدت قداساً اقامه بنفسه يوم عيد ، فكان خطابه نارياً ضد المستعمرين . وهناك ايضاً الدكتور رزق حداد من مرجعيون ، وهو من اعيان الجالية المحبوبين . وقد اختارته الجالية لرياسة اللجنة الوطنية التي تألفت لحفلة اقامتها في دار الاوبرا لأكاديمية الموسيقى في برو كلن(1) احتفاء بالوفد العربي الفلسطيني ، ومساعدة لمنكوبي فلسطين ، فكانت حفلة رائعة . وذلك في ٧ كانون الثاني ١٩٣٩ ، يشير الاقبال عليها ، في جملة ما يشير ، الى ما يتمتع به هذا الطبيب الخطيب من الثقة الكبرى في اوساط الجالية .

ولا بد انا كذلك ان ننوه بجاليات عربية تقيم ايضاً في نيورك تحدب على فلسطين وعلى سائر قضايانا القومية كحدبنا عليها او اكثر . ونخص بالذكر منها الجالية المغربية . وقد حظونا بالتعرف الى بعض اركان الجالية المراكشية في نيورك . وعلى رأسها السادة محمد بن التناني ومحمد البشير المراكشي ، وعبد السلام بن تهامة السعيدي ؛ كما حظونا بالتعرف الى بعض ابناء الجالية اليمنية .

---

(1) Opera House accademy of music

ويلي جمعية الجامعة العربية في الدفاع عن فلسطين جمعية ثانية في فلنت مشيغن يرأسها السيد امين فرح من الناصرة . وقد وفقت هذه الجمعية برئيس يلتهب وطنية مع نشاط واقدام ، كما وفقت باعضاء عاملين كرام وانصار محسنين غير . واذا ذكرت فلنت مشيغن وغيرة الجالية فيها على قضايانا الوطنية فلا يبرح من البال السيد محمود حماده من لبنان ، والسيد توفيق منصور من فلسطين . وكيف ثارت تلك المنافسة بينهما في التبرع لفلسطين خلال الحفلة التي اقامتها الجمعية للوفد في سان جورج كومنيتي هول منتصف كانون الاول عام ١٩٣٨ . ذلك انه ما كاد يعلن عريف الحفلة ان السيدة عقيلة الوجيه نجيب أبي سمرة قد نزعت سوارها من يدها ليباع مساعدة لمنكوبي فلسطين الا وتبارى هذان الوجيهان في صعيد المزايدة على ثمنها ، حتى بلغت التبرعات حداً بعيداً ، فقضى الحكم ان يكون السوار للاثنين معاً فجادا به لفلسطين

على ان مدينة فلنت حافلة بامثالهما من ارباب الغيرة ، وعلى رأسهم آل حماده ، وآل فرح وطليع وصعب وعجرم (بعقلين) ، وابو سمرة وحوراني وغيرهم . وقد لاحظت الحماس البالغ يتجلى لدى نساء اخواننا المهاجرين هناك بمقدار لم اصادف مثله في سواها خلال هذه الرحلة .

وقد خلفت مدينة ديترويت مشيغن ، ودير بورن مشيغن ، التي تقوم بضاحيتها وفيها معامل فورد ، ابلغ الاثر في نفوسنا وذلك لما الفيناه فيها من الوطنية الصادقة والاتحاد المتين بين صفوف الجاليات العربية .

لمسنا حفاوتهم بكل شيء وطني ، مذ بلغنا محطة القطار الحديدي بديترويت حيث كان ينتظر لاستقبال الوفد حشد كبير من الرجال والسيدات . وادركنا ما بين هذه الجالية من وحدة الهدف بما اعد لهذا الموكب الذي سار بنا الى فندق « ديترويت لا لان » من التنظيم والتنسيق . ولا بدع

ففي هذا الوسط الصناعي جمهور كبير من الجاليات العربية ، وفيه كثير من الجمعيات الوطنية التي تتنافس في خدمة القضيتين القومية والفلسطينية .

نذكر من هذه الجمعيات : « النهضة العربية الفلسطينية» في ديترويت . وكان يرأسها السيد حنا خلف . ويقوم بنيابة الرياسة السيد حنا الصوف ، وبأمانة السر السيد رشيد زايد . وقد قدرنا للجالية المسلمة في ديربورن مشيغن نشاطها البعيد في خدمة قضايانا القومية باخلاص ، ولكنا مع ذلك انتقدنا التسميات الطائفية ، وان كانت وحدة الاهداف الوطنية تجمعها . فقد انشأ الشيعة في هذا البلد منتدى واسعاً لقبوه « النادي العربي الهاشمي » يتولى رياسته الشيخ خليل بزي امام هذه الطائفة الكريمة . وشيد على مقربة منه اهل السنة مسجداً ، هو كناد جامع لهم ايضاً ، يتولى الامامة فيه الشيخ حسين خروب .

وفضلاً عن ذلك ، فقد تكتل بعضهم حول جمعية النهضة العربية الهاشمية ، التي يرأسها السيد حميد مشرف ، ويتولى ادارة مكتبها السيد عبدالله بري ، وامانة سرها السيد فايز حسن . وكلهم من جبل عامل . والعامليون في ديترويت ، كما في غيرها ايضاً من بلاد المهجر ، عماد الوطن وذخره .

وصادف الوفد في ديترويت حلول عيد الفطر فزار الجامع والنادي العربي الهاشمي في ديربورن مهنئاً . روت ذلك جريدة النهار البيروتية في عددها الصادر يوم ٢٦ — ١١ — ١٩٣٨ وقالت ما يلي : « وكان موعد المهرجان الذي اقامته الجالية في النادي للوفد الكريم في اليوم الثاني من العيد ، وكان مهرجاناً قلما رأت ديترويت مثيلا له يغص بالحاضرين ، وبعضهم لبى الدعوة من المدن المجاورة . وكان عريف الحفلة السيد احمد حمزه فواز . فقدم اعضاء الوفد ، وافتتح المهرجان بالاناشيد العربية . وبعد ان خطب كل

من الاستاذين خليل البزي وحسين خروب نهض رئيس الوفد الاستاذ بيهم فالقى خطاباً حماسياً بلغ من تأثيره ان الحاضرين من سيدات وسادة اجهشوا بالبكاء، فشاركهم الخطيب بارسال العبرات » .

والواقع ان هذا التأثر من الخطاب لا يرجع لبلاغته ، ولا الى اي شيء آخر فيه، وانما مرد ذلك الى وطنية خالصة مستعرة اعدت نفوس اصحابها اعداداً ايجابيا ازاء اخبار الوطن، فما كادت شرارة حماس تصدر عن الخطاب الا وألهبت النفوس فسالت عبرات من المآقي والمحاجر .

وفي تلك المدينة الزاهرة فئة اخرى من المهاجرين الغير ، تتمتع بجزيل الاحترام ، نذكر منها الدكتور لطفي السعدي من دمشق ، والسيد محمد موسى من فلسطين . ولهذا التاجر الكبير زوجة أجنبية لا تقل عنه اندفاعاً في خدمة فلسطين .

وكنا نود ان تكون واشنطن العاصمة قاعدة للمهاجرين ايضاً في الاعمال الوطنية ليكونوا على اتصال دائم بالاوساط السياسية ، ولكن قلة عدد المهاجرين فيها حالت دون هذه الامنية . ومع ذلك فاذا قلت الكمية في العاصمة فقد توفرت الكفاءة في نخبة من فلسطين من خيرة المتحمسين المندفعين، وعلى رأسها المثري المحسن محمد عيسى ابو الهوى . ولكن الله اختاره للحياة الاخرى خلال هذه الحرب الماضية ، ففقدناه ، ولعلنا نجد في نسيبه السيد جميل ابي الهوى الوطني المعروف خير عوض .

وفي واشنطن نخبة اخرى من اللبنانيين تمتاز بالمزايا الطيبة ، وخاصة بالغيرة على الوطن ، كالتجار الكبار السادة : يوسف وايوب رزق من صور ، والشاعر المعروف مسعود سماحه . اما امين داود فياض، من مجدل بعنا، ومن كان حوله من اشبال بني معروف، فقد اعجبنا بمآثرهم الوطنية في كل مناسبة، وتوثبهم

لكل خدمة لها صلة بالقومية . ولعل ذلك ما حمل السيد أمين على متابعة نشر جريدة البيان بعد وفاة منشئها ، يساعده في تحريرها الاستاذ سماحه المشار اليه .

وبودي لو اتحدث عن جميع المدن التي زرناها في اقصى الولايات المتحدة في الشمال الى اقصاها في الجنوب ، وانوه بمآثر من اجتمعنا بهم جميعا من اهل الغيرة والمروءة ؛ ولكن المقام لا يسمح بالاسهاب . وبالرغم من ذلك هل يجوز لنا السكوت عن اخواننا في مدينة بوسطن ماس ، مدينة العلم ، الذين هم في الجبهة بمثابة الطليعة . انها ايام سعيدة تلك التي قضيناها بينهم في تلك المدينة . وان ننس فلا ننسى الاستاذ المحامي فارس معلوف الذي لا يزال حامل العلم لقضية فلسطين ، واخوانه ، والقس شبلي المعلوف ، والسيد نسيم الخوري ، والاستاذ الياس يزبك . فقد الفوا جبهة من اقوى الجبهات الوطنية في المهجر بالتعاون مع اخوانهم الفلسطينيين ، وعلى رأسهم السيد شكري الخوري رئيس الجمعية اللبنانية السورية ، والسيد عيسى علي ، رئيس جمعية اللواء العربي في كونتسي ماس وغيرهم . وقد اغتبطنا في بوسطن على وجه خاص إذ الفينا المرأة العربية عضواً عاملاً في المنظمات الوطنية وفي طليعتهن السيدة اغابيا قرينة الاستاذ فارس معلوف . وهل ننسى تلك المأدبة التي اقيمت لنا في قاعة جمعية الاسعاف العمومية للسيدات ؟ فهي وان اقتصرت على الخبز والزيتون ، قصد مشاطرة المجاهدين في فلسطين شظف العيش ، الا انها كانت طافحة بالشعور القومي مليئة بالانس . وقد علقت عليها الصحف الاميركية كثيراً ، ووصفتها بانها عشاء اسبارطي .

واما وقد تطرقنا لذكر بوسطن فلا يسوغ لنا اهمال مدينة شيكاغو ، وفيها عصبة طيبة من المهاجرين تحضرنا اسماء بعضهم . وهم السادة : محمد احمد ابراهيم من البقاع العزيز ، رئيس جمعية النهضة العربية . والسادة حسن عبد الحليم ، واسماعيل احمد شلبي ، وعبد الحافظ محمد يوسف ، وسليم طوطح من بتونية فلسطين ،

واذا اقتصرنا على هذه المدن وما فيها من جمعيات عربية وافراد مخلصين، فما نريد بذلك القول ان الجبهة العربية في الولايات المتحدة تقتصر على هؤلاء. فمن الطبيعي ان نهمل ذكر اشخاص عديدين من الوطنيين، اما سهواً او اختصاراً، واما لجهلنا بهم؛ او لأن الظروف لم تسمح لنا بزيارة المدن التي ينزلون بها.

على انا قد اعترفنا سلفاً بوطنية مهاجرينا الكرام القاطنين في بعض الولايات التي فاتتنا زيارتها وقدرناها حق قدرها لما بدر منهم من الاقبال على مهمة الوفد والحرص على لقائه.

قدرنا مثلاً اندفاع ابنائنا في كاليفورنيا على اثر رسالة وردت الي من السيد ميشال عكاري في لوس انجلوس يعرب فيها عن السرور الذي شمل الجالية عندما تلقت نبأ قدوم الوفد، وانها تترقب وصوله. واعجبنا بالحماس الذي غمر بعضهم هناك حتى بادر احد أعيانهم — وآسف اني نسيت اسمه — لاصدار نشرة وزعها على المهاجرين يقدم اليهم فيها اعضاء الوفد، ويدعوهم الى الاحتفاء به، ويحضهم على مساعدة الثورة ومنكوبيها في فلسطين.

ومن الواجب ان لا يفوتنا ذكر افراد آخرين من مهاجرينا الكرام، الذين يعتبرون في الجبهة العربية من الاركان والدعائم. وفي طليعتهم الاستاذ فيليب حتي، استاذ العلوم الشرقية في جامعة برنستون. فقد كان كثيراً ما يعتلي المنابر، ويملأ الصحف دفاعاً عن العرب عامة وفلسطين خاصة.

وثمة اخوان لنا غيره سلخوا زمناً ليس قصيراً في الدفاع عن العروبة وعرفوا بكتاباتهم وخطبهم، وفي مقدمتهم الاستاذ يوسف احمد نجم (من البقاع) المقيم في كرانت هافن مشيغن: فقد اسدى للوفد، حين هبط تلك الولاية، اجل الخدمات ليس في بلدته الصغيرة فحسب، بل في سائر الولاية ايضا. ومثله في

هذا الموقف الدكتور سليمان داود في هيوستن تكساس • فقد اقامت الجالية لنا في هذه المدينة حفلة مساء الجمعة ٣١ اذار سنة ١٩٣٩ في قاعة الشابات المسيحيات رأسها الدكتور المشار اليه، وتكلم فيها مواطناي الشيخان نجم ويوسف الجميل • ولبى الدعوة نفر غير قليل من المدن المجاورة ، وكان في جملة المتكلمين المحامي الاستاذ امين جرجي نعمة المقيم في سان انطونيو تكساس، وهو رئيس الحلف السوري الفلسطيني ، واصله من بشمزين لبنان • فلمسنا في الخطب وبما تجلى على سيماء الحاضرين روحا طيبة تثلج الصدور • وكأن الدكتور سليمان شعر باغتباطنا ، وكأنه كان يحمل سراً ويود افشاءه، فاخـذ بي الى الشارع نتمشى عند منتصف الليل • وطرح علي هذا السؤال :

اتعرف لمن يعود الفضل فيما ترى من الحماس الوطني : الحماس للعروبـة ولفلسطين؟ اجبت : كلا . فقال : « كان السواد الاعظم من الجالية هنا لا يرون هذا الرأي، ولا يشعرون هذا الشعور ، فلما حاولت دولة الانتداب سنة ١٩٣٦، خلال بحث المعاهدة بينها وبين سوريـة، الاحتفاظ لنفسها بحمايـة الاقليات ، وقالت سورية معترضة : «نحن سوريون ولا اقليات بيننا» وانبرى الاستاذ فارس الخوري يدافع عن وجهة نظرهم، امتعض اكثر المهاجرين هنا من موقف الاستاذ الخوري، وانكروا عليه ذلك الخطاب الذي القاه في هذا الموضوع • ولما كنت نسيباً للاستاذ الخوري فقد اتفقت الجالية على تكليفي بالكتابة اليه لابين له خطأه ، اذ يساعد على تهديم اركان الحماية الاجنبية . التي يتمتع بهـا النصارى من اجيال طويلة • ويلقي بهم تحت سيطرة المسلمين . . .

وكنا ننتظر ورود جوابه ، ولكننا لم نكن ننتظر في هـذا الجواب سحراً بلغ من نفوذه ان قلب تفكير الجالية رأساً على عقب في هذا الموضوع • وقد جاء في جوابه الطويل ما معناه : « مثلنا نحن الاقليلات هنا في سورية مثل اقليتين في بلدين مجاورين في تركيا شمالا ، وفي مصر جنوبا • فالاقليـة التي في تركيا هم الارمن، حاولت ، باغراء الاجنبي : آلاحتفاظ بكيان لها خاص ضمن السلطنة ، وقد شاهدتم كيف كان مصيرهم • واما الذين في مصر ، وهم الاقباط ، فقد ابوا ان يعتبروا انفسهم اقلية ، واعلنوا انهم مصريون ، وقبل غيرهم في المصرية، فكان حظهم من الدولة ومن البلاد حظ المتقدم فيها •

فماذا يكون رأيكم من بعد ؟ فهل من أصالة الرأي ان نقتدي، نحن نصارى سورية، بالأرمن في تركيا، ام بالاقباط في مصر ؟ إفتونا ماجورين»

واضاف محدثي الدكتور سليمان الى هذا قوله : «وما ترى من وحدة الكلمة حول الوطن ان هو الا ثمرة من ثمار الاستاذ فارس الخوري » :

وقد ترك حديث الدكتور سليمان داود اثراً طيباً ما زلت احسه . وادرك قيمته كلما تذكرت تلك الروح الطيبة التي لاقيناها في تلك المدينة . وقد اتيحت لي فرصة اخرى أصغيت فيها الى خطاب كان له على السامعين احسن التأثير : فقد خطب سيادة المطران صاموئيل داود في الحفلة التي اقامتها لنا الجالية الكريمة في مدينة توليدو اوهايو ، فكان خطابه القومي شعلة من الوطنية ملتهبة ، ودرساً للسامعين بليغاً .

وهناك بعض العاملين في الحقل الوطني . خارج المدن الكبرى التي خصصناها بالذكر . ففي مدينة رونوكي مثري من قرية جون بلبنان اسمه السيد احمد حسين شمس الدين تبرع لفلسطين بواسطة السيد علي الجودة ، المقيم في تلك المدينة ، خلال وجود الوفد في اميركا بمبلغ الف وخمسماية دولار . وفي مدينة اشلند رجل آخر من البقاع اسمه السيد احمد محمد علوان لم يبخل على فلسطين قط ، ورافق ، فوق ذلك ، الوفد في سيارته الى المدن المجاورة في نيوفرجينا ، وتحمل معه اخطار الطوفان العظيم الذي غمر الولاية . ومثله رجل عصامي في مدينة مشيغن سيتي ، وهو السيد نعيم الجزيني من جبل عامل ، رأس جمعية العصر الجديد في مدينته ، وانشأ لها ناديا ، فكانت ، باعضائها البررة ، عنصراً طيباً ، ليس في خدمة المهاجرين فحسب ، بل في سبيل كل ما يمس بصلة الوطن .

واخيراً ، الصحافة العربية في الولايات المتحدة ، فاذا نوهنا بها متاخرين

فلانا اردنا ان نجعل ذكرها مسك الختام . فهي لسان المجاهدين وسلاحهم الماضي . ومن ذا الذي ينسى مواقف البيان وصاحبه الاستاذ سليمان بدور ؟ ولقد عز علينا فقده كثيراً وشعرنا بالفراغ الذي يتركه في الجبهة الوطنية . ثم من ذا الذي ينسى مرآة الغرب لورثة المرحوم نجيب دياب ومواقف محررها وقتئذ الاستاذ نسيب عريضه ، والهدى للاستاذ سلوم مكرزل ، والنسر للاستاذ نجيب بدران ، والسائح للاستاذ عبد المسيح حداد ، والسمير للاستاذ ايليا ابي ماضي ، والعروس للاستاذ ميشال سليم ابي رجيلي ؟ وقد اصدر الاستاذ ابو رجيلي وهو من نجمدون « لبنان » مجلة شهرية باللغة الانكليزية اسمها (World Monthly) وذلك في شهر تموز سنة ١٩٣٨ عنيت ايضاً بالدفاع عن فلسطين . وفي الجملة فان لهذه الصحف التي تعرفنا اليها يعود الفضل في كل خير يشمل الوطن العربي .

ونذكر هنا رجلاً من خيرة رجالنا المفكرين ، كان يتردد على اميركا دفاعاً عن العروبة واهلها فيكون بمثابة نجدات قوية متوالية للمرابطين فيها من ابناء العرب ، واعني به الفيلسوف امين الريحاني . فقد كان الامين يشد الرحال عاماً بعد عام الى العالم الجديد ، وهو على اتفاق سابق مع بعض معاهدها العلمية وانديتها الكبرى ، لالقاء محاضرات في المواضيع الشرقية . فكان يختار ، على الاكثر ، موضوعات ترفع من شأن قومه ، او تدفع عنهم مساوىء دعاوات خصومهم ، فيوفق ، وخاصة في كفاحه عن وجهة نظر العرب في قضية فلسطين .

وهل اغفل عن رفيقي في الوفد العربي الفلسطيني خريج جامعة سنسناتي وسكرتير الحزب العربي الفلسطيني ؟ فكم من مرة حاضر الاستاذ اميل الغوري في معاهد الولايات المتحدة دفاعاً عن وجهة العرب في قضية فلسطين ؟ وكم

« فرّ » مني وثوباً الى مناقشة احــد المحاضرين اليهود من على منابر تلك المعاهد الثقافية والسياسية ؟

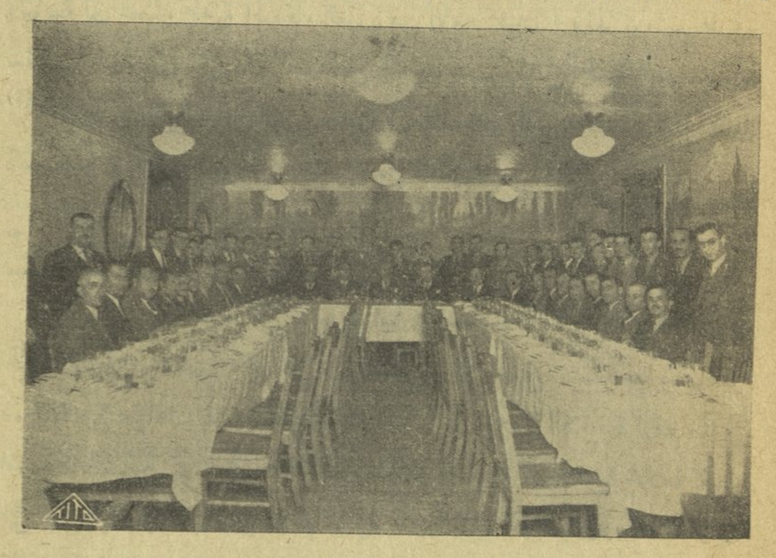
وبالرغم من ان كل هؤلاء ، اذا قدموا هـــذه الخدمات لفلسطين اوللعرب انما يقومون بواجب عليهم لوطنهم ، فلا بدّ ، مع ذلك ، من توجيه الشكر اليهم والثناء ، وخاصة الى اعضاء جمعية اصدقاء العرب من الاميركيين . ونذكر منهم هاري سنيدر [1] وويتني كربنتر [2] . ونخص بالذكر منهم رئيس الجمعية اليهو غرانت [3] الذي لم يسد الينا ، نحن العرب ، المعروف بالمساعدة المعنوية فحسب ، بل طالما شفع هذه المساعدة بالعون المادي من اجل فلسطين .

٣ ــ الجبهة العربية في المكسيك .

ان جبهة المكسيك التي تبدو جناحاً في خطوط الدفاع العربية بالنسبة لجبهة الولايات المتحدة ، ان هي في الواقع ، الا جبهة منيعة جداً ، واظهر مكانة من سواها . لان مستوى ابناء العرب في اميركا اللاتينية ارفع منه في امريكا الشمالية . وهم في عاصمة المكسيك ، خاصة ، كتلة قوية محترمة تغبط على صناعاتها وتجاراتها ومؤسساتها المالية . ولها اندية وجمعيات وصحف . والى ذلك فان جماعة غير قليلة من بني معروف تتكتل في « العاصمة » ، وتتمتع بمنزلة أدبية ومادية طيبتين . وحيث يستقر بنو معروف تتجلى الوطنية والشجاعة ، لذلك كانت مكسيكو بهم وبأمثالهم من سائر النحل العربية احدى قواعد العروبة في المهجر .

(١) Hary Sneider
(٢) C. W. Carpenter
(٣) Elihu Grant

وما ابلغ ما شاهد الوفد ، منذ هبط مكسيكو (في ١١ نيسان ١٩٣٩) ، من مظاهر الحماس للعروبة والقومية : فبينا كانت الجالية العربية على اختلاف طوائفها تتأهب لاعداد حفلة كبرى جامعة احتفاء بهمة الوفد ، وكان وجهاؤها يقيمون له الولائم في الدور والاندية ، لم يطق بنو معروف صبراً على الانتظار



المأدبة التي اقامها لفيف من جالية بني معروف في مكسيكو تكريماً للوفد

الى يوم الحفلة الجامعة ، بل بادروا الى اقامة حفلة زاهرة خاصة في كونكورديا ، اشهر مطاعم العاصمة ، افتتحها السيد حسيب خليل حمدان رئيس جمعية الجامعة العربية . ثم لم يقتصروا على الكلام والخطب الحماسية المتبادلة ، بل مهروا هذه الحفلة بنحو ستة آلاف دولار مكسيكي تبرعاً لفلسطين . وكان على رأس المتبرعين السادة : جمال الدين وخليل حمدان من باتر الشوف ، وعادل مرشد صعب من الشريفات ، ونجيب صعب من الشويفات ، وفؤاد زين الدين من عين قني ، وقاسم

سلمان ابو علي وشركاه من بزبدين . وشاءت جالية الطائفة الارثوذكسية الكريمة في العاصمة المكسيكية ان لا تنتظر ايضاً موعد الحفلة العامة، زيادة في تكريم المبدأ الذي جاء الوفد لاجله ، فبادرت الى اقامة حفلة في نادي برندس من افخم الحفلات . وقد نوهت رسالة الجامعة العربية المؤرخة في ٣ ايار ١٩٣٩ بما لاقى الوفد في مكسيكو من الحفاوة . وبعد ذكرها الحفلات العامة والتنويه بالسهرة الزاهرة في قصر الوجيه السيد اسعد ايوب قالت : « ولو ان الوفد الكريم بقي سنة كاملة في عاصمة المكسيك لما استطاع ان يلبي كل الدعوات للولائم التي مهدت اليه بالحاح ، وكان يعتذر شاكراً . وقد علمنا منها المأدبة الحافلة التي اعدها له الوجيه المثري يوسف سليم في كلوب ده فرنس، والمآدب في دور كل من الشيخ ناصيف الفضل، والدكتور وليم جمال ، والشيخ نجيب صعب، والشيخ عادل صعب ، وفؤاد بك زين الدين، والشيخ حسيب حمدان، والشيخ محمد كرامه ، والسيد عزيز مسلم » .

على ان هذه الحفلات والولائم وان كانت تعرب جلياً عن اهتمام شخصي بمهمة الوفد فان الحفلة الكبرى التي اقيمت له مساء ٢٠ نيسان ١٩٣٩ وجمعت حوله في نزل ريفورما على مائدة فاخرة خيرة الجالية من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين ، على اختلاف مذاهبهم ، كانت برهاناً على اتفاق كلمتهم حول القضية الوطنية ، او كانت بتعبير ابين دليلاً على مناعـة الجبهة العربية في عاصمة المكسيك . هذا الى ان الصحافة العربية التي تصدر في تلك العاصمـة فتتدفق فيها مشاعر الوطنية تدفقاً غزيراً ، ومنها جريدة الفرائد للشيخ ناصيف الفضل (لبنان) ، ومجلة الغربال للاستاذ حنا الناصري (فلسطين) دليل على مناعة تلك الجبهة .

وكم انست بلقاء مواطنين لي في هذه العاصمة من الاسر البيروتية المعروفة

وهم السادة . اسكندر غبريل ، وجرجي طراد ، وميشال ريحان ، ومنصور فياض ؟ وكم احاطوني ، مع غيرهم ، بجميل عطفهم و كريم حدبهم ، وكم احاطوا القضية ، التي تحملت اعباء السفر الطويل من اجلها ، بعظيم الاهتمام والمساعدة ؟



المأدبة التي اقامها لفيف من الجالية الارثوذكسية في مكسيكو على شرف الوفد

واذا وجهت الشكر الجزيل لجاليتنا في عاصمة المكسيك فما انا بناس اخواننا وابناءنا الآخرين المنتشرين في سائر المدن والقرى . وهل بوسعي ان انسى آل القنواتي من بيت لحم ؟ انهم اخوة اربعة كانوا يتسابقون في خدمة هذه القضية : فبطرس استقبل الوفد في لاريدو تكساس على التخوم المكسيكية ، واهمل كل مشغلة آخرى غير الوفد ، وسهل له مهمة الدخول للمكسيك . اما سليمان كبيرهم ، وحنا واسبير يدون المقيمون في مونتري

فلست استطيع ان اعبر عن هذه الرحابة التي استقبلونا بها ، ولا الخدمات الجزيلة التي ادوها لمهمتنا، هم وابناؤهم . وقد اتاحت لنا الحفلة الوداعية التي اقامها السيد حنا قنواتي في داره للوفد مساء ٩ ايار ١٩٣٩ ، ان نتصل بنخبة من المكسيكان وعلى راسهم رجل الصناعة والادب جول أروت ، ومدير بنك نابليون دومنكو فالدس جانو ، والمحامي هيكتور غونسالز ؛ وكان كلامهم في الحفلة عنوان ادبهم واتجاههم . كما اتاحت هذه الفرصة لنا ولسائر الخطباء، وهم المحامي توفيق بشاره، وعيسى صالح طلاماس، والدكتور قيصر مطر، أن نتبسط بتوضيح وجهة نظر العرب في قضية فلسطين ، وان نثير هذا الموضوع في صحف المدينة .



مأدبة آل القنواتي في دار احدهم السيد حنا ، في مونتري – المكسيك – على شرف الوفد

وعرج الوفد، في طريقه الى مكسيكو العاصمة، على تامبيكو. وفي هذا الثغر جالية عربية تتقد حماسة للعروبة ولفلسطين، وفيها نادلفرع الجامعة العربية كان يرأسه السيد علي مصطفى الغوراني (من مرياطه — لبنان) ويتولى امانة سره السيد جورج هواش. وقد احتفلت هذه الجالية بالوفد احتفالا شائقاً. وصفت نشرة الجامعة العربية في نيورك بتاريخ ١٧ ايار سنة ١٩٣٩ ذلك الاحتفال احسن وصف، ثم قالت: «وقد اقترح السيد مهدي احمد ابراهيم ان يسلم المبلغ الى الوفد فيتولى امر ارساله، فوقف الاستاذ محمد جميل بك بيهم وشكر المقترح، واعتذر عن استلام المبلغ، لان العادة التي جرى عليها الوفد، منذ وصوله الى نيويورك، ان لا يتناول التبرعات وانما ترسلها لجنة الاستقبال الى منكوبي فلسطين تحت اشرافه.»[1]

وبعد ان زار الوفد عاصمة المكسيك غادرها الى مدينة طوريون، وفيها كتلة مختارة من جبل عامل، وعلى رأسها آل شموط الكرام. فما كدنا نقترب من المدينة حتى الفينا الجالية قد خرجت لاستقبالنا بقلوب ملؤها الفرح، ووجوه تطفح بشراً وبهجة. واصبح فندق سالفادور الذي نزل فيه الوفد، كأنه في ايام المواسم والاعياد مليئاً بابناء العرب على اختلاف امصارهم. وبينما كان نادي جمعية الوحدة العربية الذي يرأسه السيد اسماعيل رمضان دائم الاحتفاء بالملتفين حول الوفد من الجالية، فتح كل من السيد خليل عيسى مرقص (فلسطين) والسيدين زين العابدين شموط واخيه ابي علي (لبنان)، وهم من عمدة الجالية،

---

(١) تلك كانت خطتنا التي احرزنا بها كمال الثقة، فكنا نخير اللجنة التي تجمع المساعدات لفلسطين ان ترسل المال بواسطة من تشاء من ثلاثة وجوه: عمر بك الداعوق في بيروت، وطلعت باشا حرب في القاهرة، والحاج ياسين دياب في دمشق. وهم بدورهم يسلمونه للجنة منكوبي فلسطين.

بيته للاجتماعات حول الوفد، واولموا له الولائم . ومثلهم السادة سليم ابو الخدود وسليمان فرنجية، ونقولا ابو سمره، واسماعيل رمضان، وغيرهم. اما حفلة الوداع في دار السيد بطرس الحايك واخيه جورج فقد تجلت فيها الحمية والاخلاص، وتجلت فيها الوطنية باوضح معانيها في الخطب التي تبودلت . وقد تعرضت نشرة الجامعة العربية الى ما تركه الوفد من اثر في مقال تحت عنوان « جالية طوريون في عيدها الوطني » فقالت :

« وقد ترك الوفد طوريون بعد ان شكل فيها رايا عاما كانت قد فرّقته السياسات فأصبح الكل شاكراً مساعيه». واما ما بقي خالداً في افئدة الوفد فهو ذاك الحماس الوطني الذي قوبل به بطوريون وودع به ، حماس كان مشفوعاً بالتبرع بمبلغ ٥١٩٠ ريالا مكسيكياً لقضية فلسطين ، ارسلتها لجنة الاستقبال فوراً. هذا الى ان خمسة عشر وجيهاً من وجهائها واكبوا الوفد مشيعين الى مسافة اربعمائة كيلو متر خارج المدينة .

واتيح لي ان القى امثولة اخرى من هـذه الامثولات الوطنية التي تدل على تعلق الجالية بوطنها العربي في بلد آخر من بلاد المكسيك . ذلك ان مرضاً الم بي من جراء التعب والحر اقعدني عن متابعة السير الى مدينة شيواوا، وعن مشاهدة اخواننا المقيمين فيها . ولا اصف الحفاوة التي لقيها الوفد فيهـا حين وصوله اليها في ٢٨ نيسان ١٩٣٩ ، ولا تلك الولائم والحفلات التي اقيمت على شرفه في دور السادة حنا النحاس، ويوسف طشي، وروفائيل طلاماس، وبطرس المعوشي، وجبور ايوب، ونصري المعوشي، وعبد الرحمن جميل سعود، بل انقل عن نشرة الجامعة العربية بنيورك (١٧ ايار ١٩٣٩) عبارة فيها خير وصف لوطنية هؤلاء الاخوان البررة قالت : « وكان الاسف شديداً بين الجـالية لحرمانها من زيارة الاستاذ محمد جميل بيهم ، وهي تترقب رؤياه ، وبلغ من

تحمسها حين وصل الوفد ولم يكن الاستاذ بيهم بينه ، ان السيدين الوجيهين حنا ايوب وبطرس المعوشي عزما على تكليف طيارة لنقله لولا ان اقنعها الوفد بعـــدم امكان حضوره » .

وقبل ان يغادر الوفد بلاد المكسيك يوم ٩ ايار ١٩٣٩ اقامت له الجالية في مونتيري حفلة كبرى في نزل سيرو ديلاسيا، وهو نزل اعد للسياح في ضاحية المدينة، وفيه ناد على الطراز العربي ، واعدت للوفد مائدة عامرة التف حولها المشيعون ، فجمعت بين جالية مونتري والمودعين الذين واكبوا الوفـد من طوريون وسالطية . فكانت مؤتمراً جامعاً ، تناوب على الخطابة فيه ، عـدا اعضاء الوفد ، السادة: لويس انطون مرقس، والمحامي توفيق بشاره، وانطون دعيك، ونقولا ابو سمره. ثم غادر الوفد بعد ذلك المكسيك رافع الرأس مطمئن النفس الى ما رأى وشاهد . وترك في جبهة المكسيك قوة للعروبة وذخراً لها عند كل حاجة، كما ترك في الولايات المتحدة و كوبا قوى أخرى، هي وباقي جبهات المهاجر ، حصون منيعة لقوميتنا المجاهدة الطامحة .

٤ ـــ تصدع الجبهات العربية في اوروبا وامريكا .

كم انا آسف، بل حزين لان الجبهات العربية قد انهارت في انكلترا خلال الحرب ، واوشكت ان تنهار في امريكا ، في حين ان الصهيونيين قد انزلوا الى ساحات المعركة قوات جديدة قوية من الرديف الاحتياطي الذي لا ينفد معينه .

اجل انهارت تلك الجبهات لاسباب مختلفة ، اهمها ان العرب وان اشتدت اواصر عطفهم على فلسطين، واتحدت كلمتهم في سبيل الدفاع عنها ، الا انهم لم يتفقوا، حتى بعد قيام الجامعة العربية، على خطط الدفاع، بل لم يضعوا متفقين

تصميا واحداً للتنظيم في صعيد الجهاد . وربما كان خلو مركز القيادة العليا في القدس خلال الحرب الاخيرة وبعدها اثر فعال في هذا الانهيار ؟

ولا ريب ان الحرب نفسها كانت من جملة ما ادى لانهيار الجبهات العربية : فقد اغلق المكتب العربي بلندن ، وانحلت جمعية الجامعة العربية في نيورك ، وخفتت اصوات الجمعيات العربية في امريكا . وكذلك مني العرب خلالها بفقد ابطال كثيرين من المتطوعين للدفاع ، باقلامهم والسنتهم واموالهم ، عن فلسطين في الجبهات الغربية . توفي في لبنان امين الريحاني ، وفي فلسطين جورج انطونيوس ، وفي الارجنتين قائد القضية الاعلى الامير امين مجيد ارسلان . وفجعنا بنيورك بوفاة الدكتور فؤاد شطاره ، والدكتور رزق حداد . وكانا يتنافسان على التقدم في صفوف العاملين ، والى ذلك فقد كانت الخسارة فادحة بوفاة الشيخ سليمان بدور صاحب جريدة البيان ، وبفقد الاستاذ فؤاد خليل مفرج ، وكنا نترقب له مستقبلاً مجيداً في خدمة القومية . ثم بوفاة الاستاذ أسيب عريضة .

هذا فضلاً عن خسران القضية ، في ناحية اخرى ، فريقاً من رجال المال الذين عرفوا بكرمهم وسخائهم في سبيلها . ومنهم السيد محمد عيسى ابو الهوى في واشنطن ، والسيد سليمان القنواتي في مونتري المكسيك .

٥ ترميم الجبهات العربية في اميركا وتدعيمها .

شرعنا نستبشر ونتفاءل مذ ادركت الحرب ايامها الاخيرة ، وليس ذلك لما قامت به الدول الممثلة في الجامعة العربية من تنظيم في سبيل الدفاع عن فلسطين فحسب ، ولا لقيام مكتب عربي في واشنطن ، بل لما وصل الينا عن اميركا من انباء مسرة حول جمع الصفوف وانبراء اصحاب الكفاءات للعمل

في سبيل العروبة وفي سبيل فلسطين . فضلاً عن اهتمام مهاجرينا الاخرين في افريقيا .
والى تلك الجهود التي تبذلها الجمعية في فلنت متشيغن، وعلى راسها الاستاذ امين فرح، قصد ملء الفراغ الذي تركه انحلال جمعية الجامعة العربية في نيورك، فقد تقدم الاستاذ فيليب حتي، اجابة لداعي الواجب، بعد ان كادت تخلو منابر الولايات المتحدة من خطباء العرب، فخطب وكتب وناضل وجادل؛ وهو، بسعة اطلاعه، خليق ان يعوض علينا جزءاً كبيرا مما خسرناه في تلك البلاد . وقد نشرت جريدة الهدى بنيورك ترجمة الاعتراض والرد الذين تبودلا بينه وبين العلامة اينشتين والاستاذ كاهلر على صفحات جريدة «برنستون هرالد» منوهة بان الدكتور حتي كان الشاهد الاهم من جانب العرب الذي استدعي للادلاء بارائه امام لجنة التحقيق الخاصة التي انتدبها مجلس الشيوخ الأميركي .

وقد انبرى لشد ازره زميله في جامعة برنستون الدكتور نبيه فارس، الذي عاد لبيروت اخيراً للتدريس في الجامعة الاميركية، كما ان الاستاذ ميشال مالطي، العالم في الهندسة الكهربائية من جامعة كرنيل، انضم الى صفوف المجاهدين في بلاد العم سام، وغيره من ارباب الغيرة

وشعرنا بكثير من الارتياح حينما تساقطت علينا انباء بعث جديد في الشؤون القومية ترعرع بين صفوف المجاهدين، وكان بمثابة صدى لمباحثات الوحدة العربية في مصر . ومن آياته ذلك المؤتمر الذي عقد في نيورك في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ للنظر في المشاكل التي تواجه العالم العربي، وفي طليعتها المشكلة الصهيونية . وقد شهده سبعون مندوبا من قبل الجمعيات العربيات في الولايات المتحدة وكندا، كما حضرته وفود سورية ولبنان والعراق الى المؤتمر التجاري الدولي، والى مؤتمر الطيران الدولي . وكان في عداد

الذين اشتركوا في هذا المؤتمر الاستاذ محمود ابو الفتح صاحب جريدة المصري واحد اعضاء مجلس الشيوخ .

وكان من اهم مقرراته انشاء مكتب يطلق عليه اسم معهد الشؤون العربية الاميركية[1] وتوجيه برقيات الى الرئيس روزفلت ، والى وزير الخارجية ، ورئيسي لجنتي مجلس الشيوخ والنواب في واشنطن ، يعربون فيها عن وجهة نظر العرب في مشكلة فلسطين وامانيهم . ثم اعرب هذا المعهد عن نشاط في مناسبات لاحقة تناول القضايا العربية على وجه عام ، ومعضلة فلسطين على وجه خاص . ومما قام به المعهد في سبيل فلسطين ، فضلاً عن تاسيس الفروع ، ما يلي :

(١) لما انعقد مؤتمر سان فرنسيسكو ارسل المعهد من قبله رئيسه المحامي الاستاذ فارس معلوف فكان والدكتور فيليب حتي خير صلة بين ممثلي الدول العربية وغيرهم من الساسة والصحافة .

(٢) اصدر المعهد بياناً في قضية فلسطين وكراساً عنوانه «اوراق عن فلسطين» وزع منها مئات النسخ في المؤتمر ، كما وزع بعض المؤلفات التي توضح وجهة نظر العرب ، والنشرات .

(٣) نشر المعهد في الصحف بعض المقالات عن فلسطين ، خصوصاً في جريدتي التيمز والهرالد تريبون النيوركيتين . هذا فضلاً عما يقوم به من الاذاعات على محطات الراديو الاميركي ، ومن المحاضرات في المجتمعات العلمية ، ومن النشرات الدورية .

(٤) تقدم كل من الدكتور فيليب حتي والاستاذ فارس معلوف رئيس الشؤون العربية الاميركية والدكتور خليل طوطح مدير اللجنة التنفيذية

---

(١) Institute of Arab American affairs. 160 Brodway New-York.

هذا المعهد ، والدكتور جون حزام من اساتذة « سيتي كلليج » ، ومن اعضاء هذه اللجنة التنفيذية [1] ، وادوا باسم اللجنة ، وبلسان العرب في يوم ١١ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ شهادتهم امام لجنة التحقيق البريطانية الاميركية ، فأحسنوا الشهادات جد الاحسان .

وكما ان الامال اصبحت معقودة على المكتب العربي النشيط في واشنطن فان انظار العالم العربي تتجـه شطر لجنة معهد الشؤون العربية الاميركية في نيورك اذ اصبحت مدار الحركة العربية في اميركا ولسان حال الجبهة .

هـذا الى ان سفارات الدول العربية في اوروبا واميركا ، وخصوصاً في لندن وواشنطن ، اصبحت بمثابة قواعد استراتيجية للجبهات العربية فيما وراء البحار ، ومحور الدفاع عن فلسطين المقدسة . ولو انها تكون اشـد تقارباً فيما بينها ، واكثر تعاوناً مما هي عليه الآن لأتت بفوائد اجل واجزل للعرب عموماً .

وهذه ملحوظة نتسامح بتوجيهها الى الحكومات العربيات على امل ان تاخذها بعين الاعتبار وتامر سفاراتها بأن تتقارب وتتواصل وتتعاون في سبيل تحقيق امانينا المشتركة .

---

(١) وقد انبرى الدكتور حزام للكتابة في موضوع فلسطين . وقد اطلعنا على مقال له نفيس في هذا الموضوع نشر في الجزء الثالث من مجلة العالم العربي الاميركية the Arab World في هذا الموضوع .

الفصل التاسع

كيف نربح معركة فلسطين؟

نربح المعركة بمساع داخلية نفسية وعملية – وبمساع خارجية تنظيمية وسياسية – وبمواقفنا الحازمة ازاء مقرارت اللجنة الانكليزية الاميركية .

•

لنستبدل بصراخ الضعيف حزم المؤمن .

آمن العالم العربي والعالم الاسلامي بان الصهيونية ليست خطراً على فلسطين وما فيها من مقدسات فحسب ، بل هي الكارثة المداهمة لها جميعاً . ومنذ ثورة فلسطين عام ١٩٣٧ التف العالم العربي، بشعوبه وحكوماته، حول هذا البلد المقدس، ولا يزال يقابل كل تصريح يتعلق بفتح ابوابه للهجرة ، او باقامة دولة يهودية فيه، بنفور عام، فيرسل الاحتجاجات مدراراً

وبلغ من اهتمام العرب بفلسطين انها اصبحت بمثابة « اللازمة » لكل مؤتمر

يعقدونه، وانها اضحت مدار اهتمام الجامعة العربية .

على اني ما قرأت هذه الاحتجاجات التي يلجأ اليها قومي، اثر كل موقعة يخسرونها، الا واحسست بالم يحز فؤادي، إذ ارى فيها صراخ الضعيف الذي تنزل به النكبة ، ولا يملك حيلة غير الصراخ والعويل!

لقد بسطنا في الفصول السابقة كيف ان خطوط العدو في هذه الحرب المشتعلة بيننا وبينه، مذ صدر وعد بلفور، اخذت تتقدم يوماً بعد يوم حتى ادرك الخصم الهدف او كاد : فاقام فعلاً الوطن القومي في فلسطين. واشرنا الى ان الخصم لم يقف عند هذا الحد، بل استرسل في مطامعه، وشرع يطالب بقيام دولة يهودية . وهو الى ذلك قد طرح شباكه على الشرق العربي مستعيناً بالمال والتنظيم. وآخر موقعة ربحها العدو هي وقفه مفعول الكتاب الابيض ، وتكليف لجنة بريطانية اميركية للتحقيق مجدداً في القضية .

وكأني به سيربح المعركة الاخيرة اذا ظل العرب يحافظون، في الدفاع عن فلسطين ، على اساليبهم العتيقة، ومدارها ان لا يسمع لهم صوت، ولا يرى لهم عمل، الا إثر كل ضربة تقع على رؤوسهم .

لقد تبدل العالم غير العالم، فاصبح العرب اقوياء ايجابياً بالجامعة العربية رمز اتحادهم، وبما لهم من مركز ممتاز جغرافي، ومكانة اقتصادية، فضلاً عما لهم من من العدد في هيئة الدول المتحدة والانصار . واصبح العرب اقوياء سلبياً بضعف شأن اليهود في العدد والسيطرة المالية نسبة لما كانوا عليه عام ١٩٣٩ . وكان لابد لنا، وقد واتتنا الظروف، ان نخرج من نطاق الاحتجاجات الى المبادرة، وان نجابه العالم بقوة الارادة وقوة البيان، كيما تبلغ بفلسطين الحل الذي يتفق مع امانينا . ان قضيتنا لم تعد تكسب باساليب مرتجلة، ولا رابطة بينها . والمعركة لا تكسب في ساحات فلسطين والشرق العربي وحدهما ، وانما تربح القضية اذا التزمنا الخطة التي

يلتزمها الصهيونيون ؛ خطة التنظيم ، ضمن برنامج عام يضعه العرب ،ويتضافرون على تحقيقه . برنامج لا يغفل شأن الناحية الاقتصادية ،بل يضعها الى جانب الناحية السياسية ، وفي مرتبتها .

ونربح المعركة باكتساب الرأي العام العالمي بواسطة دعاوات متزنة ايجابية وسلبية ؛ دعاوات تعتمد على تطورات التوازن الدولي ، تخرج معها وجوه العرب بيضاء من غير سوء .

على ان الجامعة العربية ، التي ستتولى القيادة ، لا بد لها من ان تستقل ، في سبيل فلسطين ،عن نفوذ السياسات الدولية الخاصة . ذلك لان ارتباطها بهذه السياسات قد يقضي عليها بالاحجام حين يجب الاقدام ، ويدفعها لالتزام السكوت إبان الحاجة الماسة للكلام .

ونحن وان لم تكن لنا الجدارة الكافية للادلاء بالرأي في الجواب على سؤالنا – كيف تربح المعركة ؟ ولكننا نفعل هذا قصد اثارة الموضوع وبغية التذكير .

– أ – المساعي الداخلية

– ١ – (الاعداد النفسي)

للناحية النفسية تأثير شديد على الصهيونيين ، وعلى ما يتمتعون به من حماسة ونشاط وجلد وتضحية . وقد اجملها هاري بيلين عندما قال :

« اني هنا (بفلسطين) لا اشعر بمركب النقص : فان لي هنا شيئاً هو ملكي ، وانا وقومي نمشي ورؤوسنا مرفوعة ، وهنا لا ارى قط لوحاً كتب عليه : « الزبائن محدودون » او « لا يسمح لليهود والكلاب بالدخول » ولنا هنا اغانينا القومية ورقصنا القومي . وقد صارت لغتنا العبرية لغة حية . »

ولما زار السيد فردريك س . باينتون فلسطين ، وهو مكاتب مجلة ريدرز دايجست ،

ودوّن تقريراً عنها ، تناول ما شاهده من الجهود التي يبذلها شبان الصهيونيين فيها وبعض من ذوي الارومات الكريمة ، في سبيل ترليل الارض للزراعة علق عليه بقوله : « ولم يسعني الا الاعجاب بمثل هذا الجلد العظيم والشجاعة المصممة . ولكن عقلي قال لي : ان هذا بدع . ولو ان اجور العمل كانت عادية لبلغت تكاليف الطماطم ستين سنتاً للواحدة على الارجح . ولكن هذا يثبت ان الرغبة بامتلاك الارض واستثمارها في وطن لهم قوة دافعة لكثير من اليهود » .

والواقع ان الصهيونيين يظهرون مثل هذا الجلد في كل ناحية من نواحي الجهاد في سبيل فلسطين ، وما تضحياتهم التي ارسلنا امثلة عنها في ناحية التملك والاستثمار ، الا شيء من نواحي هذا الجلد والتوثب لادراك الهدف بمضاء وجشع . وقد نوه بذلك السيد روبيرت زولد ممثل المؤسسة الصهيونية الاميركية ، في شهادته بالولايات المتحدة امام اللجنة الانكليزية الاميركية ، وقال :

« ان لدى اليهود في فلسطين شيئاً لا يملكونه في اي مكان آخر ، ذلك هو الحافز والحماسة التي لا تريد الا ان تصنع الشيء جيداً . »

ونحن ، وان كنا في فلسطين وفي غير فلسطين نتحسس بشعور قوي للدفاع عن بلدنا المقدس ، ولكننا ، مع الاسف ، لا ندرك في هذا الصعيد مستوى شعور الصهيونيين حيث ترخص لديهم التضحيات حتى في غير أوان الثورات ، ويتجلى المضاء والجلد مع الحماسة في جميع الاوقات .

لقد كان يفحمنا الباحثون ، في كل مرة تثار فيها قضية فلسطين ، بقولهم : « وما ذنب اليهود ؟

« انهم يؤدون ثمن الاراضي غالياً في فلسطين ، انما التبعة تقع على المقتنين بالمال يقدمون اراضيهم لقاء دريهمات معدودات . وهم لا يبيعون في الواقع امتاراً من الارض ، ولكنهم يبيعون وطنهم ووطن آبائهم وابنائهم . »

وبما ان الحرب قائمة بيننا وبين الصهيونيين ، وان مطامعهم في هذه

الحرب لم تعد تقتصر على تخوم فلسطين ، وانما تتعداها الى الاقطار العربية ، فمن الواجب على قادة الحركة الفلسطينية في بلاد العرب ، وفي الامصار الاسلامية ، ان يعملوا على اعداد قومنا اعداداً نفسيا يجعلهم يشعرون بمثل ما يتحلى به الصهيونيون من الشعور ، وبقدره نحو قضية فلسطين . بل اولى بنا ان تكون هذه الحالة النفسية فينا اوفر استعداداً للتأثر والانفعال من هؤلاء الخصوم ، لانا نقف موقف الدفاع عن وطن يريدون ان ينتزعوه منا انتزاعاً ، بينما رائد المعتدين الغزو والاكتساح .

يجب أن نثير في ناشئتنا خاصة مشاعر الدفاع عن اوطانهم بعنف وقوة ، وان تتضاعف هذه الاثارة لدى عرب فلسطين ، وان نعمل في الوقت نفسه في فلسطين وفي البلاد العربية الاخرى ، حتى تصبح النقمة على الصهيونيين وانصارهم عقيدة لا تتزعزع في نفس كل عربي ، فيقاطعونهم مقاطعة تامة في الصناعات وفي كل ناحية اخرى . على ان يرافق ذلك ايمان راسخ بان هذا العمل لا يقتصر نفعه على الدفاع عن فلسطين ، بل هو انقاذ لبلاد العرب كافة المحاطة بالخطر ، ودفاع عن قومية العرب ولغة العرب المهددتين .

واخيراً ، كما ان الفرح هو مثار الانتعاش لدى الصهيوني وسبب تضحياته فينبغي ان يكون الالم مبعث وثبة العربي للدفاع عن مقدساته وكرامته ، بل اقول : عن كيانه .

ـ ٢ ـ (محاربة الصهيونيين وانصارهم اقتصادياً حيث كانوا)

لا شك ان الناحية الاقتصادية تأتي في المرتبة الاولى من الكفاح . فقد اشرنا في غير موضع من هذا الكتاب الى ان الصهيونيين لجأوا الى الصناعات المختلفة يعززونها في فلسطين قصد ان يعدوا هذا البلد المقدس اعداداً صناعياً

يستوعب اربعة ملايين ونصف مليون مهاجر جدد يريدون سوقهم اليها تباعاً ، متخذين من بلجيكا، التي مكّنتها الصناعة الراقية من استيعاب ٧٠٠ شخص في الميل المربع ، قدوة ومثالا . ونوهنا بالفرص التي اتيحت لهم خلال هذه الحرب الحاضرة ، واعانتهم على هذا القصد ، فارتقت خلالها الصناعات عندهم حتى كانت تهدد في بعض النواحي صناعات انكلترا . وعلقنا على كل ذلك بخوف اليهود من مصير هذه الصناعات المتعددة بعد الحرب حينما تهب معامل العالم بمنتوجاتها المزاحمة في اسواق الشرق ، لا سيما وفلسطين لو عمدت الى حماية مصنوعاتها فلا تستطيع اسواقها تصريف جزء صغير من حاصلات معاملها الصناعية .

اذن فالصهيونيون لا يجدون لهم مخرجاً لتحقيق امانيهم ، سواء ما كان القصد فيها اعداد فلسطين اعداداً صناعياً ، او ما كان منها يرمي لاستبقاء حياة الصناعات القائمة ، الا بأن يغمروا العالم الشرقي عامة ، والعربي خاصة بانتاجاتهم جاعلين فلسطين مركزاً استراتيجياً لهذا الغزو .

لذلك كان نجاح الصهيونيين في صعيد رواج مصنوعاتهم في اسواق الشرق العربي معناه بلوغهم الغاية من تعزيز قوة الاستيعاب بفلسطين ؛ وبالتالي ايجاد حجج لاستمرار فتح باب الهجرة اليها ادراكا لمثلهم الاعلى ؛ كما ان اخفاقهم في هذا الصعيد مؤداه جلاؤهم تدريجاً عن فلسطين . ولهم عبرة في ذلك بما اصابهم سنتي ١٩٣٣ و ١٩٣٤ . حينما ادى كساد الاسواق وقتئذ الى ان اصبح عدد النازحين منهم يزيد على عدد الداخلين .. ولولا ضغط النازي من بعد ، ولولا نشوب الحرب ، لظل نزوحهم عن فلسطين تحت ضغط الضائقة المالية مستمراً .

ولقد اخذت جامعة الدول العربية بعين الاهتمام هذه الاعتبارات فقررت

مقاطعة البضائع الصهيونية. ووقفت الجامعة واجبها بهذا القرار ، وبات الواجب معلقاً في عنق الدول العربية وشعوبها. وهو واجب يتوقف عليه كسب الحرب، او بكلمة اخرى ،فان نجاح المقاطعة واخفاقها يترتب عليهما اما جلاء الصهيونيين عن فلسطين ،واما جلاء العرب انفسهم عنها .

وكان قرار المقاطعة كقنبلة ذرية وقعت في صفوف الصهيونيين ، فراحوا يعملون بشتى الطرق كيما تتدخل حكومة جلالة الملك لوقفها . وقد حملوها على ان تكتب الى الجامعة العربية ،والى الدول الممثلة فيها ، عن عدم ارتياحها لمقاطعة فلسطين . ولكن هذا التدخل لم يؤثر شيئاً على العرب لان المقاطعة حق داخلي من حقوقهم .

وبدا اهتمام البريطانيين بالمقاطعة منذ الجلسة الاولى التي عقدتها لجنة التحقيق البريطانية الاميركية بالقاهرة . فان السيد كريك، المستشار الاقتصادي لبنك ميدلند في انكلترا، تعرض لها وطرح على امين سر الجامعة العربية هذين السؤالين

(١) ما هي الاسس التي اقيمت عليها المقاطعة (٢) ومتى يعدل العرب عنها؟

وبعد ان اجاب عزام باشا على السؤال الاول سمعناه يقول في الرد على السؤال الثاني : « ما دامت فلسطين لا تتمتع باستقلالها كدولة عربية فلا سبيل للرجوع عن قرار مجلس الجامعة بالمقاطعة . اما اذا استقلت فلسطين فستكون الدولة الفلسطينية بجميع سكانها الحقوق والمزايا التي لسائر الدول العربية » .

على ان البلاد العربية قاطبة قد تلقت قرار المقاطعة بالقبول الشديد ، واهتمت حكوماتها جميعاً بما يترتب عليها من وضع الخطط المحلية التي تؤمن تحقيق المشروع على احسن وجه ؛ واجتمع ممثلو لبنان وسورية للبحث في توحيد المسعى بشأنهم في كل الاعمال المشتركة ولكن من المؤسف ان الانتهازيين، ومنهم عدد غير قليل في فلسطين ايضاً ، يعملون على ان يتخذوا من مشروع

المقاطعة وسائل للكسب ؛ كما ان بعض ضعفاء الايمان من المستهلكين يساعدونهم على هذه الخيانة . ويحزّ الالم في نفسي كلما وجدت آذانا صاغية لدعاوات الصهيونيين في وطني ، وازداد ألماً على الم حينما ارى الاجنبي يتطوع لخدمة الصهيونيين .

لقد ذكرت الصحف غير مرة اخباراً تتعلق بايقاف مأموري جمرك بيروت وصيدا وغيرهم بعض السيارات الفرنسية التي كانت تهرب البضائع الصهيونية للبنان ، او السلع الممنوع تصديرها منه والى ذلك ؛ فقد سمعت اذاعة « راديو الشرق ببيروت » وهي افرنسية ايضاً [1] تذيع مساء ٦ كانون الثاني ١٩٤٦ انه قد استولى على الاوساط اللبنانية الذعر من جراء مشروع مقاطعة البضائع الصهيونية ، للغلاء المنتظر في الاثمان اذا تحققت هذه المقاطعة . فكان عليّ ان اقدم حالا الى رئيس مجلس الوزراء شكاية على هذه الادارة طالبا اليه تعيين رقيب من قبل الحكومة على ما تعده للنشر .

على ان هذه الدعاوات ضد المقاطعة من قبل الصهيونيين ومطاياهم تركت آثاراً محسوسة في لبنان ، خصوصاً بعد ان عالجت بعض صحفهم الموضوع وزينت للناس بان المقاطعة معناها اشتداد الغلاء في حاجياتهم الضرورية .

وفي الواقع ، ان العالم العربي ، وفي الطليعة لبنان ، سيستفيد كثيراً من هذه المقاطعة . والفائدة تكون على وجهين اولا من ناحية دفع الاضرار التي تحيق بالبلاد من جراء مزاحمة الصهيونيين وبضائعهم منتوجاتها ، كما بينا ذلك في فصل سابق ، وثانياً من حيث افساح المجال لصناعاتنا الناشئة ، وليدة الحرب ، التي اصطدمت ابان نموها بمنافسة مصنوعات فلسطين الرخيصة فحدت من ازدهارها . فاذا حميناها بمقاطعة الصهيونية ، ثم عمدنا الى حمايتها من بعد من المصنوعات

---

(١) قبل تسليمها للحكومة اللبنانية اخيراً

الاجنبية ، التي تتأهب لغزو الشرق العربي ادركنا ما نريد من تأمين استقلالنا الاقتصادي .

اما الخوف من الغلاء بالمقاطعة فهو في غير محله ، عدا عن انه غلاء يؤدي بالنهاية الى منافع ، وهو محصور في ناحية الحاجيات الكمالية، ولا يتناول الطعام لان البلاد العربية هي التي تصدر الى فلسطين المواد الغذائية .

ولعل اولياء الامر ، الذين حمدنا لهم مواقفهم في كفاح الصهيونية، يتولون بانفسهم ادارة المقاطعة العليا ، ويعهدون لها بخطب تذاع في الراديو ومن على المنابر في المعابد ، وبمقالات توالي الصحف نشرها . ولعلهم يشددون المراقبة في التخوم والاسواق . وذلك لان الخطر، فيما اذا لم تنجح المقاطعة، ذو بال . اجل اذا استطاع الصهيونيون ان يجعلوا قرار الجامعة في هذا الخصوص لغواً فستكون سابقة وخيمة العاقبة بحيث يهزأ الصهيونيون وغيرهم من بعد بكل قرار تصدره الجامعة العربية ويستخفون بنا اي استخفاف

٣ــ (انقاذ اراضي فلسطين من الخطر الصهيوني)

اعتمد الصهيونيون على اموالهم الوافرة المغرية لتحقيق الوطن القومي الصهيوني في فلسطين . وقد ادركوا شطراً كبيراً من تلك الاماني بفضل ما ادّخروا وما انفقوا . ولا سيما في صعيد ابتياع افضل الاراضي من العرب واخصبها حتى اصبحوا ، يملكون من فلسطين خيارها .

غير ان العرب انتبهوا باكراً الى العاقبة الوخيمة ، واقلها الجلاء عن فلسطين ، اذا لم يقفوا موقفاً حازماً تجاه محاولات اليهود ، فانبروا يحتجون في كل مناسبة، ويناضلون ؛ ولكن السلطة، التي شاءت الوفاء بعهدها للصهيونيين، كانت قلما تصغي الى هذه الاحتجاجات . حتى اذا حان الحين ووضعت الكتاب

الابيض الاخير ، وضعت حدوداً لهذه المبايعات ، اوردناها في الفصل الثاني من هـذا الكتاب .

ولكن العرب في فلسطين حاولوا الاعتماد عـلى انفسهم في سبيل انقاذ اراضيهم المهددة ، فالفوا « مؤسسة صندوق الامة العربي المحـدودة » التي يرأسها احمـد حلمي باشا ، والقصد منها شراء الاراضي من العرب المحتاجـين للبيع ، منعاً لليهود من ان يستحوذوا عليها . فوفت هذه المؤسسة مهمتها بنشاط على قدر ما سمحت به المساعدات المالية التي ادركتها .

وقد نوهنا قبلًا بالاهتمام الذي لاقاه مشروع انقاذ اراضي فلسطين عنـد رجالات العرب منذ اجتمعوا في القاهرة لمشاورات الوحدة ، ومنذ عقدوا مؤتمر اللجنة التحضيرية ، ونوهنا باللجنة التي انتخبت لانقاذ الاراضي .

ومن المؤسف ان الاتفاق بقي طي السجل ، والى جانب مؤسسة صندوق الامة العربي ، قام الاستاذ موسى العلمي بمشروعه الانشائي الذي وضعه لانقاذ اراضي فلسطين على اسس اخرى . وقد شاء الاستاذ موسى ان يظل هـذا المشروع مستقلًا عن اللجنة العربية العليا على اعتبار انه عمل اقتصادي ، وهي انما تنصرف للشؤون السياسية فحسب .

وهكذا بقي مشروع انقاذ اراضي فلسطين على اهميته ذا صبغة شخصية ، ولم تبتّ الجامعة العربية بشأنه بحيث تجعله دوليا ، وتوجب عـلى كل دولة تمثل في الجامعة ان تساهم بهذا المشروع مساهمة جدية . وظل الحال كذلك حتى دورتها الحاضرة إذ قررت في جلسة ٢٨ اذار سنة ١٩٤٦ انشاء بنك عربي برأسمال مليون جنيه لهذه الغاية . وقد مثل فلسطين بهذه الدورة وفد كان على رأسه الاستاذ جمال بـك الحسيني .

ويحدونا لدعوة قومنا للاهتمام بهذا المشروع ، والاتفاق عليه ، ان الصهيونيين

يستغلون بحث الجامعة له لاثارة دعاوات يجمعون بواسطتها الاموال الطائلة لشراء الاراضي .

وحسبنا الاشارة الى البرقية التي صدرت عن مدينة الاطلنطي في ١٨ تشرين الاول ١٩٤٤ للدلالة على ذلك، وهي تقول : « ان الهيئة اليهودية الوطنية لجمع التبرعات اعلنت انها جمعت منذ عام ١٩١٠ اموالا يبلغ مجموعها ٢١ مليون و ٨٠٠ الف دولار لشراء الاراضي في فلسطين . » وانتهت البرقية الى القول : « ان السيد مندل فيشر، رئيس هذه الهيئة ، اعلن ان الاميركيين ساهموا في هذه التبرعات بمبلغ اربعة ملايين وستماية الف دولار . »

هذا الى ان يهود فلسطين انتهزوا فرصة النصر ، الذي احرزه الحلفاء اخيراً، وبادروا لنشر بيان موقع من زعمائهم ، وعلى رأسهم الدكتور وايزمن ، دعوا يهود العالم فيه لجمع عشرة ملايين جنيه لاجل البنيان الاقتصادي في فلسطين بعد الحرب ، والتوسع بالشراء .

ونحن وان كنا لا نطمع بان نجمع الملايين مثلهم ، ولا ندعي باننا نستطيع مجاراتهم في هذا الميدان ، ولكننا مع ذلك لسنا بحاجة الى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لابتياع فلسطين ، بل نحن بحاجة الى انقاذ الاراضي المهددة بالبيع فحسب ؛ وليس ذلك على العالم العربي بكثير ، خصوصاً ونحن نعلم بان من لا ارض له لا وطن له .

— ٤ — (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)

نسوق هذه الكلمة الى اخواننا العرب في فلسطين ، ونوجهها تحت تأثير اعمال العنف والاجرام ، التي يرتكبها الصهيونيون في الحاضر بغية اخضاع بريطانيا العظمى لارادتهم وقصد التهويل على العالم .

فقد استنكر هؤلاء الغزاة ان يظلوا يعتمدون على حراب غيرهم لحماية انفسهم فاعدوا ما استطاعوا من قوة ، وتمرسوا على فنون الحرب والنضال ، ثم هم قد احتفظوا بقواهم يوم كنا في كفاح مع السلطة .

وكنت اتوهم، قبل الحرب العالمية الاخيرة ، انه اذا وقعت الحرب، وتحولت الحراب التي كانت تحمي اليهود، وسيقت الى ساحات القتال نكب اليهود المقيمون في فلسطين ، لا سيما انهم قلة ضعيفة في محيط عربي كبير . وقد جرني الحماس المخدوع للادلاء بهذا الرأي خلال جدال وقع بيني وبين حاخام يهودي في مدينة كراندرابدس في امريكا . ولكن الحرب وقعت من بعد ، ولم يجرؤ احد على التعرض لليهود، وما ذلك للحراب الانكليزية التي تحميهم، بل لانهم على قلتهم اصبحوا اقوياء حربياً . وبلغت جرأتهم ابعد من هذا الحد : فقد اخذوا يتعرضون للقوى الانكليزية المرابطة في فلسطين ، بل تمادوا في هذا السبيل بادخال المهاجرين قسرا وعنوة رغم حكومة فلسطين مرات عدة .

وما يدرينا الى اي حد سيبلغ بهم الغرور ، وما يدرينا انهم سيحولون تلك السهام التي يريشونها الان في وجه حكومة جلالة الملك ويوجهونها الى صدور العرب في فلسطين وغير فلسطين .

فماذا ترى اعد قومي المهددون من القوى للدفاع عن انفسهم ، ولتأمين السلامة العامة ؟ افلا يكون والحالة هذه من مدعاة السلام اتباع اوامر القرآن الكريم حيث قال : « واعدّوا لهم ما استطعتم من قوة » ؟

ويبدو لنا ان هذا الواجب مفروض على عرب فلسطين في ناحية ، وعلى عموم العرب في ناحية اخرى .

١ — فعلى مرأى ومسمع من اخواننا في فلسطين يتاهب اليهود ويستعدون سراً وعلانية . فيعنون رجالا ونساء بالمنظمات الرياضية اشد عناية

على اختلاف انواعها ، ويؤلفون الفرق الدفاعية والهجومية ، مزودة بالاسلحة الخفيفة والثقيلة ، ويعلمونها الفنون الحربية . وهم الى ذلك يخزنون المعدات ، ويفرضون المكافآت والمجازات .

واذا كنا لانستطيع ان ندعو قومنا في فلسطين الى ان يجاروا الصهيونيين فيما يخرج عن نطاق القانون افليس من الواجب الفات نظرهم الى وجوب منافسة الخصوم في صعيد كل استعداد لا يحظره النظام ، وخصوصا في نطاق الاعمال الرياضية الحديثة ، ومؤسسات الفتوة وفي ميدان احياء اعمال الفروسية المختلفة التي اشتهر بها الاجداد ؟

٢ — على انه ازاء خطر الصهيونيين الحربي الذي لا يقتصر على فلسطين فحسب ، بل هو يهدد العالم العربي المجاور ، بل يهدد الشرقين الادنى والاوسط ، ما احوج الدول العربية للتفكير بالاستعداد الفعلي لدرء هذا الخطر . ويبدو لي ، ونحن في عهد مجلس الامم المتحدة ، وابان تفكير الدول في تزويد هذا المجلس بقوى حربية مستقلة يستخدمها حين الضرورة لتأمين السلامة العامة ، اننا نحن العرب ، احوج للتعاون دوليا كي نؤمن قوى حربية مماثلة تزود بها الجامعة العربية عن حياضنا ، واذا لم يكن لها من لزوم الا مجابهة الخطر الصهيوني الحزبي لكفى .

— ب — المساعي الخارجية

— ١ — (تطهير فلسطين من الانتداب والتزاماته)

نحن الآن في عهد اعترف العالم فيه باخفاق الانتداب حتى لم يتورع السيد بيفن وزير خارجية بريطانيا العظمى عن الاشارة لذلك في خطابه يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥ باسم الحكومة خلال كلامه عن فلسطين .

ونحن الآن في عهد فكرت فيه الدول المنتصرة بتبديل الوصاية بالانتداب. لذلك كان علينا ان نطالب حالا برفع الانتداب، الفاشل المهزوم في الفكر الحديث، عن فلسطين، وبتحويل الوصاية عليها الى الجامعة العربية، على اعتبار اننا ممثلون ايضاً في هيئة الامم المتحدة، ونحن احق من سوانا بالحصول على الوصاية هذه، ولا سيما ان فلسطين هي عربية كيفما قلبت وجوه الحق.

وبانتظار ذلك يجب ان ننقذ فلسطين من سلطة الصهيونيين. يجب ان ننقذها من صك الانتداب الذي صيغ بصيغة تكفل قيام الوطن القومي اليهودي. خصوصاً وان بريطانيا العظمى اعلنت مرات عدة، بلسان ساستها، انها وفت بعهدها الى آخر حد لليهود.

ان المادة «٤» من صك الانتداب قد اعترفت بوكالة يهودية كهيئة عامة لتشير وتعاون في ادارة فلسطين، واجازت المادة «١١» لحكومة فلسطين الاتفاق مع هذه الوكالة لمباشرة الاعمال العامة. فاصبحت هذه الوكالة، استناداً الى هذه النصوص، الحكومة الحقيقية الموجهة لفلسطين [1].

وفي الواقع إن نجاح فكرة الوطن القومي يرجع الى تصرف هذه الوكالة وتوجيهها بالتشريع، كما ترد اليها السياسة ذات الوجهين القائمة في فلسطين. وقوامها افقار العرب، ومعاونة اليهود بالتشريع الجمركي وغيره [2]. لذلك كان من الواجب الفات نظر الجامعة العربية، والدول العربية الى طلب الغاء صك الانتداب الذي يخول هذه الوكالة حق التصرف، او، على الاقل، طلب وقف مفعول المواد التي جاءت به المتعلقة بهذه الوكالة، ريثما يقرر مصير فلسطين.

---

(١) راجع الصفحات ٩ و ٤٠ و ٨٥ من هذا الكتاب

(٢) فصلنا ذلك في الفصل الرابع بصفحات ١٠٤ الى ١١٠

— ٢ — (الدعاوة)

برهنا في الفصل الخامس على اثر الدعاوة في كسب المعركة ، وطرحنا خلاله سؤالا : « هـل نتغلب بدعاواتنا على دعاوات الصهيونيين ؟ » فاجبنا بالايجاب مدلين بالاسباب ، وموردين الامثلة ٠

وهنا نقرر القول إن واجب الدول العربية ،قبل كل شيء آخر، هو ان تعني عناية اشـد بتنظيم الدعاوة تنويرا للافكار واكتسابا للقلوب ودحضاً للافتراءات التي افتراها الصهيونيون على العرب عامة والفلسطينيين خاصة ؛ بل على المسلمين جميعا ٠ والدعاوة لا غنى عنها ، وحسبنا ان نرى الدول الظافرة تملأ العالم بها ، وتنفق الاموال الطائلة في سبيلها ٠ وما تلـك النشرات التي كانت تريعها الدول بكرم خلال الحرب الماضية، وتلك الرسوم التي تمـلأ بها الجدران، الا جزأ يسير منها ٠ وان الجنرال سبيرس، الذي تطوع للدفاع عن العرب وقضاياهم في لندن ،لم يتورع عن ان يدلي لنا ناصحاً بفوائد الدعاوة : فقد قال في الخطاب الذي القاه في الحفلة التي دعى اليهـا الملحق الصحافي البريطاني في بيروت لتوديع الجنرال ما يلي : «وان لمن دواعي سروري ان اعلم ان الاقطار العربية تفكر تفكيراً جديا بانشاء مكتب صحافي لهـا في انكلتره ٠ ونوه بانه من الاهميـة بمكان ان تتفهم الاقوام في الديموقراطيات مشاكل العرب ووجهة نظرهم ٠ »

والحركة في هذا السبيل بركة مجدية ٠ فان لدى الاوساط الاوروبية والاميركيـة استعداداً كبيراً لمكافحة الصهيونية والتضييق على مطامع اليهود الواسعة ، وما ان يجهز للميدان الداعي لهذا الكفاح حتى يلتف الناقمون حوله ويستحسنون صنيعه ٠ وقد اوضحنا هذا الموضوع ، واوردنا كثيراً من

الامثلة . ولا بأس من ايراد مثل آخر هنا يذكرنا بما للعمل في هذا السبيل من اصداء مجدية وآثار مثمرة . فقد لبى العرب دعوة بريطانيا العظمى الى مؤتمر الطاولة المستديرة في مطلع عـام ١٩٣٩ ، وادى وجود ممثلي دولهم في لندن وممثلي فلسطين الى الاتصال برجالات الامة والحكومة ، والاعراب عن وجهة نظر العرب ، فكان هذا سبباً لاكتساب جمهور كبير من البريطانيين ، وكان دافعا لستة وعشرين رجلاً ، من اعضاء مجلس العموم واللوردات ، لان يتقدموا لمقابلة مستر تشمبرلن رئيس الوزارة وقتئذ ، وان يرفعوا له مذكرة باسم الاكثرية الساحقة من النواب واللوردات يعربون فيها عن رغباتهم بمنح العرب مطالبهم العادلة في فلسطين ، ولا سيما الاستقلال التام وانشاء دولة عربية .

ولو اتيح للعرب ان يكونوا على هذا النحو من الاتصال الدائم بالأوساط السياسية في العواصم الاوروبية والاميركية لامنوا ربح المعركة ، دون ريب ، منذ زمن طويل .

والآن وقد دخلنا البيوت من ابوابها : فاعدنا المكتب العربي في لندن ، وفتحنا مكتباً آخر في واشنطن ، وانشأنا مكتبا مركزيا في القدس ، بتنا نؤمل اجتناء ثمرات هذه المكاتب في وقت قصير ؛ خصوصاً في بريطانيا العظمى حيث يربض الجنرال السير ادوارل سبيرس على رأس لجنة الشؤون العربية المؤلفة من بعض الانكليز ذوي المكانة ، وهو على اتصال بوزيرنا المفوض في لندن الذي كان مفخرة للبنان في التمثيل السياسي : الاستاذ كميل شمعون .

على انا وان لم نصب مثل هذا النجاح في واشنطن فيجب ان لا يتطرق اليأس الينا ، لانا سنكسب حتما هذا البلد اعتماداً على مضاء المكتب العربي فيه ، واعتماداً على ابناء لنا في الاميركتين حقيقين بالاعمال الكبيرة ، لا سيما اذا عرفنا كيف نستعين بهم .

ولما كان يهود العالم يحومون بعد الحرب حول فرنسا ليتخذوا منها قاعدة لدعاواتهم فمن الواجب ان لا نهملها بل نسارع الى اقامة مكتب عربي للدعاوة في باريس ، وآخر في موسكو .

هذا وقد خبرنا بنفسنا ما للوفود التي نوجهها الى العالم من الفوائد : فهي بما يكتب حولها تثير القضية من الناحية العربية ، فتؤدي بذلك رسالة الدعاوة على اتم وجه ، خصوصاً وانها تعتبر ، حيث تزور ، مظهراً جديداً من مظاهر الدعاوة يسترعي الانظار .؟

وهنا مجال للتنويه بما نجني من فوائد في هذا السبيل اذا وجهنا وفداً بعد وفد للولايات المتحدة ولغيرها من رجال الاكليروس الذين يحسنون اللغات . ذلك يسترعي كثيراً انظار زملائهم في الولايات المتحدة وانكلترا الذين تأثروا بدعاوات الصهيونيين القائمة على ما ورد في التوارة ، فضلاً عن تأثير هذه الوفود على الشعوب الذين ما زالوا يحوطون رجال الدين بالثقة .

ولعل الجامعة العربية تفكر بتنظيم مكاتب دعاوة للشؤون العربية في مفوضيات الدول من اعضائها ، وفي قنصلياتهم ، فتتعاون هذه الاقسام مع مكاتب الدعاوة العربية حيث توجد ، وتقوم مقامها حيث لا وجود لها .

ــ ٣ ــ (الاستفادة من التيارات الدولية واتجاهاتها)

بينما كانت بريطانيا العظمى قبل الحرب الاخيرة تسدد حرابها الى وجوه العرب وصدورهم ابتغاء الوفاء لليهود ، وتستهدف افئدتهم بقنابلها في سبيل تحقيق وعد بلفور وقيام وطن قومي في فلسطين ، كان الصهيونيون ، بدلا من ان يقابلوها بعرفان الجميل ، لا يتورعون عن اظهار سخطهم ، ولا يخجلون في المساومة عليها ، والتآمر مع سواها .

وحسبي للتدليل على هذا الموقف المريب ايراد جملة من كتاب كوهين كادمي الصادر عام ١٩٣٢ : [1] قال : « هل فات الوقت لنقول للعالم المتمدن ، الذي يعرفنا ويقدر صفاتنا الخارقة ، وان كان يكن لنا البغضاء ، بان موقفنا لم يتقرر بعد الى اي جانب سيكون ، فأننا سنجري مع اولئك الذين يؤدون النصيب الاوفر من سواهم . »

وهكذا فان اليهود يجعلون مسلكهم السياسي يصطبغ بصبغتهم المادية المحضة ، دون ما مراعاة المعنويات ، وينزلون المزاد جاههم ، فيبيعونه للذي يؤدي ثمنا اوفر من سواه . وهذا ما حمل جلالة الملك عبد العزيز بن سعود لان يقول في شهادته التي القاها بقوة على لجنة التحقيق البريطانية الاميركية « والدنيا ليست على حال واحدة ، فقد يأتي يوم تقوى فيه شوكة اليهود فيكونون لنا اول من يحارب بريطانيا مع اعدائها كما يحاربونها اليوم » .

واما العرب ، فرغم الخصومة التي اثارها موقف حكومة جلالة الملك من قضية فلسطين في السنين التي توسطت الحربين العالميتين ، فانهم لم يطعنوها بظهرها حين نشبت الحرب الاخيرة ، بل اخلدوا للسكينة في فلسطين ، وتطوعوا افراداً في صفوفها ، وسائر صفوف الحلفاء . ودخلت دولهم الحرب تباعاً الى جانبها وجانبهم . اسوة بما فعلوا في الحرب العالمية الاولى .

وانتهت الحرب بنصر الحلفاء ، فاصطدم العرب مرة اخرى بتحيز شديد تبديه الولايات المتحدة لتأييد خصومهم ، وبتحول جديد تقوم به بريطانيا العظمى تحت ضغط الصهيونيين لتحطيم الكتاب الابيض . ولكن

---

(١) Cohen Kadmi. Esquisse d'un Sionisme

العرب ظلوا على وفائهم للانكلوسكسون ، وظلوا يؤمنون بان الحق لن يموت . وهم كذلك ، إذا باليهود يتحولون سراعاً للناحية الدولية التي يؤملون الخير من قبلها . ذلك ان الحرب العالمية الاخيرة ساقت الى الميدان العالمي قوة عظيمة كانت منكمشة على نفسها ، وهي الاتحاد السوفياني ، قوة ستكون لها كلمة مسموعة في الحلول العامة ، فما كان بوسع اولئك الانتهازيين الا ان يبادروا للتقرب منها .

وكيف السبيل الى ذلك والسوفيات ، رغم ان لينين اعلن ان حركة العداء ضد السامية واضطهاد اليهود خطر على مصالح ثورة العمال ، لا يزالون يضمرون الكراهية الشديدة للصهيونيين ، ويذكرون لهم مقاومتهم المبادىء السوفياتية ، تلك المقاومة الشديدة ؟

وكيف السبيل الى اكتسابهم الاتحاد السوفياتي بينما المباديء البلشفية تناهض الصهيونية بوصفها حركة عنصرية اعتدائية تغذيها قومية متطرفة ذات صبغة دينية ، وتمدها رأسمالية استغلالية ؟

فاتجه الصهيونيون الى صناديقهم منذ وقف الروس وقفتهم الثابتة في ستالينغراد الحافلة بالبطولة . وشرع اليهود يظهرون عطفهم على السوفيات حينما تحملوا ثقل المعارك ضد النازي ، واسعفوهم طوال الحرب اسعافاً مادياً .

وصادف ان الاتحاد السوفياتي اعاد خلال الحرب النظر في السياسة الماركسية ، ونبذ فكرة الانكماش عن العالم ، وصادف ان مطامعه الاستعمارية الجديدة ساقته للتودد الى العالم ، واكتساب الانصار ، فأدى هذا التحول السياسي لتبادل العواطف الطيبة بين الصهاينة والكرملين ، وكان يدعمها المال الذي بذله اليهود مساعدة للروس خلال الحرب .

وقد مر السيد ايفان مايسكي سفير الاتحاد السوفياتي في لندن بفلسطين سنة

١٩٤٣، وهو يهودي، وقام بدراسة المشكلة الفلسطينية، فكان من تأثير تقريره الى الحكومة السوفياتية، ان الضغط الشديد الذي كانت تضعه على نشاط الصهيونية في روسيا قد ارتفع، فاذا بنا نرى، بعد قليل، وفداً يهودياً روسياً يؤم انكلترة واميركا لحضور اجتماعات الصهيونيين، واذا بنا نسمع انه قد تأسست دائرة الشؤون اليهودية الدينية في موسكو، الى غير ذلك من الاعمال التي تشير الى تمتع الصهيونيين الروس من بعد بحرية لم تكن لهم .

ومع ذلك فان وزارة خارجية الاتحاد السوفياتي لم تعلن موقفها تجاه الصهيونية، فقد قابلت ، منذ عام تقريباً السيد دانيال سولود وزيرها المفوض في سوريا ولبنان، وحاولت ان اعرف من سعادته موقف دولته ازاء فلسطين . فما اخفى عني ان المبادىء الصهيونية لا تتفق مع المبادىء الشيوعية، ولكنه تظاهر بأن قضية فلسطين ليست مما يهم دولته . فكان علي ان انتهز هذه الفرصة وابرهن له على ان هذه القضية هي كالترمومتر (ميزان الحرارة) في نظر العالمين العربي والاسلامي . فتصعد عواطف هذين العالمين او تسقط تجاه كل دولة من هذه الدول بقدر ما تعرب هي من المساعدة لهما في سبيل انقاذ فلسطين العربية .

وبعد، فسواء حددت روسيا موقفها من الصهيونية ام لا، فنحن ازاء دولة جبارة مدت اصابعها بين اصابع الدول المستعمرة، وسعى خصومنا بكل ما لديهم من قوة لاكتسابها، فماذا نحن فاعلون حيال ذلك ؟

ما نحن فاعلون اذا ظل البريطانيون، بعد ان حققوا وعد بلفور، يفتحون باب الهجرة لليهود فيبلغ هؤلاء بذلك املهم في الحصول على الكثرة، واقامة دولة يهودية ؟

وماذا نحن فاعلون اذا استمر الاميركان ينحازون علناً للصهيونيين،

ويتحمسون لمساعدتهم هذا التحمس الذي لا آخر له ؟

— ان العرب لن يكونوا مسؤولين اذا اضطروا لتحويل وجوههم الى قبلة جديدة ان ظل اصدقاؤهم القدماء يوالون الاعداء …

٤ — (الوكالة العربية)

ان قضية فلسطين امست كحرب مستعرة بين العرب والصهيونيين * وبغية تأمين النصر اتخذ اليهود مؤسسة الوكالة اليهودية ، باقسامها وفروعها ، بمثابة « اركان حرب » لجيوشهم المحاربة .

ونحن العرب ، وان كنا شعوبا وحكومات ، جنوداً لفلسطين ، وان كنا اعطينا الجامعة العربية حق الكلام والنضال باسمنا ، فلا زلنا في الحقيقة ، محرومين هيئة « اركان حرب » حيال هذا النضال المستمر . ذلك لان الجامعة هي مؤسسة تعني بجميع شؤون العرب ، ورغم انها اتخذت فروعاً لها سياسية وثقافية واقتصادية ، فلا اعلم انها اقامت فرعاً خاصاً للمعضلة الفلسطينية .

وهذا ما حملنا على ان نقترح انشاء منظمة عربية لفلسطين على اسلوب الوكالة اليهودية وتقسيماتها[1] تكون فرعاً من فروع الجامعة العربية وتقوم الى جانبها .

وهذه المؤسسة تضع خطط التنظيم السياسي ، وادارة شؤون المكافحة ، وترتبط بها مكاتب الدعاوة كافة ومشروع انقاذ الاراضي ، كما تتولى ادارة المقاطعة العامة للصهيونيين وانصارهم متعاونة في الرأي مع اللجنة العربية العليا في فلسطين .

٥ — (مقاطعة انصار الصهيونية في الداخل والخارج)

في الرد الذي ادلى به الدكتور وايزمن على بيان حكومة بريطانيا العظمى

(١) في الصفحتين ٨٥ و ٨٠ من هذا الكتاب الما بتنظيم الوكالة اليهودية

الصادر في تشرين الثـاني ١٩٤٥ حاول ان يبرهن على ان القضية اليهودية هي القضية الصهيونية ، وان اليهود ،الا قليلا ، هم صهيونيون . وقد ايد هذا المذهب ابو العافية بالشهادة التي ادلى بها امام لجنة التحقيق الانكليزية الاميركية في القدس ،وذلك بوصفه رئيساً للطائفة السفاردية (اليهود الشرقيين).

فالصهيونيون اذن — عرباً كانوا ام غربيين ، يحاولون افهام العالم ان كل يهودي هو صهيوني . ونحن وان كنا نتمنى ان لا نصدق هذا القول ، خصوصاً وان كثيراً من افراد اليهود قد فندوه امام لجنة التحقيق في دمشق وبغداد وبيروت ، ولكنا نريد ان يكون للعرب الحق باعتبار كل صهيوني عدواً لهم ، تسري عليه المقاطعة ،ولو كان عربياً ،ويدخل في نطاق المكافحة .

وقد احسن القول الاستاذ اميل البستاني حينما تعرض لهذا الموضوع في جريدته آسيا حيث قال : «ونرى ان الدول المتحاربة عندما تعلن الحرب تضع كل منها افراد جاليات الدول المعادية في معسكرات اعتقال حتى تأمن شرهم . والعرب ، وهم لا شك في حرب مع الصهيونية ، فاذا ما تحالفت اليهودية العالمية مع الصهيونية حق للعرب ان ينظروا الى اليهود في بلادهم وفي غيرها كاعداء . »

على ان العرب يجب ان يعنوا بمقاطعة انصار الصهيونية ايضاً في كل العالم . وان يمنعوا الصحف التي تناصرها من الدخول الى بلادهم .

— ٦ — (موقفنا تجاه اللجنة الانكليزية وحيال تقريرها)

اشتدت اثقال اليهود على حكومة لندن قصد تمزيق الكتاب الابيض الذي نص على وقف الهجرة بعد مضي خمس سنين على صدوره ، واستعانوا بحكومة واشنطن ، فرأت حكومة السيد اتلي اشراك امريكا في التبعة ،

فدعتها لتأليف لجنة مشتركة تقوم بالتحقيق • وهي انما تود ايضاً الاستعانة بالزمان للتسويف •وقد اعلن السيد بيفن وزير خارجية بريطانيا العظمى في بيانه يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٥ ان حكومة واشنطن وافقت على تأليف هذه اللجنة •

وقد باشرت اللجنة التحقيق في واشنطن ، ثم استمعت الى الشهادات في لندن • وبعد ان درست احوال اليهود في اوروبا هبطت القاهرة عاصمة الجامعة العربية •

والعرب وان لم يعترفوا بهذه اللجنة ، ولا يرون مسوغاً لها مع وجود هيئة الامم المتحدة ، ولا يجدون مبرراً لتدخل امريكا بقضية فلسطين ، فهم قد نهدوا لمقابلتها • وكانت حكومة سامي بك الصلح بلبنان في طليعة المهتمين بذلك، فاصدر مجلس الوزراء يوم ٣١ - ١ - ١٩٤٦ قراراً بتأليف لجنة استشارية لتهيئة الدروس رأسها دولته ؛ وفي ٢٥ شباط ١٩٤٦ اتخذ المجلس قراراً بتعيين وزير لبنان المفوض في مصر وتعييني مندوبين امام لجنة التحقيق في القاهرة ، كما ان حكومة العراق انتدبت لهذه الغاية الاستاذ فاضل الجمالي مدير داخليتها •

وعند سفح الاهرام وفي احدى قاعات فندق ميناهاوس استلمت لجنة التحقيق مذكرة الجامعة العربية، وعقدت جلستين منذ ٢ اذار ١٩٤٦ لاستماع شهادات العرب •واستهل امين الجامعة العربية كلمته بقوله : « انني ارحب بكم كاصدقاء يبحثون عن الحقيقة ، ولا اعترف بكم كمحكمة او هيئة ، كما لا اعترف لمن وراءكم من حكومات بحق الفصل في هذه القضية•»

واجاب سعادة عزام باشا على اسئلة اللجنة بلباقة وقوة ، ولما سأل رئيس اللجنة ممثلي الدول العربية اذا كان يود احد منهم القول نهض صاحب



الاستاذ عبد الرحمن عزام باشا يدلي ببيانه امام لجنة التحقيق في القاهرة . والى اليمين مؤلف هذا الكتاب

السمو الامير سيف الاسلام عبدالله وقدم بياناً اقره عليه ممثلو الدول العربية ، ثم سلمناه الى اللجنة مترجماً الى اللغة الانكليزية وموقعاً من الجميع .

واستمعت اللجنة في الجلسة التالية الى شهادات مندوب العراق وممثلي الهيئات العربية ، وبينهم الاستاذ حبيب ابو رقيبة رئيس الحزب الدستوري في تونس .

ولنا ملاحظات غير قليلة على هـذه اللجنة لا يتسع المقام لايرادها ، ولكننا مع ذلك لا نتعدى مصر دون الاشارة الى فتيات فاتنات شاهدناهن يتمايلن بقدودهن المياسة في ليالي فندق ميناهوس الزاهرة ، حيث كنا نجتمع بصورة خاصة الى بعض اعضاء اللجنة .

فهل كان هؤلاء الساحرات ، اللاتي يحمن حول اعضاء اللجنة ، يرافقنهن عمداً من اوروبا ، او اتين لاستقبالهم من فلسطين ؟

انه سلاح حاد هذا الذي يتسلح به الصهيونيون . وترى ايهما امضى وافعل أهذا السلاح ، الذي يتعالى العرب عنه بحق ، أم التقرير الذي اعده المكتب العربي بالقدس في الف صفحة ليقدمه للجنة ؟

هذا وفي ٨ اذار ١٩٤٦ عقدت اللجنة الانكليزية الاميركية جلستها الاولى في القدس . ولوحظ اختلاف من ثم بين انصار فكرة الدولة اليهودية ، وعلى رأسهم الوكالة اليهودية وعميدها بن غوريون ، وبين انصار التعاون اليهودي العربي وعلى رأسهم الدكتور ماغنس عميد الجامعة العبرية .

واما الدكتور وايزمن ، الشاهد الاول ، فكان وسطاً بين الفريقين اذ قال : « لا يعنيني امر الدولة اليهودية بقدر ما يعنيني تقدم فلسطين وانقاذ المضطهدين . » فهو لا ينكر الدولة اليهودية ولكن يود ، الوصول اليها عملياً بفتح ابواب الهجرة .

واما عرب فلسطين فقد وفوا المهمة حقها، ولعلهم تركوا في نفوس اللجنة افضل الاثر ٠

هذا وبينما كانت اللجنة تواصل عملها في فلسطين تفرع عنها لجنتان قصدت واحدة منهما بغداد فالرياض ، والثانية امت دمشق فبيروت ، فرأتا، حيث نزلتا ، حماساً لقضية فلسطين لا تقل عما رأوه من عرب فلسطين انفسهم ٠

واستمعت اللجنة التي زارت بلاد الشام الى رجال الدين ، على اختلاف مذاهبهم ، فرأت الاكليروس المسيحي في لبنان يضاهي رجال الدين المحمديين حماساً لفلسطين ، كما انها لاحظت في الشهادات التي ادلى بها الاسرائيليون في بغداد ودمشق وبيروت ما يفند مزاعم السيد ابي العافية ، رئيس اليهود الشرقيين في القدس ، الذي زعم انهم في اسوأ ، حال ، ويكتنفهم الخطر ٠

ثم ولت اللجنة وجهها شطر سويسرا مثقلة بالمذكرات لتضع على ضوء ما سمعت وما قرأت تقريرها المنشود

ونحن بانتظار ذلك ماذا ترانا فاعلين ؟

١ — هل نأخذ غفوة ريثما يصدر هذا التقرير ؟

٢ — واذا جاء التقرير مخيباً آمالنا فماذا سيكون موقفنا ؟

٣ — هل سنقتصر على مقابلته بالاحتجاجات حسب العادة ؟

ان الصهيونيين بادروا ، مذ تألفت هذه اللجنة ، للتأثير عليها ، ابتداء من اعمال العنف بفلسطين ، الى اعمال اللطف والظرف في غيرها ٠ وهم ، بعد ان دخلت اللجنة في المرحلة الثانية ، وفرغ اعضاؤها لوضع التقرير ، جد جدهم للتأثير على افكار هؤلاء الاعضاء بالوسائل المختلفة ، كما انهم يتأهبون منذ الآن لمجابهة هذا التقرير على اي وجه صدر ٠

فما هي الوسائل التي ستتخذها الدول العربية ، وتبادر اليها الجامعة العربية

سراعاً بغية التأكيد للجنة ان اليهود اذا كانوا يريدون ان يبرهنوا ، باعمال العنف في فلسطين ، على انهم قديرون على تعكير الامن هناك ، فالعرب ، ومن ورائهم العالم الاسلامي ، حقيقون بان يهزوا اعصاب الشرقين الادنى والاوسط ، وجديرون بان يعطلوا الاعمال الاقتصادية فيهما ، هذا اذا مست كرامتهم وهضمت حقوقهم . ؟

ان وقفة للعرب كهذه بحزم وعزم سيكون لها ، في تحديد موقف الدول بعد صدور تقرير اللجنة ، شأن واي شأن . فضلاً عما يكون لها من النفوذ على صيغة هذا التقرير ، قبل صدوره . فهل نحن اولاء فاعلون قبل فوات الوقت ؟

فيا قومي ان للعرب انصاراً اشداء بين الدول وبين الشعوب ، ولكنهم لا ينزلون الى الميدان الا اذا برزنا اليه بانفسنا اقوياء للنضال عن حقوقنا

فهيا بنا هيا ، ولنعمل متحدين ، ولا سيما في فلسطين ، ملتفين حول بطلها الامين ، ولنجدّ في مقاطعة الصهيونيين ، فنكسب المعركة . ولا بدع فان العاقبة للعاملين .



فهرست الموضوعات

الفصل الاول

القضية الفلسطينية من الناحية الصهيونية

الفصل الثاني

القضية الفلسطينية من الناحية العربية

صفحة

الفصل الثالث

نجاح الصهيونيين في تحقيق الوطن القومي بفلسطين

الفصل الرابع

جيش الاحتلال الصهيوني يباشر القاء شباكه على الشرق العربي

صفحة

الفصل الخامس

التفاف العرب خلال الحرب الاخيرة وبعدها حول فلسطين

الفصل السادس

اثر الدعاوات الصهيونية في كسب المعركة

الفصل السابع

هل الاميركان خصوم العرب ؟

الفصل الثامن

الجبهات العربية وراء البحار

الفصل التاسع

كيف نربح معركة ؟

فهرست صور الكتاب

صفحة

فهرست الاعلام (1)

— أ —

(1) لم نعتبر في ترتيب الاسماء كلمتي ابن وأب

— ت —

— ج —

— ح —

— ط —

— ع —

— غ —

وكان الفراغ من طبعه في ١٢ جماد الثاني ١٣٦٥ الموافق ١٤ ايار ١٩٤٦، وذلك بمطابع صادر ، ريحاني بيروت مشتملا على ابحاث لجنة التحقيق الانكليزية الاميركية .

مؤلفات « محمد جميل بيهم » المطبوعة

●

المرأة في التاريخ والشرائع

فلسفة التاريخ العثماني

المرأة في التمدن الحديث

اوليات سلاطين تركيا

الانتدابان في العراق وسورية

فلسطين – او – أندلس الشرق

●

وصدر للمؤلف كتاب في اللغة الفرنسية « الانتدابات Les Mandats » عنيت بنشره مجلة « المصرية » الفرنسية بالقاهرة L'Egybtienne لصاحبة العصمة هدى شعراوي باشا ، ابتداء من كانون الاول سنة ١٩٣٣ حتى حزيران ١٩٣٦ .

فلسفة
التاريخ العثماني

وهو

فلسفة التاريخ العام في عهد آل عثمان

من مقال لشاعر القطرين خليل بك المطران في جريدة الاهرام .

« اعلن بلا اغراق ان بانياً ايا كان قدره وعلمه والمامه بهذا الضرب من القياس والاستنباط اذا بنى بعد جميل بيهم ان يستطيع للاساس الذي وضعه تعديلاً ، ولن يقيم صرحا في فلسفة التاريخ العثماني على رسم افضل . »

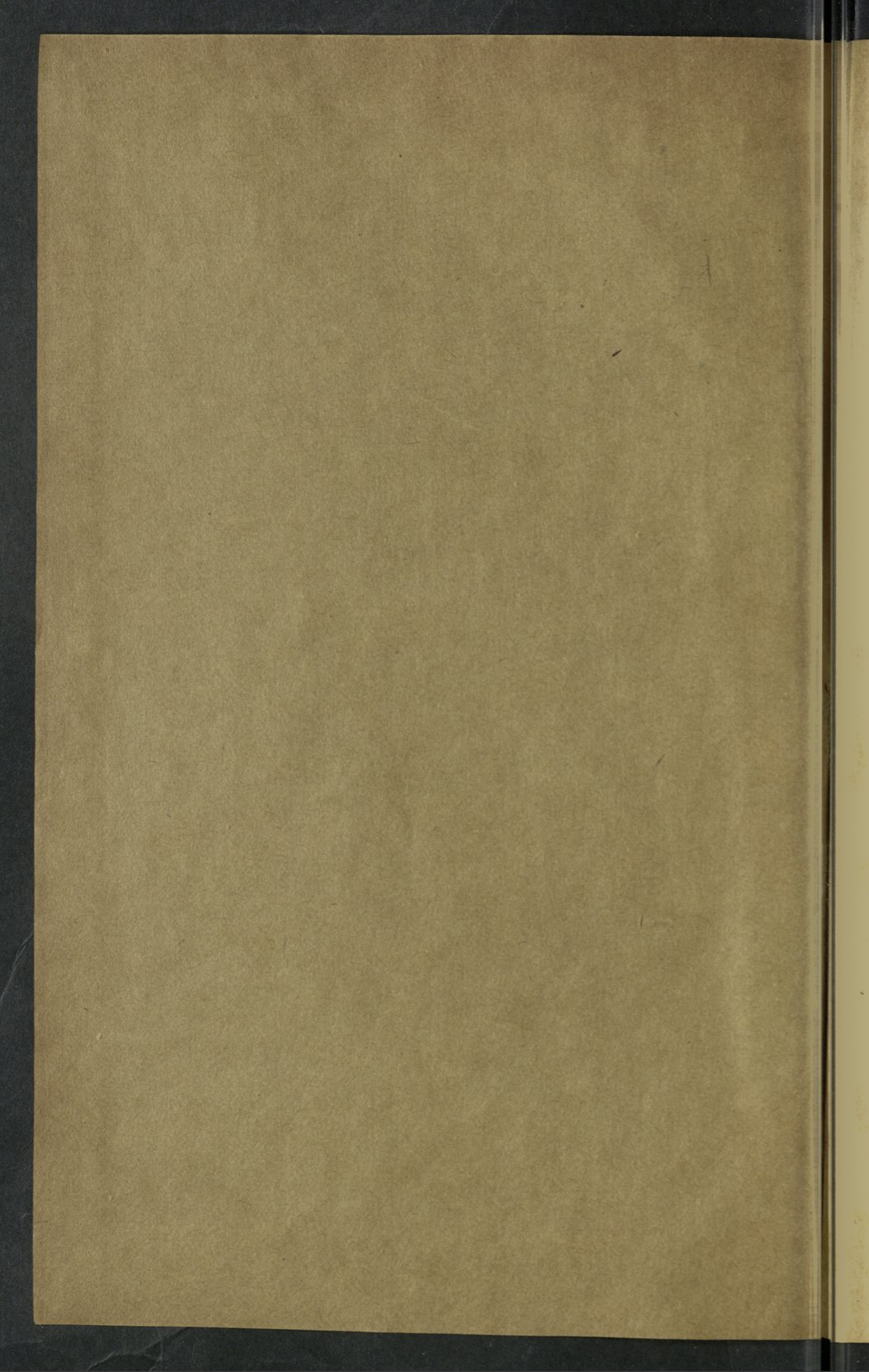
من مقال للشاعر الحكيم المرحوم جميل صدقي الزهاوي في مجلة الهلال :

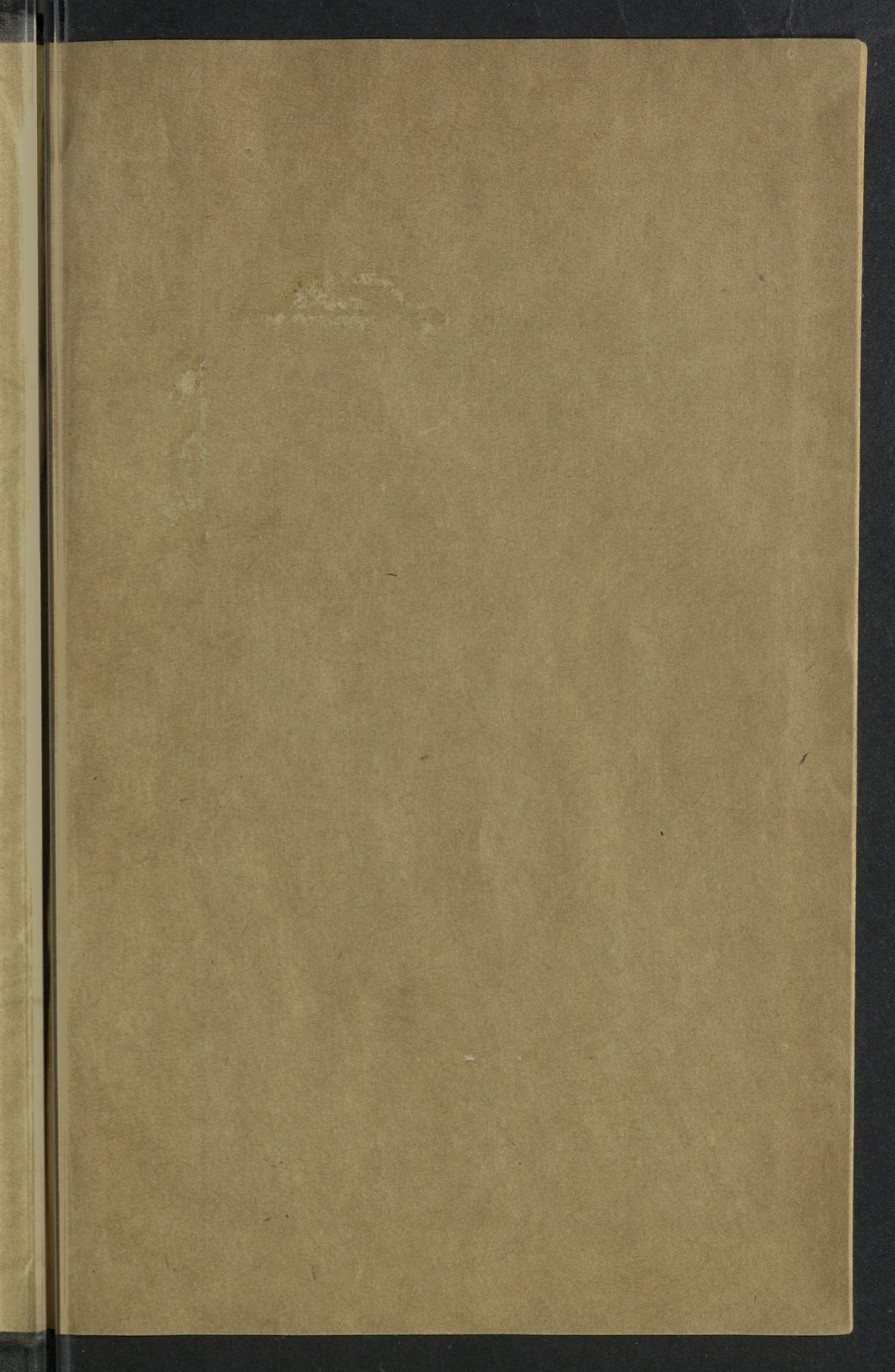
«واحسن كتاب ظهر في فلسفة التاريخ في الشرق العربي هو فلسفة التاريخ العثماني : فقد سد به فراغاً في اللغة العربية . وان كتابه هذا ، وان كان خاصاً بفرع من التاريخ ، يكاد يكون عاماً لارتباط حادثاته التي تكلم عنها بحادثات جمة الكثير من الامم في عصور متعددة . »

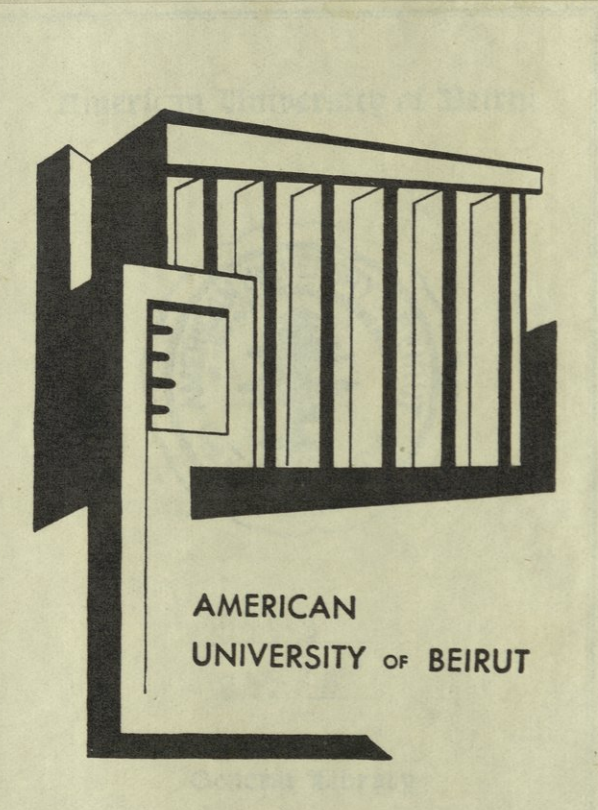
. . .

يُنشر هذا الكتاب مجدداً لوفرة الطلب عليه على ورق ابيض صقيل وبطبع جميل مصور ، ويعرض في المكتبات الكبرى .

ثمن النسخة ٢٥٠ قرشاً لبنانياً او ستة شلنات انكليزية .






AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

